المهدي المنتظر

اســـم الكتـــاب: المهـــــدي المنتظـــــر

التـأليـــــف: رانيـــــا رمضـــــان

نـــوع العمـــل: روايـــــــــــــة

إخـــراج فنـــي: ســالم عبـــد المعـــز ســواح

رقـــم الإيـــداع: 2022 / 25099

الترقـــيم الـــدولي: 978-977-835-333-4

النـــــــاشر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

٤ ش بديع خيري متفرع من ش عبد الحميد بدوي خلف كنتاكي
نادي الشمس مصر الجديدة - مصر.

دار زحمة كتاب للنشر Facebook

za7ma.kotab@gmail.com Email

002 01205100596 Tel
002 01100662595

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار زحمة كُتَّاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

رواية

المهدي المنتظر

رانيا رمضان
بنت البروفيسور

إهداء

إلى من فارقت روحه الحياة ولكنها لم تفارقني.
ما زلت يا أبي في قلبي، وأعلم أنك الآن سعيد لسعادتي بإصدار عملي السابع.
كم كنت أتمنى أن تدوم لي لآخر يوم في حياتي كي ترى إنجازاتي ولكن للأسف هذه سنة الحياة.
أدعو الله أن تكون فخورًا بي مثل ما أنا فخورة بك يا أعظم بروفيسور.
أشعر بك حولي، وفي نفس الوقت متغمد برحمة الرحمٰن.
وها أنت ذا مرتاح البال، معافى الجسد ومأواك جنة من الجِنان.
أحبك أبي

رانيا رمضان
بنت البروفيسور

في هذه الرواية سوف تعيشون مغامرات كثيرة...

مغامرات في عالم الإنس والجن...

ومغامرات أخرى مفعمة بالحب والرومانسية والحب الأسطوري...

ومغامرات أخرى حيث الأمراض النفسية والمرضى النفسيين...

إنها رواية قد جمعت جميع أشكال الرواية في رواية واحدة... لذا يصعب شرحها في كلمتين... لذا استعدوا لكي تأتوا معي في مغامرات عديدة في روايتي الجديدة...

"المهدي المنتظر".

★★★

تنويه

إن كنت تقرأ هذه الرواية عليك أن تتوقف عند هذا السطر وتقوم بإحضار كوب من الشاي... وأفضل أن يكون بالنعناع.

ماذا...؟ ماذا تقول...؟ إنك لا تحب الشاي...!

حسنًا... لا يهم... إن كان منكم أحد لا يحب الشاي فليحضر فنجان قهوة... وهيا بنا نبدأ رحلتنا ونحن في كامل تركيزنا...

أتمنى لكم رحلة ممتعة مع روايتي (المهدي المنتظر).

رانيا رمضان
بنت البروفيسور

★★★

(١)

من بنات الإنس والجن أحببتكِ أنتِ.

***

-اعطيني يدك يا ريحانة...

-لا يوجد داع سوف أعبر بمفردي.

***

-أقول لكِ شيء دعينا نرحل من هنا.

-وهذا ما أفضله أنا أيضًا... ولكن أعتبر إن هذه آخر مرة نلتقي بها.

***

-لا تعودي للبيت بمفردك سأكون مع...

***

في وقت الغروب أمام البحر وهذا المشهد الذي أفضله كثيرًا، يجلس هنالك على الصخور شاب وسيم ذا شعر أسود فاحم ناعم حريري طويل يصل إلى منكبيه، إنه شاب رقيق الملامح ذا بشرة قمحية ذات حمرة تزيده وسامة، وعينيه واسعتين عسليتين ولكن مع أشعة الشمس تصير مثل شعلة النار التي تجعلنا نهتدي في ظلمة طريقنا، يزين وجهه لحية سوداء محددة ولكن لديه شارب كث يعتلي شفتيه الممتلئتين القرمزيتين، شاب ذا جسم لائق بدنيا لأنه رياضي وله عضلات مما تجعله عريض المنكبين...

اووه عضلاته مع كونه شاب قمحي اللون وطويل يجعل منه شاب فاتن حقًا...

اووه اعذروني لقد شردت في جمال ذاك الشاب... سوف أستعيد تركيزي من جديد وأكمل لكم...

ها أين كنا...؟

آه حسنًا حسنًا، تذكرت... الشاب الوسيم...

آه اعذروني قد تبين لي إنه ليس بطويل جدًّا كل ما في الأمر إن الفتاة التي معه قصيرة.

لا أدري لِم يحب الرجال ذو القامة الطويلة الفتيات القصيرات...!

يمكن لأنه عندما تقف الفتاة القصيرة بجواره يكون مستوى رأسها عند موضع قلبه فهذا ما يجعله يشعر بالحب والأمان تجاهها لأن هناك من بجوار قلبه يرعاه ويحرسه.

ويقول في قرارة نفسه حينها:

-ها هي من تحبها يا قلبي بجوارك تمامًا.

دعوني أصف لكم الشابة التي معه إنها حسناء ولكنها ليست بفاتنة مثله، هي خمرية اللون و...

أحاول أن أصفها ولكن لا أعرف... لا يوجد شيء مميز بها ولكنها كلها على بعضها تأسر من ينظر إليها.

هل السحر في نظرة عينيها السوداوين الصغيرتين أم في ضحكتها العفوية التي تكون خجولة تارة ومجلجلة تارة أخرى...!

جمالها في صغر حجمها الذي يوحي لك إنها ابنتك وليست حبيبتك... أم جمالها في جسمها الذي يقال عنه (عود فرنسي)...!

بالرغم إن هذا الجسم غير مفضل كثيرًا ها هنا ولكنه مع بقية ملامحها آسر بالفعل.

ترتدي فستان أسود يرجع تصميمة لخمسينات القرن الماضي... حتى هو يرتدي بلوفر من تصميم الخمسينات، يبدوا إنهما متشابهان في نفس الذوق.

ها هما ممسكان بيد بعضهما البعض ولا يتوقف الناس عن النظر إليهما من شدة جمالهما سويًا كأنهما عصفوري حب، كأنهما خلقا لبعضهما البعض.

ينطبق عليهما أن حواء خلقت من ضلع أدم، ها هي قريبة منه جدًّا، بجانب ضلعه التي خلقت منه، بجوار قلبه الذي صار مسكنها.

***

من بعيد تأتي إمرأة ترتدي عباءة سوداء فضفاضة، وترتدي على رأسها وشاح من الحرير.

وجهها مثل البدر بيضاء جسمها ليس بنحيف وليس بسمين ولكنها تبدوا أنها تتمتع بصحة قوية ويتضح ذلك في جلجلة صوتها.

-ورد، ورد يا باشا، اشتري مني الورد ربي يجعلها من نصيبك.

قاطعها مهدي وهو ينظر إلى الحسناء التي بجواره قائلًا:

-من فضلك أعطيني وردة لأجمل وردة في الكون.

خجلت ريحانة وأحمر وجهها الخمري من الخجل.

أعطت البائعة لهما الوردة وأخذت ثمنها ومن ثم غمزت لريحانة وقالت لها:

-ما رأيك في أن أقرأ لكما الكف؟

غضب مهدي وقال بصوت عالٍ معلن رفضه:

-استغفر الله... نحن لا نؤمن بمثل هذه الأمور.

نظرت له البائعة مستغربة قائلة:

-استغفر الله... حتى أنا مسلمة وأحب ربي... ولكن كل ما في الأمر أن ربي كشف عني الحجاب... أنا هنا لكي أساعد... أنا لا أضر أحد بهذه الهبة.

كرر المهدي رفضه لها... ولكن ريحانة أمسكت يده وقالت له هامسة وهي تنظر إليه بنظرتها الحنونة:

-أرجوك يا مهدي لا تسيء الظن بها... أنت تعلم أني أشعر بالناس إن كانوا صادقين أم كاذبين... هي صادقة ليست دجالة... قد تساعدنا... دعنا نجرب... يمكن الله أرسلها لنا لأمر ضروري.

أمسك مهدي بيد ريحانة وأراد أن يهما بالقيام من هذا المكان ولكن ريحانة نظرت له نظرة توسل وقالت:

-هذه أول مرة أطلب منك طلب... أرجوك لا ترفضه.

ذاب المهدي في عيون ريحانة ومن ثم أردف:

-وكيف لي أن أصر على موقفي أمام عينيك التي شغفتني حبًا، وأذابتني عشقًا و...

ومن ثم كان سوف يهم بتقبيل يد ريحانة... ألا إن صوت البائعة قاطعهما:

-احم احم... يا بيك أنا هنا... ها أريد أن أبدأ معكما.

تأفف المهدي بعدما قاطعته البائعة عن هذه اللحظة الرومانسية ومن ثم أردف:

-حسنًا، إقرائي لريحانة أنا لا أريد.

جلست البائعة على الصخرة بجوارهما ومن ثم أردفت:

-لا بل سوف أقرأ لكما سويًا في نفس الوقت، هيا أعطياني كفيكما.

سرحت البائعة أو العرافة في كفيهما ومن ثم صارت تنظر إلى كلاهما في تخوف وقلق... ومن ثم قالت ريحانة عندما بدأت تقلق من نظرات العرافة:

-ماذا ترين...؟ قولي لي لماذا تغيرت ملامحك هكذا...؟

أفاقت العرافة من شرودها وقالت:

-مهما كانت الظروف إياكم أن تتركا يد بعضكما البعض.

تذكرا أنتما واحد ولكن منقسمان على اثنين.

أنتما اثنين ولكنكما مجتمعان في واحد.

نظر لها المهدي مستغربًا متسائلًا:

-ماذا تقصدين بهذا الكلام...؟

-لا أقدر أن أقول أكثر من ذلك... ولكن عليكما الأخذ بنصيحتي.

همت ريحانة بإخراج المال كي تعطيه إياها ولكن البائعة رفضت ورحلت، في هذه اللحظة قال المهدي بصوت عال لريحانة:

-لماذا تعرضي عليها المال من الأساس إنها لم تقل شيء، إنها مجرد دجالة غبية.

-ما هذا الأسلوب الذي تتحدث به يا مهدي... قلت لك أنا أشعر بالناس جيدًا... هي امرأة نقية وصادقة ولكننا لم نعطي لها الوقت الكافي كي تشرح لنا مقصدها.

شعر المهدي بالضيق من المكان الذي هما به وقال لها:

-دعينا نمشي سويًا على الكورنيش أفضل من الجلوس ها هنا.

ردت عليه ريحانة باستسلام:

-كما تريد يا مهدي.

رن هاتف ريحانة فقامت بترك يد المهدي ورجعت خطوتين إلى الوراء كي ترد على هاتفها وكان المتصل أمها، ومن ثم التفتت فجاءة إلى المهدي وهو يتحدث لها بصوت عال، فنظرت له ريحانة نظرة صارمة كي تمنعه عن الكلام كي لا تسمعه أمها.

ولكنه غضب من نظرتها ولكنه أسرها في نفسه لدقيقتين حتى فرغ تمامًا من سيجارته التي بدأ في تدخينها كي يهدأ من غضبه للحظات، ولكنه لم يتمالك نفسه أكثر من ذلك... ومن ثم ألتفت لريحانة وسألها وهو يشعر بالحنق:

-كيف تنظري لي هكذا يا ريحانة...؟

-لم أقصد أن أجرحك لكن لا يوجد طريقة أخرى أمنعك بها من التحدث إلا بهذه النظرة.

قال لها المهدي بحنق:

-أقول لك شيء... دعينا نرحل من هنا ويعود كل منا لبيته.

صدمت ريحانة من كلام المهدي، وبهذا الطلب شعرت أن دلو من الثلج قد سقط على رأسها، وكرامتها لم تعد موجودة لأنها شعرت أنها غير مرغوب بها، فمن أجل أن تدافع عن كبريائها أردفت بعصبية:

-وهذا ما أريده أنا أيضًا... ولكن أعتبر إن هذه آخر مرة نلتقي بها.

نظر لها المهدي باستغراب... وفي قرارة نفسه يقول:

-ما الذي تقوله لي ريحانة...؟ هل هذه هي الحنونة التي سيطرت عليّ بنظرتها الحانية.

آخ... هل هذه من اعتبرتها ستهون عليّ قساوة الدنيا بطيبها وتمسكها بي.

ولكن سرعان ما أفاق من شروده ونظر إلى ريحانة التي تحولت ١٨٠ درجة وأردف محاولًا تمالك نفسه:

-إن شاء الله... لكِ ما تشائين اعتبري إن هذه آخر مرة نلتقي بها.

قال هذا الكلام على أمل أن يجد من ريحانة اعتراض على هذه الفكرة... ولكن ما حدث كان العكس وكأنه قد زاد النار بنزين.

همت ريحانة ترغب في أن تتجاوز الطريق، ولكنه نادى عليها بغضب:

-اعطيني يدكِ يا ريحانة...

ولكنها أردفت بغضب وهي تهم بالرحيل مسرعة ومعطية له ظهرها:

-لا يوجد داع سوف أعبر بمفردي.

نادى عليها صارخًا كي يوقفها:

-لا تعبري بمفردك...

لا تعودي للبيت بمفردك سأكون مع.....

ولكن ريحانة لم تصغ لما يقوله وتركته بمفرده متصلب في مكانه من ردة فعلها وهي لا ترى أمامها من هول الموقف الذي وضعت به، كيف يطلب منها أن يرحل من مكان هي به معه، شعرت بأنها تنهار... شعرت أنها غير مرغوب بها، لذا قررت أن تحمل ما تبقى من كرامتها وترحل.

تعبر الطريق ولا يهمها السيارات المسرعة، وكان بداخلها شعور تتمنى أن لا تلاحظها إحدى السيارات وتقوم بصدمها وتنهي حياتها التي تألمت بها كثيرًا ومهما ظنت أن الألم قد انتهى يأتي لها ألم جديد.

تعبر الطريق والغصة تخنقها ولكنها لا تسمح لدمعها أن يسقط كي لا يظهر ضعفها وهشاشتها وكم هي مفتتة من الداخل من كثرة الانكسارات التي تعرضت لها.

ها هي قد عبرت الطريق بعد ما انهال عليها السائقين بالسب بسبب تهورها في مرور الطريق غير مبالية، ولكن ريحانة لم تكن تسمع أي صوت أو تشعر بأي شيء يحدث حولها.

ذلك الموقف البسيط كان كفيل أن يجعلها تكره دنيتها من جديد.

أحيانًا يصير المرء بسبب كثرة الصدمات مثل الفازة التي كسرت ولكنه جمع شتات قواه ولملم كسره من جديد، ولكن مشكلة ريحانة أنها جمعت شتات كسرها ولكنها لم تضع مادة لاصقة كي تعود الفازة قوية من جديد.

بل إنها جمعتها كما هي من دون أي مادة تساعد على جعلها قوية ومتماسكة من جديد.

وهذا ما جعلها بمجرد لمسة بسيطة من المهدي أن تنكسر وتنهار.

ها هي ريحانة في الاتجاه المعاكس تنظر إلى المهدي الذي ما زال في مكانه لا يحرك ساكنًا... بالرغم من حزنها تتسأل في قرارة نفسها:

-لِمَ لم يأتي ورائي...! لِمَ لم يمسكني من يدي بقوة ويقول لي لا ترحلي... لا أستطيع أن أعيش من دونك...

يااه ... لهذه الدرجة لا أعني له شيئًا.

أقسم انني سوف أنساه، لأن هذا الموقف الذي حدث الآن يثبت مكانتي عنده، أنني ليس لدي مكان في قلبه.

موقف اليوم عَكْس ما يقوله لي تمامًا، وأنا يهمني الأفعال لا الأقوال.

نظرت ريحانة له نظرة أخيرة وهو مازال في مكانه ينظر لها.

بدأت ريحانة تشعر بالخوف من سكونه وثباته ومن ثم قالت في قرارة نفسها:

-سوف أنساك يا من احييتني وأعدتني للحياة من جديد ولكنك بما فعلته اليوم قمت بإطفاء روحي وشعلة الأمل الوحيدة التي كانت في قلبي إلى الأبد.

ركبت ريحانة سيارتها كي ترحل من هذا المكان وكي ترجع إلى بيتها.

ها هي تشعر بالانكسار وقلبها يؤلمها بشدة وتقول في قرارة نفسها:

-كم كنت أتمنى أن لا تجرحني حتى بكلمة يا مهدي، قلت لك مرارًا أنا مجهدة ... لا أحتمل شيئًا... ولكنك لم تصدق أني أصبحت لا أقدر على تحمل حتى أبسط الأمور.

من شدة المعاناة التي مررت بها في حياتي صرت أكره الحزن أو ما يسببه، أي شيء يحزنني أتركه تمامًا ولا أعود إليه، حتى وإن كان أقرب شخص إلى قلبي.

قلبي تعب من كثرة الألم، صار قلبي يبحث عن السعادة وكفى.

قلبي صار يتخوف ممن يسبب له الحزن مرة، لأن من يفعل ذلك مرة يستمر في تكرار هذا الأمر مرارًا وتكرارًا.

ها هي ريحانة تتحدث في قرارة ذاتها وهي تمسك دمعها كي لا يسقط، وتنظر إلى هاتفها وتنتظر أن تضاء شاشته باسم (مهدي).

لا تدري هل إذا اتصل سوف ترد أم لا، ولكنها ترغب بشدة أن تشعر بأن هناك من هو متمسك بها...

ولكنها عادت إلى البيت ولم يصل لها منه اتصال أو رسالة.

تمر الساعات ولا يوجد جديد.

قلبها صار يؤلمها خوفًا على المهدي.

حينها بدأت تتذكر أن المهدي قال لها مرارًا وتكرارًا:

-لا تخذليني يا ريحانة، لا تجعلي الحزن بيننا يدوم أكثر من ثوان.

ريحانة... أنا تألمت كثيرًا في حياتي لا تؤلميني أنتِ كذلك.

ريحانة أريدك مصدر حنان لي، لقد قست الدنيا عليّ كثيرًا.

لقد عانيت كثيرًا... أرجوكِ يا ريحانة كوني سبب سعادتي ولا تتركيني أبدًا.

حينها تذكرت ريحانة طلبات المهدي منها اللاتي كان يطلبها منها وعينيه قد ملأها الدمع.

وصلت ريحانة بيتها، بيتها أشبه إلى حد ما بالفيلا ولكن في منطقة غير حيوية، بيت من طابقين وحوله حديقة جميلة مليئة بالنخيل لأن ريحانة تحب النخيل كثيرًا، والعديد من الزهور الجوري اللاتي تعشقها.

ولكن في تلك الليلة لم تكن ريحانة في حالة مزاجية تؤهلها للجلوس في الحديقة، في خلوتها التي تحبها، حيث لا أحد حولها ولا يوجد أصوات ناس حولها، لا يوجد شيء تفكر فيه سوى جمال النخيل الشامخ أمامها الذي تأخذه مَثل أعلى لها في الشموخ والثبات مهما كانت الظروف قاسية.

خلوتها تلك التي تكون بالجلوس بجوار ورود الجوري التي لا تكف عن لمسها برفق، وتقول في قرارة نفسها:

آه كم أنا رقيقة ناعمة مثل تلك الورود الجميلة، كم أشتهي أن تحنُ عليّ الدنيا كما أحنُ أنا باهتمامي ولمساتي لهذه الورود الرقيقة.

جلوسها في الحديقة الخاصة بها هي الراحة الكاملة لها وذلك بتأملها في السماء سواء في بداية النهار أو في المساء، تنظر لتلك السماء الصافية وتبدأ تحكي لله عن ما بداخلها.

هي تعرف أن الله موجود في كل مكان، ولكنها عندما تنظر للسماء مباشرة في كل هذا الاتساع، تشعر أنه قريب منها أكثر وأكثر وإنه بالفعل أقرب إليها من حبل الوريد، بل تشعر أحيانا أنها تراه كما يراها.

بتأملها للسماء تصل لحالة من التجلي العالية بينها وبين الله.

وتلك الحالة تزيد أكثر عندما تتأمل السماء في المساء، حيث سكون الطبيعة وتلألئ النجوم وضياء القمر المنير، الذي تنظر إليه وتعتبره صديقها الذي ينير لها عتمة أيامها.

ولكن حينها ريحانة لم تكن ترى أمامها ودخلت مسرعة إلى غرفتها، تلك الغرفة الواسعة التي يزينها أثاث حديث وكل شيء في الغرفة قد اكتسب اللون الأبيض، إلا ملائة السرير والستارة وذاك الكرسي الهزاز الذي تداخل به لوني الأبيض والأزرق.

عشقها للأبيض والأزرق يوحيان أنها تحب الصفاء الذهني وعدم الصخب وتميل إلى الهدوء والاستقرار.

مالت ريحانة على سريرها وبكت بشدة وقالت وهي تبكي بحرقة:

-آه يا ريحانة يا أنانية، فكرتِ في نفسكِ وفي ألآمك، أخذتِ الموقف على حساب كرامتكِ وتركتِ من هو يعتبركِ طوق النجاة له في هذه الحياة التي آلمته كثيرًا.

ولكن من يشعر بي أنا...؟ حتى أنا مكسورة، أنا أتألم، حتى أنا عانيت.

لمَ مطلوب مني أن أضحي ولا أحد يضحي من أجلي...؟

سوف أضع كرامتي جانبًا وسوف أرسل له رسالة كي أطمئن عليه وكفى.

★★★

ولكن الصدمة أن الرسالة لم تصل، وهذا ما جعل قلبها يؤلمها أكثر.

حاولت أن تتصل به ولكن الهاتف كان مغلق، وهذا جعل وجع ريحانة يزيد أكثر وأكثر وانهارت باكيةً وهي تقول في قرارة نفسها:

-لا أحب أن أكون سبب في جرح أحد، لم أعتد أن أظلم أحد، لم أقصد أن أكسره، ولكن كبريائي جعلني لا أسمع صوته وهو ينادي عليّ.

بكت ريحانة... بكت أكثر وأكثر إلى أن غطت في النوم.

★★★

(٢)

في صباح اليوم التالي، تمالكت ريحانة نفسها وقررت أن لا تتغيب عن عملها، وأن لا يوقفها شيء من أن تمضي قدمًا في الحياة.

وقفت ريحانة أمام المرأة وكالعادة قامت برفع شعرها الأسود الناعم الذي به لمعة باللون الأحمر الداكن، أظن أنها اختارت هذا اللون لكي يعبر عن النار المشتعلة بداخلها بسبب ما تمر به في حياتها ولكنها تخبئ تلك النار باللون الأسود الذي يدل على أنها تظهر لمن حولها كمن تقول: "آه صحيح أنا بداخلي نار تأكل بي ولكني مسيطرة عليها وها أنا ذا قادرة على إخمادها".

لم تضع أي من مساحيق التجميل على وجهها، لأنها ترى أنها طريقة من طرق الخداع والمكر والكذب، وهي تكره التملق والكذب كثيرًا.

ارتدت زيها الرسمي لأنها تعمل في بنك.

ومن ثم خرجت وظلت طوال الطريق تحاول أن تتصل بالمهدي ولكن بلا جدوى.

ولكن بمجرد أن وصلت إلى مكان عملها اندهشت حقًا.

لقد رأت المهدي أمامها.

هرعت إليه مسرعة كي تطمئن عليه، شكله متعب كثيرًا، أي كأنه لم ينم قط.

هرعت إليه تقترب منه ومسكت يده بلهفة وهي تنظر إليه بعينها التي تتلألأ بالدمع وتسأله وهي تمرر يدها برفق فوق يده كي تطمئنه أنها ها هنا معه:

-مهدي، ماذا حل بك...؟ لمَ أنت شارد الذهن هكذا...؟

ولكن المهدي لا يحرك ساكنًا ولم يرد، لذا أكملت ريحانة قائلة:

-سامحني على ما فعلته يا مهدي، آسفة بشدة عن ما صدر مني بالأمس، يهون عليّ أن أُظْلم وأن لا أكون ظالمة.

أرجوك سامحني.

أنا كبريائي أعماني.

ولكن المهدي لا يرد، يكتفي بالنظر إلى ريحانة وكفى، وعينيه قد امتلأ بالدمع، ولكن نظرته كانت تعبر عن ما بداخله أفضل من مليون كلمة يمكن أن يقولها.

ينظر لها نظرة مكسورة توحي أن ذنبه في رقبتها.

نظرة عتاب... وجرح... وألم... وانكسار هي السبب به.

أصابت ريحانة بحالة هيستيريا بسبب نظرته ومن ثم بدأت تضربه على صدره بقبضتيها صارخة باكية:

-قلت لك آسفة يا مهدي... آسفة، أرجوك رد عليّ.

لا تقتلني بنظرتك تلك.

أقسم أني لم أقصد أن أجرحك.

لم أكن أظن أنك أضعف مني.

أنا سمحت لك أن تدخل حياتي، لكي تقويني أكثر.

ولكن اكتشفت أنك تريد مني أن أمُدك بقوة من قوتي.

وكيف أعطيك من قوتي وأنا قد نفدت قوايّ.

تُكرر الضربات على صدره وتنادي بحرقة وهي تبكي:

-رد يا مهدي أرجوك، أشعر أن روحي سوف تفارقني، لا أدري الناس الذين يظلمون من حولهم كيف يعيشون.

أشعر أني مجرمة لأني سببت لك جرح وألم في روحك.

ولكن في لحظة أمسك المهدي قبضتيها بقوة ومن ثم سحبها إلى صدره.

تلك الحركة كانت كفيلة أن تخمد النار التي بداخل ريحانة.

تلك الحركة كانت مثل السد الذي أوقف هياج الطوفان.

عانقها بشدة، وهي عانقته هامسة باكيةً:

-أقسم أنني لن أخذلك أبدًا يا مهدي، لن أتركك أبدًا، و...

ومن ثم شعرت أن جسد المهدي يتلاشى بين يدها.

تفتح عينها فتجد أن المهدي غير موجود، ولكن يوجد ناس يحملقون بها مستغربين مما تفعله بمفردها.

ظن البعض أنها تقوم بمشهد تمثيلي، والبعض ظن أنها مجنونة.

ظلت ريحانة تنظر حولها في خوف تنادي بلهفة باكية:

-مهدي أين أنت...؟ أين ذهبت...؟

لا تمزح معي يا مهدي... أنت كنت هنا... إلى أين ذهبت...!؟

ومن ثم خرت على ركبتها ساقطة أرضًا باكية بحرقة لا تهتم بمن حولها، تنادي باكية:

-يا مهدي أرجوك لا تتركني، أنا أحتاج لك... أقسم لك بذلك.

★★★

استيقظت ريحانة مفزوعة من سريرها تنادي بخوف:

-مهدي...!

ومن ثم حاولت أن تلتقط أنفاسها، كي تنظم ضربات قلبها المتسارعة.

حمدت الله أن كل ما مرت به هو مجرد حلم لا حقيقة.

ومن ثم أمسكت هاتفها، نظرت له بلهفة وتتمنى أن تجد أي شيء من المهدي كي تطمئن عليه.

ولكن لم تجد أي شيء منه، حاولت أن تتصل ولكن الهاتف مغلق.

حاولت أن تتمالك نفسها وأن تقوم من فراشها الذي نامت عليه من دون أن تشعر بنفسها.

تقوم وهي تشعر بالتثاقل.

رأسها وكأنه يزن أطنان، تحاول أن تتمالك أعصابها وأن تقف ولكن تشعر بدوار رهيب.

تحاول أن تخطي للأمام ولكن الشعور بالدوار يتملكها.

تحاول أن تستند على المكتب الذي في غرفتها.

تستند على المكتب وهي تحاول أن تنظر لضوء نافذة غرفتها المضيئة ولكن تدريجيًا صار الضوء بدأ في الانحصار، صار شعاع النور يقل أكثر وأكثر وأكثر إلى أن صار مجرد بصيص صغير من الضوء، ولكن المصيبة أنها بدأت تفقد السمع أيضًا.

لم تعد تسمع إلا صوت صفير مزعج يمنعها من سماع أي شيء حولها.

تحاول أن تلتقط أنفاسها كي تقدر على أن تنادي أمها كي تساعدها، ولكن لسانها قد تثاقل جدًّا، تحاول جاهدة بكل قواها أن تنادي على أمها وأن تمنع نفسها من السقوط، ومن ثم نادت بصوت واهن على أمها.

جاءت إليها أمها مسرعة... طبعًا أمها لم تسمع صوت مناداتها الواهن بالتأكيد فهي بالكاد سمعته عندما اقتربت منها، ولكن ما جعل أمها تستيقظ مبكرًا على غير عادتها هو صوت جهاز الإنذار المتصل بالأسورة التي ترتديها ريحانة في معصمها.

ذاك السوار يتابع حالة ريحانة الصحية... وفي حالة الخطر يرسل إشارة إنذار لجهاز التتبع الذي تملكه فيروز (أم ريحانة).

ولكن سرعان ما تحول استغرابها من صوت مناداة بنتها إلى فزع رهيب جعل قلبها يهرع من مكانه خوفًا على بنتها الوحيدة.

هرعت إلى ابنتها التي تهاوى جسدها بمجرد أن شعرت أن أمها صارت بالقرب منها.

فهذه طبيعة بشرية عندما يكون في مرحلة خطرة بمجرد أن يشعر بالأمان حينها يخر واقعًا مستسلمًا.

أمسكت بها أمها صارخة وتحاول أن تحملها إلى سريرها.

تحاول أن تجعلها تفيق من جديد، ولكن لا فائدة من ذلك.

تبكي الأم بحرقة، لأنها ترى ابنتها الوحيدة وكل ما لديها في الدنيا صارت مثل قطعة القماش البالية.

تقول فيروز وهي تبكي بحرقة:

-افيقي يا بنيتي، ماذا جرى لك يا عزيزتي...؟ أرجوكِ ردي عليا فأنا ليس لي سواكِ في هذه الحياة.

هيا يا ريحانة... ردي علي يا صغيرتي.

ومن ثم بكت أكثر وأكثر وهي تصرخ وتقول:

-ماذا عليّ أن أفعل الآن؟ إنها لا ترد عليّ.

قررت أن تتصل بالإسعاف ومن ثم بدأت تحاول أن تجعلها تفيق بأن تضربها على وجهها ولكن لا يوجد أي تحسن.

سكبت على وجهها الماء ولكن لا فائدة من ذلك.

حاولت أن تجعلها تشرب القليل من عصير ما... ولكن فم ريحانة كان مغلق تمامًا، والعصير قد سكب حول فمها وعلى ملابسها.

وأعصاب أمها لم تعد تتمالكها.

إلى أن جاءت الإسعاف وقاموا بنقلها إلى المشفى.

وهناك قاموا بفحصها وعمل التحاليل لها وعلقوا لها المحاليل اللازمة.

تهرع الأم للطبيب الذي كان متخوف على حالة ريحانة في بداية الأمر.

تسأل أمها الطبيب بلهفة:

-أرجوك يا طبيب طمني على بنتي، مر وقت وأنت لا ترد عليّ، هل حالة ابنتي خطرة...؟

رد عليها الطبيب مطمئن إياها بصوت رخيم وهو ينظر إلى الفحوصات الخاصة بريحانة.

-الصراحة يا أستاذة فيروز... أنا لم أرد عليكِ إلا بعد أن تأكدت من الإشاعات والتحاليل الخاصة بريحانة.

لم أحب أن أقلقكِ بظنوني وشكوكي، ولكن حمدًا لله أن ظنوني خاطئة لأن الإشاعات والتحاليل تثبت أن ابنتك لا تعاني شيء، يمكن إنها مرت بتلك الحالة بسبب ضغط نفسي أو تعب نفسي هي تمر به.

-وما هي كانت ظنونك يا طبيب...؟

- لا داعي لذكرها... فما هي إلا مجرد ظنون، ويكفي أن اطمئنك أن حالة ابنتك جيدة ولكنها ستبقى في المشفى ليومين كي يتحسن وضعها، ولكن أطلب منك أن لا تضعي ابنتك تحت أي ضغوط نفسية.

-ولكنها هي وحيدتي ولا أقصر معها في شيء.

- إن حالتها تلك تعكس أن نفسيتها ليست على ما يرام... قد يكون السبب في ذلك تجربة عاطفية انتهت بالفشل، إن بعض الفتيات يمرن بهذه الحالة عندما يهجرهن احبائهن بعدما يكسروا قلوبهن.

- ولكن يا طبيب إن ابنتي صديقتي لا تخبئ عني شيئًا.

-حسنًا، سيكون السبب إذًا كما قلت لكِ، تعب نفسي بسبب أسرتها أو المحيطين بها.

- صحيح يمكن ذلك، لأني أنا وزوجي منفصلين، ولكنها لم تشتكي قط من هذا الوضع.

-انصحك أن تجعلي ابنتك تتابع مع طبيب نفسي، يمكن أن تكون ابنتك من النوع الذي لا يحب أن يبوح عن ما بداخله.

شكرت الأم الطبيب وذهبت لكي تجلس بجوار وحيدتها التي صارت مثل الوردة الذابلة في ليلة وضحاها.

تنظر لقطرات المحلول التي في كل مرة تسقط قطرة من المحلول تسقط من عينها دمعة حزنًا على حال بنتها ريحانة.

تمسك يد ابنتها التي يتخلل عروقها تلك الكانيولا اللعينة التي تشعر بأنها مثل السكين الذي غرس في قلبها.

تهمس لريحانة وهي تمسح على شعرها:

-آه يا صغيرتي يا ليتني متت بدلًا من أراكِ في هذه حالة.

يا ليتني أنا ولا أنتِ يا صغيرتي.

آه يا حبيبتي كل هذا في قلبك ولا تقولين لي...

كل هذا تعب تحمليه في قلبك ولا تدعي أحد يشعر بكِ.

وما فائدتي أنا يا صغيرتي إن لم تشاركيني أحزانك وآلامك.

ومن ثم تقبل يد ريحانة ودموعها الساخنة تنزل على يد ريحانة ولكنها تشعر أن يد أخرى قد وضعت على رأسها وتمسح عليها برفق وبوهن كبير.

ترفع رأسها فترى ابنتها ريحانة تنظر إليها وقد امتلأت عينيها بالدمع ولكن بمجرد أن التقت عين ريحانة مع أمها ازاحتها عنها كي لا تراها أمها في حالة ضعفها تلك.

لم تعتاد ريحانة أن تبكي أمام أحد.

لم تعتاد أن تضعف أو أن تظهر مكسورة.

قامت فيروز مسرعة ومسحت دمع ريحانة.

دمع ريحانة الساخن الذي يوحي بالنار التي تلتهمها من الداخل.

تقبل أمها رأسها بلهفة وتقول لها:

-آه يا حبيبتي، آه يا ريحانة، آه على وجع قلبي عليكِ يا نور عيوني وروحي وعبق حياتي.

اشكِ واحكِ لي يا صغيرتي ما بداخلك.

اطلبي وتمني يا صغيرتي ماذا في خاطرك وسوف أفعله لكِ.

تمالكت ريحانة نفسها وهمست:

-أنا بخير يا أمي، ولكن قولي لي ماذا حدث...؟ أنا لا أتذكر شيء سوى أني فقدت حاستي السمع والبصر واختفى كل شيء من أمامي.

-لا أدري يا صغيرتي ماذا حل بكِ...! ولكن الأطباء طمئنوا قلبي على حالتك وقالوا لي أنكِ بخير.

-ما دمت أنا بخير فلنخرج من هنا... أنتِ تعرفين يا أمي أني أكره جو المشفى كثيرًا، وأنا حتى لا أحب الأدوية.

-أعرف يا صغيرتي ولكن الطبيب قال يجب أن تظلي ها هنا يومين كي تعود لكِ عافيتكِ من جديد.

تنهدت ريحانة وقالت بصوت غلب عليه الوهن:

-أرجوكِ يا أمي، دعيني أرحل من هنا، هذا المكان يجعلني أشعر بالضيق أكثر.

ها أنا بخير وأتكلم معكِ، ها أنا ذا قوية كما أنا، يمكن كل هذا حدث لي لأني لم آكل من الأمس، إنها مجرد حالة هبوط.

حاولت أمها أن تهدأ من روع ابنتها وقالت لها هامسة:

-ريحانة، كفي عن مكابرة، إن سقوطك ووصولك لتلك الحالة يظهر لي كم التعب الذي تخفيه عني، بل الطبيب قال لي عليّ أن أجعلك تتابعين مع طبيب نفسي.

-أمي أرجوكِ، لا تسمعي لكلام الأطباء فهم لا يقدمون نفعًا ولا يؤخرون بل إن في أغلب الأحيان يزيدون الحالات سوءًا، وأزيدكِ من الشعر بيت إن الأطباء النفسيين هم مجانين أكثر من المجانين الذين يعالجونهم.

قهقهت الأم ضاحكة وأردفت:

-هههه، آخ منك يا ريحانة، لن تكفي أبدًا عن السخرية من الجميع حتى وأنتِ في حالتكِ تلك.

-وما هي حالتي يا أمي...! دعكِ من كلام الأطباء، كلها مجرد ترهات، كل ما في الأمر أريد أن آكل.

هيا دعينا نخرج من هذا المكان الذي يزيد السقيم سقمًا، ويجعل المريض النفسي يعاني أضعاف مضاعفة مما يعاني.

-ولكن يا ريحانة...

-أمي، لا أحب أن أكرر كلامي كثيرًا.

إن لم توافقي على ما أقوله لكِ، سوف أقوم أنا من هذا السرير وأزيل هذا المحلول من يدي بنفسي.

-حسنًا حسنًا، سوف استدعي إحدى الممرضات وسوف نخرج، لكِ ما تشائين يا صغيرتي، لا يهمني سوى راحتكِ.

خرجت ريحانة وأمها من المشفى، وريحانة تحاول جاهدة أن تتظاهر بالقوة وأنها لا يهزها ريح.

نظرت لها أمها وقالت هامسة:

-هيا بنا سنعود إلى البيت يا صغيرتي.

نظرت ريحانة لأمها بتلك النظرة الشقية التي ترفع إحدى حاجبيها تعبيرًا عن اعتراضها على هذا الكلام ومن ثم أردفت:

-أتمزحين يا أمي، ألا تشعرين بنسمات البحر تداعب وجهنا وتجعل خصلات شعرنا تطاير تنادينا لكي نقترب منه...؟

-عندك حق يا بنيتي إذًا هيا بنا لكي نذهب ونتناول الطعام في أي من المطاعم التي تطل على البحر.

-أمي، ما رأيك أن نتناول شطائر الكبدة من تلك العربة.

-أجننت يا ريحانة...! أتريدين أن يحدث لكِ شيء بسبب ذلك الأكل المليء ب...

قاطعتها ريحانة قائلة وقد رسم على وجهها ابتسامة كبيرة وهي تتنسم رائحة الكبدة الاسكندراني:

-ملئ بكل حب، أتريدين أن أكون بخير، دعيني أكل من هنا، صدقيني لا أشتهي الأكل في أرقى المطاعم، أتصدقين...؟ حتى الكبدة التي أعشقها من المطاعم تكون غير ممتعة أيضًا، إن المتعة واللذة في تلك العربة البسيطة يا أمي.

-لا أدري يا بنيتي لمَ أنتِ هكذا، حتى أنكِ جعلتِنا نبيع شقتنا التي تطل على البحر لكي نعيش في بيت في منطقة غير حيوية بالمرة.

-يكفي أن لنا بيت كبير نعيش فيه بمفردنا لا يشاركنا به أحد، لا بواب ولا جيران، البيت حتى وإن كان في قرية هو مملكة خاصة أفضل بكثير من شقة موجودة بجوار الكثير من الناس.

البيت مملكة لكِ وحدكِ يعني لا تشغلي بالك بمن يسكن فوقكِ أو من بجوارك، يكفي حديقة بيتنا يا أمي.

-المهم يا صغيرتي أني سوف أفعل كل ما بوسعي كي أجعلكِ سعيدة في حياتكِ.

ومن ثم قامتا بشراء الشطائر ثم جلستا على الصخور أمام البحر مباشرة.

أردفت الأم مستغربة:

-يا إلهي، ما هذا يا ريحانة ما هذه الجرأة تجلسين على الصخور لمَ لا نجلس على جدار الكورنيش يا بنيتي...؟

قالت ريحانة وهي تهم بالأكل:

-هنا أفضل حيث لا يوجد أحد.

لا أريد أن أرى أحد، أريد أن أفصل عن كل شيء، يكفيني البحر صديقي الوحيد الذي أبوح له كل ما بداخلي، أتعلمين لمَ أبوح للبحر فقط...؟

-لمَ يا بنيتي...؟

-لأني أعلم جيدًا بأنه لن يخذلني أبدًا ولن يفضح سري، ولن يعايرني بضعفي وانكساري، إنه صديقي الذي يسمع لي ويهون عليا قسوة الدنيا بجماله.

أنظر له فينظر لي ويهمس لي بصوته قائلاً: "كل شيء سيكون جميل مثلي".

فأقول له كم أنت مغرور أيها البحر ولكنك على حق.

ضحكت أمها وقالت لها:

-أنتِ متأكدة يا ريحانة أنكِ لا تحتاجين إلى طبيب نفسي...؟

-هههههه، ها قد رأيتِ بنفسك الآن لمَ لا أبوح لأحد بما في داخلي حتى أنتِ يا أمي، لا يوجد أحد يعلم أو يشعر بما يدور بداخلي.

تغيرت ملامح الأم عندما شعرت أنها جرحت بنتها بمزاحها وأردفت وهي تربت بيدها على كتف ابنتها:

-ولكن يا بنيتي أنا أمز...

قاطعتها ريحانة قائلة:

-إن الشطائر طعمها لذيذ، هيا كلي معي، إن لم تأكلي معي الآن، أقسم لكِ أني سوف آكل حصتك.

ابتسمت الأم وقالت متعجبة:

-آه منكِ يا ريحانة، لمَ تمثلين كل هذه القوة والصلابة، لمَ دائمًا تظهرين أنك أسعد إنسانة في الكون لمَ لا تكفين عن رسم الابتسامة على وجهك...؟

-وماذا سوف استفاد إن استسلمت للحزن...؟ لن أنكسر يا أمي، مهما حدث لي... لن أنكسر ولن أحزن، إن الحزن لن يجد مكان في حياتي، أقصى مدة للحزن عندي هي بضع ساعات ومن ثم مع السلامة، وأهلًا بالسعادة

التي أحبها، حتى وإن كانت غير حقيقية ومزيفة، على الأقل إن السعادة المزيفة طعمها ألذ من الاستسلام للضعف.

يا أمي أنا شامخة وسأظل هكذا إلى الأبد.

-ولكن يا بنيتي ما حدث اليوم يدل على العكس.

-هذا ليس ذنبي، إن جسدي قد خذلني، ولكن روحي لم تخذلني، أنا شامخة قوية وسأظل هكذا دائمًا وأبدًا.

-أسفة يا بنيتي، أعرف أنني مهما أفعل لكِ لن أعوضكِ عن ما سببته لكِ باختياري السيء.

-لا يهم يا أمي، لا يوجد أحد في الدنيا يأخذ كل شيء.

استحالة يكون لي أب ذا مكانة كبيرة في الدولة، وأم جميلة مثلك سيدة أعمال، وأعيش أمام البحر مباشرة، ومن ثم أسعد في حياتي.

الله أعطاني كل شيء ولكن لم أشعر بنعمة الأسرة الكاملة المترابطة.

-أعرف يا بنيتي إن تلك المواقف التي مررتِ بها في طفولتك أثرت عليكِ.

-أقسم لكِ يا أمي إن ما مررت به أثناء طفولتي كوم وما أمر به الآن كوم آخر.

أعلم أن أبي لم يحبكِ قط وأنكِ لم تحبيه كذلك، وبسبب عدم تفاهمكما دمرتما طفولتي بسبب كثرة خلافاتكما وصراخكما على بعضكما البعض لأن كلاكما في نظر بعض بصورة خاطئة.

ولكن ما ذنبي أنا قولي لي.

لماذا أبي لم يعد يسأل عني قط بمجرد ما قررتِ أن تنسحبي من تلك الحياة وطلبتِ الطلاق...؟

إذا كان يكرهكِ أنتِ فأنا لا ألومه على ذلك لأن الحب ليس بيدنا بل هو شعور يدخل القلب ليس لدينا أي يد به.

ولكن أنا، أنا من لحمه ودمه، شعور مؤلم جدًّا أن تشعر إنك لا تشكل أهمية لأحد، ولكن المصيبة الأكبر أن يكون هذا "الأحد" هو "أبي".

آه يا أمي آه، قلبي ينفطر في كل مرة أتذكر نظرة الكره التي كان أبي ينظرها إليّ.

لمَ كان يكرهني هكذا...؟ لمَ كان يشعرني بأنه نادم على تلك الغلطة التي قام بها.

-إن والدكِ طماع يا ريحانة، لا يفكر إلا في ذاته وكفى، إنه طمع بي عندما وجدني جميلة جدًّا ففتن بجمالي ولكن ما جعله يتمسك بي ويتقرب مني هو أنه عندما سأل عن عائلتي وعرف أن لدينا الكثير من الممتلكات طمع في هذا النسب.

ولكن بصراحة لن أكذب عليكِ أنتِ كبيرة الآن، أنا احببته حقًا وأعجبت به، والدكِ كان وسيم حقًا، مثل أبطال السينما تمامًا... كان رائد حينها، لذا وافقت عليه ولمَ أرفضه ليس به عيب أبدًا...!

-أنا مستغربة حقًا، منذ أن وعيت على هذه الدنيا وأرى أن أبي يعاملك معاملة سيئة لمَ لم تطلبي الطلاق من البداية بدلًا من هذا الجحيم...؟

-آه يا ريحانة، لقد طلبت كثيرًا يا حبيبتي ولكنه لم يوافق قط لأنه عندما تزوجنا أحب أن يظهر بأنه أهِل أن يناسب عائلتي وكتب مؤخر كبير جدًّا لكي يثبت لي أنه لن يستغنى عني أبدًا.

في بداية زواجنا كانت الأمور على ما يرام إلى أن بدأ يطلب مني أن أقوم بعمل توكيل له كي يكون له حق في التصرف في ممتلكاتي.

بصراحة أنا لم أكن من نوع النساء الغافلات اللاتي يستطيع الرجال أن يكذبوا عليهن.

رأيت في عين أباكِ المكر يشر من عينيه، ووجهه الحقيقي قد ظهر لي، بدأ يقترح علي مشاريع كثيرة وأنه هو من سوف يديرها وسوف تأتيني الأرباح من دون أن أتعب في شيء.

ولكني لم أسمح له بذلك، قلت له: "نحن زوجين وشركاء حياة ولكن لا أحب أن نكون شركاء في المال أو العمل".

منذ حينها صار يعنفني ويقول أنني لا أثق به ولا أعتبره شريك حياتي، لأن شريك الحياة يجب أن يشاركني في كل شيء.

حينها قلت له: "إذا قمت بعمل توكيل لك... أنا كذلك أريد توكيل لي... كي يمكنني أن أتصرف في ما تملك"، ولكنه حينها رفض.

أوضحت له أننا من الأفضل أن لا نتدخل في الأمور المالية الخاصة بنا، كل شخص حر بممتلكاته.

حينها شعر أنه وقع في الفخ، ندم على تلك الخطوة التي أخذها في حياته.

شعر أنه هو من أدخل نفسه القفص وأغلق على نفسه بيده.

كان يظن أني تلك المرأة الجميلة البلهاء، ولكني لم أكن بلهاء قط.

ها هو لم ينجح في الحصول على تلك الصفقة، وفي نفس الوقت لا يستطيع أن يطلقني كي لا يخرج من تلك الزيجة خسران تمامًا.

لذا قرر أن يبدأ في تعنيفي وأن يعاملني معاملة سيئة كي أقوم أنا بالخلع وأتنازل عن كافة حقوقي، بل وأدفع له ما دفعه لي من مهر كذلك.

إن أباكِ طماع حقًا و...

-لا تقولي أبي، إنه زوجك أنتِ، واختيارك أنتِ، لا تنسبيه إليّ، يكفي الضرر الذي لحق بي بسبب سوء اختيارك.

-حسنًا يا ريحانة، القصة وما بها أني كنت اتألم حقًا بسبب معاملته السيئة لي، ولكني كنت أصبر وأتحمل من أجلكِ، أنا حملت بكِ بعد شهر

من الزواج، لم أرغب قط في البداية أن أطلق كي لا تعاني أنتِ بأن تنشئي في أسرة مشتتة.

-أهذا هو السبب يا أمي...؟

-وهناك سبب آخر يا ريحانة... الحقيقة يا بنيتي... أني أحببته... أحببته حقًا بالرغم من سوء طبعه وقسوته، كم دعوت الله أن يهديه وأن يحبني كما أحبه.

ولكنه لم يحبني بل أحب ما لدي من المال الذي تركه لي أبي التاجر الكبير.

كنت أتمنى يا ريحانة أن تأتي للدنيا فتجعلينه يتعلق بي أكثر ويحبني أكثر ولكن بقدومكِ إلى الدنيا زاد نفوره مني وكرهه لي عندما شعر أن هناك ما يربطه بي.

أقسم لكِ إنه كان يضربني كثيرًا أثناء حملي بكِ كي يسقط حملي وأن لا تأتي للدنيا ولكن شاء الله أن تأتي للدنيا لتكوني أنتِ سبب سعادتي ونور لحياتي.

-كيف لأهلكِ أن لا يأخذوا حقكِ من هذا الرجل الذي يسمى "أبي" بل أقصد "أحمد مدكور".

-لمْ أستطع قط أن أشكِ لهم سوء معاملته لي، لأني أنا من وافقت عليه، كان اختياري.

أنا وأبوكِ كنا قصة حب ولكنها قصة قصيرة وسرعان ما تحولت إلى ارتباط رسمي بعد شهر من اللقاء الأول.

-أنتِ وأبي قصة حب...! كيف ذلك...؟ لم أجد اثنين يكرهان بعض مثلكِ أنتِ وأبي.

-هذا ما ظننته يا بنيتي، هكذا خيل لي عقلي.

-يااه يا أمي، ها أنا عمري ٢٢ عامًا ولم أفكر قد أن أسألك عن علاقتك بأبي، وكأني اكتفيت بما أظهرتماه لي في طفولتي.

-مهما أعتذر لكِ يا صغيرتي لن أصلح ما أفسدته بداخلك.

-أتعلمين يا أمي...! بسبب تجربتك الفاشلة تلك جعلتني أكره فكرة الارتباط، صارت لدي عقدة وتخوف من أن أكرر نفس تجربتك المؤلمة.

وخوفي الأكبر أن لا أضر نفسي فقط بخوضي هذه التجربة الفاشلة بل أن أضر غيري بها، مثلما فعلتِ أنتِ، ضررتِ نفسكِ بهذا الزواج الفاشل وضررتِني أنا كذلك بأنكِ جعلتني نشئت في أسرة بينها كره وبغض وليست مبنية على المودة والرحمة.

لا يوجد لدي إخوة، وحيدة أنا في هذه الدنيا.

ليس لدي أب وليته كان ميت لما كنت أعاني مثلما أعاني أنا بوجوده ولكنه لا يبالي بي.

آه دعكِ من كل ذلك، هيا قولي لي كيف تعرفتِ على أحمد مدكور...؟

-سأحكي لكِ يا صغيرتي، كنت أجلس في إحدى المقاهي التي تطل على البحر مباشرة في إحدى النوادي وأشرب فنجان القهوة الخاص بي وأقرأ الجريدة، فأنا أحب أن أقرأ الأخبار ولا أحب أن أسمعها.

كان يجلس في الطاولة التي أمامي شاب وسيم حقًا ذا عينين سوداوين وشعره ناعم أسود داكن وذا شارب كث ولحية حليقة تمامًا.

عينيه تنظر بصرامة وحزم، طويل جدًّا وعريض، من هيئته استنتجت إنه ضابط، وإن لم يكن ضابط، فعليه أن يكون ضابط.

ظل يرمقني بشدة وهو يحتسي قهوته، في كل مرة أرفع فيها نظري عن الجريدة أراه يحملق بي، لدرجة أني تخوفت من نظرته لي ولكن وجدت أن الموضوع زاد عن حده، فقمت بتغيير الطاولة الخاصة بي.

ولكن الصدمة أن بعد دقيقتين من تغيري للطاولة وجدته يسحب الكرسي الذي أمامي وجلس، حينها لم أتمالك نفسي أكثر من ذلك وقلت له بحنق وغيظ:

-من أذن لك أن تجلس معي...؟

ولكن الصدمة أنه لم يرد عليّ بل اكتفى أنه عدل من جلسته ووضع ساق على ساق، وهذا ما جعلني استشيط غضبًا ومن ثم أردفت:

-لمَ تراقبني...؟ من أنت...؟

رد عليّ بثبات انفعالي وهو يخرج سيجارة ويقوم بإشعالها ومن ثم نفث دخانها ورد ببرود:

-أنا الرائد أحمد مدكور.

-ولمَ تحملق بي أيها الرائد، هل ترى أن وجهي مشتبه به.

لم أكن أنظر إليكِ، بل كنت أطالع الأخبار الموجودة في الجريدة.

-يااه إلى هذه الدرجة نظرك حاد...!

-المسافة بينا متر لا أكثر.

-لو كنت أعرف ذلك كنت أعطيتها لك.

أكمل السيجارة ومن ثم نفث الدخان وكأنه لا يستطيع أن يتكلم إلا بعد أن يأخذ نفس من تلك السيجارة اللعينة ومن ثم أردف:

-وهل تظني أني لا أستطيع أن أشتري جريدة...!

ولكن كل ما في الأمر أنا أحببت أن أتابع ما في الجريدة وهي معكِ.

نفث المزيد من الدخان وأردف مبتسمًا ابتسامة بها القليل من الغرور التي جعلت وجهه القمحي الفاتح يزداد نورًا:

-إنها تجربة جديدة أن أتطلع إلى جريدة يمسكها أحد ما.

نظرت ريحانة إلى أمها وهي تتحدث عن زوجها باسمة، من ثم أردفت ريحانة متهكمة:

-أرى قد رسمت ابتسامة على وجهك يا أمي، أهذا هو الذي تكرهينه...!

-إن البدايات يا بنيتي دائمًا تكون سبب فرحتنا حتى وإن انتهى الأمر بالخزي، ستظل ذكرى البدايات سبب سعادة لنا مهما مر الكثير من الوقت.

-حسنًا يا أمي أكملي ماذا حدث بعدها...؟

-بصراحة يومها أعجبت بشكله وتصرفاته وابتسامته، لذا ابتسمت وقلت له:

-تشرفت بك أيها الرائد، وها أنا أهديك هذه الجريدة، لأني أكملت قراءة ما يهمني منها وأحتاج أن أرحل الآن.

حينها تغيرت ملامحه فجأة وأخذت ملامح الجد ترسم على وجهه وقام بإطفاء سيجارته مسرعًا وأمسك يدي كي يوفقني قبل أن أبتعد عنه.

نظرت له بدهشة ونظرت ليده ومن ثم عينيه وأردفت:

-أترك يدي لو سمحت...

أقسم أني كنت أرسم على وجهي ملامح الضيق ولكن أنا بداخلي كنت سعيدة جدًّا، وقلبي كان يتراقص فرحًا من تلك التصرفات التي تصدر من أحمد.

ترك يدي مسرعًا وقال متلهفًا:

-هل سأراكِ مجددًا...؟

تصنعت الاستغراب وسألته:

-ولِمَ تريد أن تراني مرة أخرى...؟

سكت لبرهة، حينها بدأ قلبي يشعر بالخوف من أن أكون أحرجته وأن لا يكرر الطلب مرة أخرى.

ولكن سرعان ما نظر لي مجددًا وهو يقف مكانه ومن ثم أردف وهو يمشي بجانبي خارجًا من المقهى:

يا... آه صحيح ما اسمكِ...؟

-اسمي فيروز عاصم الملواني.

-حسنًا يا فيروز، أنا...

قاطعته مستغربة ولكن السعادة كانت تغمرني حقيقة، حتى أني كنت أحاول أن أتمالك ابتسامتي من أن تفضحني وأردفت متماسكة:

-ماذا...؟ تقول لي فيروز من دون أي ألقاب...!

نظر لي بثقة ومن ثم سحب سيجارة أخرى من علبته وأردف وهو ينظر للبحر:

-وما فائدة الألقاب بيننا وسوف يأتي يوم من الأيام وسوف نلغيها.

نظر لي بثقة وهو ينفث الدخان للأعلى وأردف:

-ليس لدي في اللف والدوران، أنا هنا جديد في الإسكندرية، وها أنا قابلتك بمجرد وصولي، إنها صدفة جميلة، وبصراحة أحببتها وأريد أن تتكرر من جديد.

-ولكن لمَ تريد ذلك...؟

-لكيّ أقرأ جريدة الغد وأن تمسكيها لي.

ومن ثم ضحك وهو يرفع رأسه لأعلى، ومن ثم مسح بيده على شعره وأردف، ولكني أقسم أني لم أسمع ما قاله لي لأن بمجرد ما أن سمعت ضحكته ورأيته وهو يمسح شعره الناعم توقف كل شيء من حولي، لا أسمع شيء ولا أرى شيء سواه، إلى ان طقطق أصابعه أمامي وأردف:

-فيروز، أنتِ لا تردي عليّ أعتبر أن صمتك علامة موافقة، حسنًا غدًا في نفس المكان الثامنة صباحًا.

نظرتُ له بابتسامة ولم أرد عليه بل تركته وعدت إلى بيتي الذي لا يبتعد كثيرًا عن المقهى الذي كنت به.

كنت أمشي على الرصيف ولكني أشعر أني أطير، إن أحمد بمواصفاته فاق فارس الأحلام.

لا يوجد به عيب يا ريحانة، لا في الخارج ولا في الداخل.

من الخارج إن كان نبينا يوسف أخذ نصف جمال العالم فإن أحمد قد أخذ النصف الآخر.

ومن الداخل شخصيته جذابة ومميزة.

أمشي في الشارع والسعادة قد شكلت هالة حولي وأقول في قرارة نفسي: "وجدت فارس أحلامي".

ومن ثم دُرت في الشارع من شدة سعادتي ولكني عندما التفتت رأيت أحمد خلفي ينظر لي مبتسمًا قائلًا:

-هل يمكن أن أعرف سبب سعادتكِ لهذا الحد...؟

هنا أحمر وجهي تمامًا، قد تحول بياض بشرتي إلى حمرة الخجل وذلك بسبب الموقف المحرج الذي وقعت به، التفت وصرت أمشي مسرعة وهو يضحك خلفي مناديًا عليّ:

-لا تسرعي هكذا يا فيروز، انتبهي... يمكن أن تقعي بسبب ذاك الكعب الذي ترتدينه أيتها القصيرة.

نظرت إليه قائلة بحزم وأنا أشر على نفسي:

-أنا قصيرة أيها الرائد...؟

نظر لي ضاحكًا بسخرية وهو يكور أنفه الصغير مردفًا:

-آه صحيح لستِ قصيرة.

حينها هززت رأسي في رضا ولكنه أردف قائلًا:

-بل الحقيقة أنكِ قصيرة جدًّا.

ومن ثم قهقه ساخرًا.

شعرت بالإحراج وتركته ولكن بمجرد أن التفتت بدأت في الضحك، كم هو ذا روح مرحة.

وسمعته يقول:

-على موعدنا غدًا أيتها القصيرة.

نظرت له وقلت:

-أنا لست قصيرة بل أنت طويل.

وبالفعل تكررت مقابلتنا لمدة شهر في نفس المكان ولكن سرعان ما فاجأني بأنه يريد أن يخطبني.

صراحة استغربت ولكن لم أستطع أن أرفض، فأنا أبادله نفس الشعور.

وتمت خطبتنا بعد شهر من اللقاء الأول وتم الزواج بعد ثلاث شهور فقط.

وعشت معه شهر العسل وكنا بالفعل أسعد اثنين في العالم ولكن كما قلت لكِ... بدأ يتضح لي وجهه الحقيقي.

-حسنًا ولكن ما جعلكِ تتحملين العيش مع رجل تكرهينه سبع سنوات...؟

-لم أكرهه أنا كنت أحبه، ولكنه أساء معاملتي، تحملت سوء معاملته من أجلكِ، وتحملت ضربه وخيانته لي، ولكن عندما علمت أنه تزوج عليّ حينها لم أعد أحتمل أكثر من ذلك، لذا قررت الانفصال.

-أبي كان يخونكِ يا أمي...؟!

امتلأت عيناها بالدموع وأردفت:

-إن أباكِ لم يترك طريقة في الكون للأذى إلا وأذاني بها.

ربتت ريحانة على كتفها وأخذت أمها في حضنها كي تهون عليها ومن ثم أردفت:

-كفى يا أمي لا داعِ أن تتذكري المزيد، كل هذا ماضي وانتهى، دعينا نكمل أكلنا ونعود للبيت كي نرتاح.

مسحت فيروز دموعها ومن ثم نظرت لريحانة وقالت وهي تمسك يدها برفق وتنظر لعينيها بحب:

-ها أنا ذا يا ريحانة حكيت لكِ ما لم أحكيه لكِ من قبل، ها أنا شكيت لكِ يا صديقتي، هل يمكن أن تحكي لي سبب وجعك الكامن بداخلك.

-دعينا يا أمي من الكلام، هيا نكمل أكلنا ونرتاح في البيت وأكيد إذا وجدت ما أحكيه سوف تكوني أنتِ أول من أفضفض له.

علمت فيروز أن ريحانة تسايرها وكل الفضفضة التي باحت بها لم تغير شيء من طريقة تفكيرها.

★★★

(٣)

اتصلت فيروز بالسائق الخاص بها ومن ثم ركبتا السيارة وعادتا إلى البيت ولكن ريحانة اعتذرت عن الجلوس مع أمها وطلبت منها أن تتركها في غرفتها بمفردها كي ترتاح قليلًا.

حاولت ريحانة أن تتصل بالمهدي ولكن بلا جدوى، تركت له رسالة مضمونها:

"أنا أحتاج إليك بشدة يا مهدي، أعطني فرصة واحدة، لقاء واحد ومن ثم أفعل ما تشاء".

ومن ثم أخذت تبحث على الإنترنت على طريقة ما لأرسال رسالة لشخص ما من دون أي وسيط، فوجدتْ فكرة التخاطر، يمكنها من خلالها أن تجعل من تفكر به يفكر بها.

جربت طريقة التخاطر وكان لديها أمل أن تجد هاتفها يضيء باتصال من المهدي ولكن بلا جدوى.

ولكن من بحث لآخر وصلت لطريقة أخرى أنها يمكن لروحها أن تقابل روح من ترغب به في أي مكان وفي أي وقت عن طريق فكرة الإسقاط النجمي.

يوجد البعض يقول إنها حقيقة وبالفعل يتمكن المرء من مقابلة أي روح في العالم سواء موجودة حاليًا أو كانت موجودة في الماضي، إن الأرواح لا يقيدهم زمان أو مكان.

ولكن يوجد البعض يقول إن فكرة الإسقاط النجمي ما هي إلا حالة من التأمل تمكنك أثناء نومك من رؤية من تشاء أثناء منامك ومعروف أن المنام يعتمد على الروح وكفى.

قالت ريحانة في قرارة نفسها:

-لا يهمني إن كانت حقيقة أم مجرد حلم، الذي يهمني أن أقابل المهدي وأتكلم معه.

ومن ثم أخذت تقرأ أكثر وأكثر عن كيفية تحرر الجسم الأثيري (الروح) من الجسم المادي (الجسد).

كان أهم سبب لحدوث الإسقاط النجمي هي قدرة الشخص على التأمل... وكانت ريحانة بالفعل لها سنة كاملة تمارس التأمل بشكل مستمر، أغلب يومها في الحديقة تتأمل في السماء أو تذهب للبحر للتأمل وكفى.

كانت الطريقة أن تظل على سريرها ممددة على ظهرها وتبدأ ترخي جسمها تمامًا ومن ثم تتأمل بأن هنالك بندول يتدلى من سقف غرفتها... ومن ثم تجعل عينها تذهب ذهابًا وإيابًا مع حركة البندول وعليها أن لا تشتت تفكيرها بشيء سوى البندول... البندول وكفى.

ومن ثم تدريجيًا يبدأ الجسد الأثيري في التحرر ويعلو أكثر وأكثر.

وبالفعل ها هي ريحانة تمكنت من التجربة وها هي تنظر لجسدها النحيف ممدد على السرير في حالة استرخاء تام أشبه بالنوم.

ومن ثم قالت ريحانة في قرارة ذاتها:

-لكن أين المهدي الآن وماذا حدث معه؟

فجأة وجدت نفسها على البحر... أمامها المهدي بأس حزين ويأس ومن ثم في لحظة انفعال أمسك الهاتف الخاص به وقام برميه في البحر، ومن ثم كان الوقت بعد المغرب يعني الظلام قد حل، بعد لحظة من رمي المهدي لهاتفه قرر أن يرمي نفسه وراءه، همت ريحانة صارخة تمنعه، حاولت أن تجري اتجاهه لكي تمسكه وقالت صارخة:

-لا يا مهدي، لاااااااا.

★★★

-مهدي...

أفاقت ريحانة وهي تنادي على اسم مهدي من جديد ولكنها تفاجأت... لأنها وجدت نفسها على سريرها في غرفتها ومن ثم سألت نفسها في استغراب:

-ماذا حدث معي...!؟ هل ما مررت به تجربة حقيقة أم مجرد منام... لا إنه ليس حقيقة... أنا متأكدة أن مهدي بخير... وأن ما رأيته ليس منام بل كابوس... كابوس شنيع... كان الظلام يحيط بها من كل اتجاه، وهناك هواء شديد البرودة يداعب وجنتها... يبدو أن الهواء هو السبب في إيقاظها... ولكنها لم تعر انتباهها للظلام الذي حولها فهي متعبة جدًّا لا تقدر أن تمد يدها لكي تنير ضوء الأباجورة بجوار سريرها.

اكتفت بوضع الغطاء على رأسها كي تحجب ذلك الهواء البارد الذي يسلب النوم من عينها.

ولكن سرعان ما تحول اتجاه الهواء وصار يدخل من أسفل الغطاء عند قدميها.

ولكنها عدلت من وضع نومها كي تحجب دخول الهواء من أي اتجاه أخر.

ولكن راحتها لم تدم طويلًا فسرعان ما بدأت تسمع صوت صرير النافذة بسبب الهواء.

النافذة تصدر صرير مزعج ببطء شديد وهذا كان كفيل أن يسلب ما تبقى من النوم من عينها.

ولكن الصرير بدأ يزداد أكثر وأكثر إلى أن بدأت النافذة في الغلق والفتح مرارًا وتكرارًا بشدة بسبب قوة هبوب الرياح.

صوت ارتطام النافذة كان قوي جدًّا مما سبب الرعب في قلب ريحانة الرقيق.

حينها قررت أن تستجمع قواها وأن تهم بأغلاق تلك النافذة.

وبالفعل قامت بأغلاقها ولكن بمجرد أن عادت إلى سريرها وأحكمت الغطاء على جسدها النحيل نوعًا ما.

سمعت صوت طقطقة على النافذة.

صوت طقطقة لا ينتهي.

طقطقة ببطيء رهيب، ولكنها تشعل في النفس رعبًا.

قالت ريحانة في قرارة نفسها:

-كل تلك الأشياء من فعل الرياح، لا داعٍ للخوف أو القلق.

ولكن من ثم بدأ صوت الطقطقة يعلو أكثر وأكثر مما زاد الخوف في نفس ريحانة، ولكنها قررت أن تطمئن نفسها بأن تقوم وترى ما هو سبب هذا الصوت.

قررت أن تنظر من النافذة من دون أن تفتحها بشكل كامل ولكنها لم تجد شيئًا.

حينها اطمأنت لأن خوفها ليس له أي داعي.

ولكن وهي ما زالت واقفة أمام النافذة سمعت تلك الطقطقة ولكنها على باب الشرفة.

قررت أن تلقي نظرة من دون أن تفتح باب الشرفة، حاولت أن تنظر من زاوية ما ولكنها لم تجد شيء.

ومن ثم قررت أن تفتح باب شرفتها كي ترى بنفسها ما السبب في ذاك الصوت.

حينها اطمأنت تمامًا بتأكدها أن كل ذلك بفعل الهواء، لذا الآن بعد أن ضاع النوم من عينها قررت أن تخرج وتتنفس الهواء في شرفتها، فهي تحب النظر في السماء وخاصة أن الليلة القمر مكتمل، فلم تتحمل ذلك المشهد المغري من دون النظر إليه.

احضرت شالها وخرجت للشرفة ولكن بمجرد أن حولت نظرها اتجاه اليمين رأت جسد يقف بجوارها، هرعت للداخل صارخة ولكنها شعرت أن هناك يد تكتم أنفاسها تمنعها من أن تطلق صرختها.

يد باردة مثل الثلج مبللة وضعت على فمها، كادت أن تجمدها من شدة برودتها.

ومن ثم قام بإدخالها الغرفة وأغلق باب الشرفة، ولكن لسانها قد شل تمامًا لا تستطيع أن تنطق بسبب ما تراه أمام عينها.

يقف أمامها المهدي بنفس الملابس التي تركته بها يومها، ولكنه مبلل تمامًا ولونه شاحب وكأنه مثل، مثل، ال... الأش....

ولكن ما جعلها تهدأ قليلًا من فزعتها أنه "المهدي"... لذا تنفست الصعداء ومن ثم توقفت ريحانة عن التفكير ومن ثم جعلت المهدي يجلس على سريرها ومن ثم قامت بالنظر خارج غرفتها كي تتأكد أن أمها نائمة أم لا.

بعد أن تأكدت أن كل شيء على ما يرام قامت بأغلاق الباب بالمفتاح وتركت المفتاح على مكتبها.

ومن ثم جلست بجواره على السرير وأمسكت يده وكان ينبعث منه برودة لا تحتمل، ومن ثم قالت له ريحانة هامسة:

-أين كنت...؟ لماذا فعلت بي كل هذا...؟ لم أتخيل قط أن الموضوع سوف يصل إلى هذا الحد بيننا.

وكيف أتيت إلى هنا، أنا لم أقل لك عنواني.

ولكن المهدي أمامها لا يحرك ساكنًا ولكن ريحانة استمرت في الكلام هامسة.

وكيف تجرأت أن تأتِ بيتي ماذا أن رأتك أمي...؟

نظر لها المهدي وعلى وجهه ابتسامة ساخرة مخيفة على وجهه الشاحب ومن ثم قال:

-أنتِ من ادخلتني هنا.

تلعثمت ريحانة في الكلام ومن ثم أردفت:

-صحيح أنا من ادخلتك، لأني طلبت من الله أن أراك بأي شكل من الأشكال، ولن أضيع أي فرصة أراك بها حتى وإن كنت أعرض نفسي للخطر.

ولكن هل يمكن أن ترحل الآن ونتقابل في الغد، يبدو أنك متعب، ولكن لمِ أنت مبلل هكذا...! أنا لم أسمع صوت المطر اليوم قط.

لم يرد المهدي عليها.

عندما رأت ريحانة أن المهدي لم يرحل، قامت بوضع الغطاء على جسمه البارد كي يدفئ قليلًا، ومن ثم همست غاضبة بسبب تجاهله لها:

- لمَ لا ترد على كلامي...؟

ينظر لها المهدي صامتًا وهذا ما يزيدها اشتعالًا ولكن ريحانة أكملت:

-هل سامحتني عن ما صدر مني يومها...

أنا أحبك، ولا أتخيل الحياة دونك، وصدقني لقد كان درسًا لي ولن أكرر ما فعلته معك ثانية و...

قاطعها المهدي وأردف:

لقد فات الأوان يا ريحانة...-

أمسكت ريحانة يد المهدي تحاول أن تقوم بتدفئتها ومن ثم أردفت بحزن وسقطت دموعها الدافئة النابعة من حرقة قلبها:

-بإمكاننا أن نصلح أي شيء في الحياة، صدقني أعطي لي فرصة.

-تعرفي يا ريحانة أنتِ كنتِ كل شيء لي، أنتِ حبيبتي وأهلي، بالفعل كل شيء لا مجرد كلام.

نظرت له ريحانة مندهشة قائلة:

-كنت...! وما هي مكانتي الآن بالنسبة إليك...؟

-أنا مررت بظروف صعبة يا ريحانة لا تعرفي عنها شيء، كل الصعوبات التي مررت بها أخذت من روحي ولكن أنتِ كنت السبب الأخير الذي جعلني أتمسك بالحياة وأن يكون لي أمل أن حياتي سوف تتحسن.

ولكن برحيلك عني لم يعد لي سبب للحياة.

هونت عليه ريحانة وقامت بأحكام الغطاء أكثر حوله كي يدفئ جسده الشاحب المبلل قليلًا ورفعت الغطاء ووضعته على رأسه ومن ثم أردفت إليه متسائلة:

-ولكنك لم تحكي لي من قبل ما مررت به في حياتك...؟

لو كنت أعرف ما بداخلك لمَ كنت فعلت ما فعلته قط... صدقني...

أرجوك قل لي الآن، وبيدنا نصلح كل شيء.

نظر لها المهدي وقد رسم على وجهه ابتسامة تهكم وأردف:

-أقول..! حسنًا سوف أقول لكِ ما مررت به يا ريحانة.

ولكن لدي فكرة أخرى ما رأيك أن تأتي معي.

نظرت له ريحانة باستغراب وسألته:

-ولكن إلى أين...؟

-سوف ترين بنفسك الآن...

★★★

(٤)

بدأ الأمر في الإمارات.

فاتن كانت مع أسرتها في الإمارات لأن أبيها عبدالحفيظ كان يعمل في مجال التدريس هناك، وكان سلطان يعيش في نفس الحي الذي تعيش فيه فاتن.

بل كانت بينهم قصة حب منذ الطفولة.

سلطان كان يكبر فاتن بعشر سنوات، كبرت فاتن أمام عينيه، ومنذ أن رآها من أول مرة أقسم أن تكون له، له هو وكفى.

وبالفعل توج ذلك الإعجاب بالحب بمجرد أن بدأت فاتن مرحلة المراهقة، كان الحب بينهما حب طاهر نقي لم يتجاوز إلا نظرات بريئة وكفى.

سلطان كان يقف في محل البقالة الخاص بأبيه زايد.

لذا كان سلطان يرى فاتن في كل مرة تأتي لكي تبتاع منه شيئًا.

والميزة أن ذلك المحل كان قريب جدًّا من مدرسة فاتن، لذا كان يقف سلطان أمام المحل في الصباح كي يراها أثناء ذهابها إلى المدرسة وكذلك بعد الظهر أثناء عودتها للبيت.

إن سلطان كان متيم بحب فاتن.

وعندما صارح سلطان صديقه المقرب عدنان بما يكنه في قلبه خلال كل تلك السنوات، نظر له صديقه مستحقرًا ما قاله:

-ما لقيت إلا المصرية تحبها...؟

استشاط سلطان غضبًا وأردف:

-وما بها المصرية لحم ودم مثلنا بل وأفضل من غيرها من حيث العلم والحُسن والخُلق.

-هاااايّ يا سلطان، هذه مصرية يعني خذ منها ما تتمناه من دون زواج، هي لا تحلم أن تتزوجك، العين لا تعل على الحاجب.

صدم سلطان قليلًا، وبالفعل كلام صديقه زرع بداخله الشك والقلق، لذا قرر أن يختبر فاتن، هل ما قاله عدنان صحيح أم لا...؟

وبالفعل عندما جاءت فاتن للمحل لكي تشتري طلبات البيت حاول سلطان أن يمسك يدها ولكن قبل أن يمسك يدها كان هناك كف ساخن قد وقع على خده، وهرعت فاتن باكية بسبب ما حدث.

تبكي بسبب تجاوزه معها.

تبكي من ردة فعلها... تبكي خوفًا من أن يكون ظن بها أنها فريسة سهلة المنال.

وكل ما كان يصدر منها تجاهه هي مجرد ابتسامه مع نظرة بريئة متبادلة.

كيف تكون سهلة المنال وهي تحب أهلها، كيف تكون سبب في تلطيخ سمعتهم بدلًا من أن تكون سبب فخر لهم.

كانت فاتن تحب أبيها وأمها كثيرًا، كانت تضعهما فوق رأسها وبين عينيها كي لا تنساهما و تخذلهما إذا نست.

قررت فاتن أن لا تشتري شيء من البقالة، حتى أن سألتها أمها "بطة" عن السبب، كانت تقول:

-إن هنالك شباب يقومون بمضايقتي في ذلك الشارع، لا أريد أن يتعرضوا لي من جديد.

استمر الوضع هكذا أسبوع وعندما كانت فاتن تمر أمام المحل كي تذهب إلى المدرسة كانت تحيل نظرها عن المحل كي لا تلتقي عينها مع عين سلطان.

ولكن بعد أسبوع لم يتحمل سلطان أكثر من ذلك، قرر أن يقف أمامها في منتصف الطريق وقالها صراحة:

-فاتن أنا أحبك، ومستعد أن أثبت حبي لكِ بأن أتزوجك.

أحمر وجه فاتن خجلًا وهرعت مسرعة إلى مدرستها.

ظل قلبها يتراقص من السعادة واستمر وجهها في الاحمرار من شدة الخجل إلي أن وصلت بيتها.

ولكن بمجرد أن سألتها أمها عن سبب ابتسامتها التي لا تفارق وجهها، قالت فاتن وهي تهم بمعانقة أمها:

-وما المشكلة في أن أكون سعيدة يا بطة...! هل يمكن أن أرى القمر أمامي ولا أبتسم؟ بدلًا من أن تعترضي على ابتسامتي يا بطة ادعِ لي أن تكون دائمًا.

رفعت بطة يدها للسماء وأردفت:

-يا رب يا بنت بطني أراكِ أسعد من في الكون.

دخلت فاتن غرفتها البسيطة التي توجد في منتصفها سجاد بسيط شبه بالي وبها ثلاث مراتب منخفضة للغاية.

مرتبة لكل بنت، واحدة للبنت الكبرى وهي بالفعل كبرى (منال)

ومرتبة (فاتن) وتقع أسفل النافذة مباشرة.

ومرتبة (لسلوى) أصغرهم سنًا.

غرفة من كثر بساطتها لا يوجد ما يوصف بها.

معروفه حياة المغتربين في الخارج بيوتهم تكون شبه فارغة لأن لا يوجد أحد يضمن استمرار وجوده في بلد ليست بلده مهما طالت المدة.

جلست فاتن تتأمل السماء من خلال النافذة وتبتسم من شدة الفرحة وتقول في قرارة نفسها:

-ها هي الدنيا بدأت تضحك لي.

ولكن سرعان ما قاطعت منال شرودها وأردفت وهي تنظر لها ساخرة رافعة شفتها لأعلى:

-وما سبب هيامك وسعادتك يا ست فاتن؟

كانت فاتن لا ترتاح لمنال أختها أبدًا، في أغلب الأحيان كانت تراها أن لها جسم إنسان ولكن برأس أفعى.

قررت فاتن أن لا تقف أمام النافذة ومن ثم مددت جسدها على مرتبتها وأردفت وهي لا تعيرها انتباهًا:

-وما شأنكِ أنتِ؟ أرجوكِ لا تحشرين أنفك الكبير في حياتي، ولو في شيء حدث لي فأولى أن أحكيه لأمي.

استشاطت منال غضبًا وأردفت صارخة:

-أنتِ قليلة الأدب، أنا أخ....

قاطعتها فاتن متهكمة:

-أنا أختك الكبرى... بلابلابلا... يكفي، أنا أعرف جيدًا أنكِ الكُبرى بيننا.

ومن ثم قهقهت.

اشتعل قلب منال غضبًا فنادت صارخة:

-أمي... يبدو إنك نسيتِ أن تربي هذه الفتاة.

تعصبت فاتن من هذه الحية وأردفت:

-هاايّ، أنا لم أعد صغيرة كي أتجاوز عن كلامك ذا.

قاطعتها بطة:

-فاتن، أجننتِ...! كيف تخاطبين أختك الكبيرة هكذا...!؟ هيا اعتذري.

نظرت لها منال في تشفي وأردفت بلؤم:

-والله يا أمي لم أقل لها شيء، ولكن كل ما في الأمر إني أحبها وأريد مصلحتها، ولكنها... لكنها... تكرهني...

ومن ثم مثلت أن الدموع تنزل من عينها.

زادت عصبية جدتي بطة لأنها تحب منال كثيرًا، صرخت في فاتن وأردفت:

-هيا اعتذري ولا تتجاوزي في الكلام مع أختكِ ثانية.

لم تعتذر فاتن بل قالت:

-أنا لن أعتذر ما دمت لم أخطئ قط، بل أقول لكما شيء أنا سوف أخذ بنصيحة عمر بن الخطاب "أعتزل ما يؤذيك"... وهي تؤذيني لذا سوف أعتزلها.

قامت بطة (فاطمة) بضرب فاتن كف على خدها كي تفيق من ثورة غضبها وأردفت:

-إنها تحبك يا فاتن و...

صرخت فاتن وقالت غاضبة:

-إنها كاذبة، مخادعة ممثلة، بينما أنا صريحة... والذي يُرسم على وجهي هو ما أشعر به في داخلي، أنا لست حية مثلها.

قطع ذلك الشجار صوت عبدالحفيظ العائد من عمله متعب قائلًا:

-ما هذا الصوت؟ لمَ هذا الشجار...؟

همست لهما بطة:

-صه، ولا صوت، أبوكما عاد من العمل... لا أريد أي صوت... مفهوم.

خرجت وعلى وجهها ابتسامة تجعل وجهها يشع ضياء، فهي لا تسطيع أن تعكر مزاج زوجها بمشاكل أولادها، كانت بطة نعم الزوجة.

خرجت ولحقت به في غرفتهما البسيطة التي لا تختلف شيء عن غرفة البنات سوى أن بها مرتبتين قد وضعتا بجوار بعضهما البعض.

ساعدته في تبديل ملابسه وأثناء ذلك كرر كلامه متسائلًا:

-لمِ كانتا الفتاتان تتشاجران!

-لا تشغل بالك يا حج... أنت متعب، هيا صلِ... لإن الغداء جاهز، يجب

أن ترم عظمك بعد يومك الشاق.

★★★

في المساء بعد أذان المغرب وانتهاء مدة العمل الخاصة بسلطان في البقالة... قرر سلطان أن يذهب إلى صديقه عدنان لكي يتسامران في "الديوانية" (مجلس الضيوف) ويحتسان القهوة سويًا.

ولكن سرعان ما أفصح سلطان عن ما يكنه في داخله:

-عدنان، أنا قررت أن أتزوج...

-اووووه ، ومن هي تعيسة... أقصد سعيدة الحظ...!

-توقف عن مزحك السمج ذا، لن أحكي لك شيء.

-سامحني يا صديقي، صدقني كنت أمزح معك.

أنت تعرف جيدًا من أريد أن أتزوجها.

أسود وجه عدنان الأسمر أكثر ورفع حاجباه الكثان المتصلان وضم شفاه الضخمة مندهشًا قائلًا:

-ماذا...؟ لا تقل...! المصرية...!؟

-اسمها فاتن وقد فتنتني بجمالها، ولا يوجد فرق بين مصري وإماراتي كلنا سواسية، كلنا عرب.

يا أخي إن نبينا محمد من نسل سيدنا إبراهيم وهاجر المصرية العظيمة.

-يا أخي معروف هذا الكلام، ولكن جربها، سوف تجد أنها سهلة مثلها مثل باقي المصريات...

المصريات ببلاش، ليس للزواج بل للمتعة.

هم سلطان تجاه صديقه راغبًا في ضربه ولكنه أفاق لنفسه قبل أن تصل قبضته على فك صديقه المقرب.

نظر له عدنان بعينه السوداء الواسعة جدًّا وأردف متهكمًا:

-تضربني من أجل من...؟ من أجل المصرية...؟ وأنا صديق عمرك يا سلطان...

وقف سلطان وعدل جلبابه وأردف متنهدًا:

-أسف يا عدنان... لم أقصد... ولكنك قمت باستفزازي صراحةً.

وللعلم أنا اختبرتها كما قلت لي ولم تكن سهلة كما قلت، بل هي صفعتني وعلمتني درس في الأخلاق.

ضحك عدنان متهكمًا وهو نائم على ظهره في الأرض ومن ثم وضع ساق على ساق وأردف:

-هههههه، علمتك درس في الأخلاق، هههههه، كم أنت مغفل يا سلطان، مثلت عليك دور الشريفة العفيفة وأنت صدقت...! أنت خام يا سلطان خام، لا تفهم ألاعيب ومكر النساء.

-أنت غريب يا عدنان، يعني إذا تساهلت معي فاتن بحجة الحب لكنت قلت عنها أنها فتاة سهلة رخيصة.

وبعد أن صدتني ومنعت نفسها عني قلت أنها تمثل العفة.

في كل الحالات سوف تنتقدها لأنها في نظرك تلك المصرية التي ينقصها الكثير لكي تكون أهلة بنا.

-صحيح هي غير أهلة بنا...

صرخ سلطان به:

-عدناانووووو...

-كفى، لا تصيح يا سلطان، سوف أختبرها لك، أنا خبرة في هذه الأمور، إذا نجحت هي في هذا الاختبار تزوجها يا صديقي.

أترك لي نفسك يا صديقي، وأريدك أن تتجاهلها هذه الفترة، لكي أنزل أنا في الساحة وأحاول أن آثر عليها... وسوف أرى هل هي تحبك أم لا،

هل هي شريفة غالية تستحق الزواج أم مجرد فريسة سهلة رخيصة سهلة المنال؟

قطب سلطان حاجبيه وأردف غاضبًا:

-توقف عن التصريح بهذه الألفاظ والتشبيهات على فاتن و...

قاطعه عدنان وهو يقوم من مكانه يعدل جلبابه ويرتب شاربه أمام المرآة متفاخرًا برجولته ووسامته العربية التي يظن أن بسببها لا تقاومه أي فتاة، ولكن في الحقيقة إنهن لا يلتفتن إلى وسامته التي لا تعتبر وسامة من الأساس ولكنه يستطيع أن يقعهن في شباكه بفضل الحركات البهلوانية والزن عليهن إلى أن يسيطر عليهن بحجة الحب ومن بعد أن يحصل على مراده وغرضه الغير شريف ويمل... يهجرهن.

والفتيات بالنسبة له مثل طبق الحلوى يأكل منه مرة واثنين وثلاث ولكن في النهاية يمل، فيتبع شهوة نفسه في البحث عن طبق حلوى أخر وهكذا، كم هو حيوان شهواني مع احترامي للحيوان.

-حسنًا يا صديقي، أريدك أن تؤجل موضوع أنها تخصك قليلًا، وضع غيرتك جانبًا إلى أن أنتهي من هذا الاختبار.

★★★

وبالفعل بدأ عدنان بمغازلة فاتن ذهابًا وإيابًا، كان يزن ويدور حولها مثل الذباب.

كان يغريها بسيارته تارة.

وبملابسه الفخمة تارة.

وساعاته ونظراته تارة أخرى.

ولكن كل ذلك كان لا يؤثر في فاتن، لم تكن من الفتيات التي ينجذبن إلى المظاهر، والبنت التي لا يهمها المستوى الاجتماعي إنها لمعجزة حقًا.

سبحان الله، الله خلق كل من الذكر والأنثى له أمور تجذبه.

يعني مثلًا الله خلق الرجال يحبون النساء ويفتنوا بجمال من يمرن بجوارهم، لذا كتب الله لمن يغض بصره ويكون من العباد الصالحين الله يجازيه بحور عين في الجنة.

والله زرع في النساء حب المظاهر والمال والمجوهرات والملابس، الفتاة تنجذب للرجل الذي يجلب لها كل ذلك.

هي تنجذب للرجل الثري لأنه يجلب لها ما تحبه وتشتهيه لا تحبه هو.

آه تحبه ولكن ليس مثل حبها للممتلكات الأخرى.

لذا الله يجازي المرأة التي تغض نظرها عن نعم غيرها ولا تحقد ولا تحسد من حولها على نعمهم سوف ينعمها الله في نعيم الآخرة، ونعيم الآخرة للمرأة يكون بكثرة وأفخم الملابس والمجوهرات والقصور التي تنعم بها.

إذًا المرأة ليس لها نوع معين من حور العين الخاص بالنساء لأن المرأة هناك ما يهمها أكثر من الرجل، لمعة المجوهرات تجذب عين المرأة أكثر من لمعة عين عاشق فقير يتوسل إليها لكي توافق به.

ها... أين كنت! سامحوني سوف أكمل لكم ما حدث.

استمر عدنان على هذا الحال لمدة أسبوع، واستغرب كثيرًا من ردة فعل فاتن تجاهه، إنها لم تلتفت إليه أبدًا بل ما زاد النار في قلبه أكثر إنه عندما كان يوقف السيارة في طريقها كانت تكتفي بالنظر له باستحقار.

وهذه أول مرة فتاة تعامله بهذه المعاملة.

كانت فاتن مستغربة جدًّا لمَ اختفى سلطان من حياتها فجأة...! لمَ اختفى سلطان وظهر عدنان...!

كانت تكتفي بالنظر للبقالة تتفقد سلطان الذي كان يدير وجهه إذا تقابلت عينيه في عينها خوفًا من أن تفضحه عينيه أمامها.

استغربت وقالت في قرارة نفسها:

-كيف له أن يختفي من حياتي فجأة...! ولمَ اختفى خاصة بعدما أعترف بحبه لي...؟ عشر سنين منذ أن عرفته لم يبعد عني هكذا، لم تفارقني نظراته لي التي تعبر وتفضح مشاعره تجاهي.

والآن لا يريد أن تتقابل عيوننا سويًا...! بعد أن كانت عينيه تقول أنه قد شغف بي حبًا.

لن أنظر إليه ثانية، لي أسبوع أحاول أن تتبادل عيوننا نفس النظرات التي أعدتنا عليها.

ما دام هو يتحاشاني، إذًا سوف أتحاشاه.

حمدًا لله أني لم أصرح له عن مشاعري تجاهه، المهم عندي كرامتي وكبريائي.

★★★

بعد أسبوعين مع استمرار خطة عدنان، بدأت مشاعر عدنان تجاه فاتن تتغير، تحولت من مجرد فريسة يريد أن تقع بشباكة، تحول إلى معجب وهائم بها.

هام بها حبًا لأنها مختلفة عن الجميع.

اكتشف أن كلام سلطان صحيح أنها مميزة عن جميع الفتيات.

مميزة بجمالها الرقيق، أنها بالفعل ذات الحسن والجمال التي وصفت في الروايات.

زاد عدنان في الشرود في فاتن.

صار أغلب يومه مفتون بها، شارد الذهن والعقل والتفكير صامتًا أغلب يومه مستغربًا من تلك الفتاة ذات الضحكة الرقيقة التي لا يسمع لها صوت، ضحكتها عبارة عن مجرد ابتسامة ترسم على ثغرها ذا الشفاه الوردية المملؤة، إذا رأى أي أحد ابتسامتها في عز المساء سوف يشعر أن الظلام قد شع نورًا وضياء من جمال ضحكتها.

يتذكر عينها الخضراء الفيروزية التي تشبه عيني النمر، يستغرب كيف لهذه العين الخضراء الفيروزية الصغيرة تشبه عين النمر وفي نفس الوقت تشع حنية لا مثيل لها.

يستغرب في قرارة نفسه:

-كيف تكون هذه مشاعري تجاهها وهي تستحقرني، إذًا ماذا سوف يحدث لقلبي إن نظرت لي نظرة إعجاب...!

آه إن قلبي سوف يذوب... ماذا...! سوف يذوب...؟ بل قد ذبت بالفعل، كيف لم ألاحظها من قبل...! كيف...؟

قسمًا بالله سوف أجعلها تحبني وتختارني أنا...

ستكون فاتن لي... لي أنا وحدي.

★★★

طالت مدة الاختبار لشهر وفي كل مرة يسأله سلطان:

-أظن إن هذه المدة كفيلة يا عدنان، إن فاتن نجحت في الاختبار ولم تفتن بحركاتك وتصرفاتك يا صاحب المغامرات والخبرات... أظن هذا كفيل أن تكون في صفي بأن أحصل على هذه الجوهرة الثمينة وتشهد لي بذلك أمام أهلي.

-لا تتعجل يا صديقي دعنا نزيد المدة أكثر، حتى لا تنخدع، أكيد سوف يأتي يوم وتقع في شباكي وأثبت لك ضعفها.

إن لدي خطة جديدة، وسوف أقوم بتنفيذها، أعطي لي شهر بالكثير، وإذا فشلت حينها يحق لك أن تفعل ما تشاء.

★★★

وبالفعل صار عدنان لا يتوقف عن ملاحقة فاتن، حتى وإن كانت تذهب للسوق مع والدتها يتبعها بسيارته، صار يراقبها، لا يتركها لحظة.

ولا يتوقف عن الهمس لها متذللًا:

-فاتن، يا من فتنتني بحبك، أقبلي بي، أنا لا أتسلى بكِ صدقيني، أقسم بالله أنا أريد أن أسمع موافقتك لكي أتزوجك.

إن وافقتِ سوف أجعلك ملكة... يا من تغار من جمالك الملكات... يا من زاد حسنك عن كل حسن.

أقبلي بي وكل ما تشتهين سيكون بين يديك.

سيكون لكِ بيت كبير وخدم، من مثلك لا يستحق أن يتعب، آه ماذا أقول...؟ لا يوجد مثيل لجمالك يا فاتن.

كان كلامه يزيد فاتن نفورًا منه، لا يوجد كلمة يهمس بها وهو في سيارته وهي في طريقها إلا هي مدحٌ في جمالها.

هي لا تريد رجل يفتن بالجمال، لأن الرجل الذي يحب امرأة من أجل جمالها هو رجل لا يؤتمن له، لأنه ضعيف أمام الجمال، وإذا وجد من هي أجمل سوف يتركها.

لأن الجميلة مع مرور الوقت والزمن يقل جمالها لذا سوف يخرج ويذهب ليبحث عن جميلة أخرى.

فاتن أحبت سلطان لأنه حب منذ طفولتها، حب بريء يعتمد على النظرات البريئة لا النظرات الشهوانية التي تتفحص كل جزء في جسدها.

كيف تأتمن على روحها مع رجل مفتون بجسدها، ماذا إن مرضت أو شوهت ماذا سيحدث حينها؟ حينها لن تجد شريك حياة يساندها وقت كسرتها.

هي تبحث عن من يحب روحها، روحها وكفى، إن جمالها لعنة لا فكاك منها، كل من يراها يأسر بجمالها.

لذا لم تنساق لعدنان أو غيره، كانت فاتن فتاة ناضجة بالفعل بالرغم عمرها حينها ١٧ عام فقط، ولكن كان تفكيرها سليم عكس البنات في نفس سنها.

لم تفتن بالمال لأن المال في نظرها غير دائم، يمكن أن يزيد حقيقي ولكن يمكن أن يضيع في لحظة.

لم تفتن بالشكل لان الشكل غير دائم كذلك.

لم تفتن بالمظاهر لأن كل ذلك فان.

كل همها الروح، روح تحب روحها وكفى.

لأن لو شركاء الحياة اعتمدوا على حب الروح فقط لسوف تستمر العلاقة إلى الأبد بعد مشيئة الله أكيد.

لأن إذا أحبت الروح روح أخرى لن يهمها حينها شكل شريك الحياة.

أغلب المشاكل بين الأزواج تكون بسبب انتقاد كل منهما للأخر على شكله أو تقصيره المادي.

إنما إذا أحبت الروح روح أخرى لسوف ترى شريك الحياة أجمل من في الكون.

إذا تعلقت الروح بالروح لسوف تشعر أن لقمة الخبز تشبع أفضل من مائدة مليئة بالطعام.

كانت فاتن عاطفية جدًّا، تهتم بالجزء المعنوي ولا يهمها الجزء المادي بتاتًا.

إنها عاطفية وعاقلة في الوقت ذاته.

في خلال الشهر الثاني صار عدنان ينتظر فاتن أمام باب العمارة بسيارته كي يلاحقها ويمشي بجوارها بسيارته أثناء ذهابها للمدرسة ولا يتوقف عن الزن والتذلل والتوسل.

مما جعل فاتن تتأفف وتشعر بالضجر حقًا لدرجة أن صديقتها المقربة أفنان قالت لها:

-حرام عليكِ يا فاتن، وافقِ عليه، الشاب له شهرين يتوسل لكِ، لو كنت مكانك لوافقت، لا يعيبه شيء.

وبالفعل أفنان كانت لا تتوقف عن اختلاس النظر لعدنان في سيارته على أمل أن ينتبه لنظرات إعجابها به ويترك فاتن، فهي مفتونة بأسلوبه وسيارته وإصراره على فاتن ورومنسيته، لدرجة أنها كانت تتخيل نفسها بدلًا من فاتن.

ولكن فاتن لم تكذب خبر وأردفت لها ببرود:

-هو لا يلزمني بشيء، إذا كنت معجبه به تفضليه.

-آخ يا فاتن...! وكيف أجعله هائم بي مثل ما هو هائم بكِ ولكنك لا تشعري به...! إن الحب ليس بيدنا، لا يمكننا أن نجعل من نحبهم يحبوننا.

الآن انتهت المدة وعدنان لم يستطع أن يُقع فاتن في شباكة، فاتن بالنسبة له تحدي، ويجب أن يفوز به حتى وإن اضطر إلى الكذب والخداع.

ذهب إلى سلطان في البقالة، ورسم على وجهه ابتسامة زائفة وملامح الكبر والغرور والثقة في النفس ومن ثم أردف وهو ينفث دخان السيجارة:

-ألم أقل لك... مثلها مثل غيرها، لقد وقعت في شباكي، ولها أسبوع تبادلني نظرات الإعجاب، واليوم صرحت لي بإعجابها.

كما قلت لك، لا توجد فتاة تستطيع أن تقاومني.

اشتعل سلطان غضبًا وأردف:

-أنت تكذب عليّ، من أسبوع لم تقل لي ذلك.

-لم أحب أن أقول لك إلا بعد أن أتأكد تمامًا، أنت أحمق يا سلطان من ترفض عدنان بن خليفة...؟ من قل لي...؟

أنا الحسب والنسب، أتظن أنا وأنت واحد...!

-تعايرني لأني من عائلة بسيطة يا عدنان، منذ متى وأنت تتكلم بهذه الطريقة...!؟

-لا أقصد أن أعايرك، ولكن أحببت أن أوضح لك أن صنف النساء مثل بعض، كلهن يفتن بالمال.

-أقسم أن فاتن ليست كذلك، أنت تكذب.

-أنت ترفض الحقيقة لأنها اختارتني أنا يا سلطان، وبصراحة أنا ليس لي في اللف والدوران إن فاتن "دخلت راسي" وأريدها.

هم سلطان ضربًا في عدنان صارخًا به:

-أجننت...! إنها تخصني... إنها لي أنا، أنا أعطيتك الأمان وخنتني، وتقول لي في وجهي أنك تريد حبيبتي...!

يقول سلطان كل ذلك وهو يسدد اللكمات لوجه عدنان.

ولكن سرعان ما رفع عدنان سلطان من فوقه وعدل من وقفته مسرعًا واضعًا جلبابه بداخل سرواله كي لا يعقه عن الحركة في ذلك العراك وقام برمي عمامته جانبًا، ولكن سرعان ما وقف سلطان وهم مسرعًا تجاه عدنان ممسك إياه من ياقته وأردف غاضبًا:

-من أجل العشرة لن أضربك أكثر من ذلك يا خائن، ولكن إن لم تبتعد عن طريق فاتن لسوف أجعل أمك كوثر تبكي عليك.

ضحك عدنان ضحكة تهكم بعدما قام بمسح الدم الذي يسيل من فمه بعد اللكمات التي لحقت به وأردف:

-هذه ليست رجولة أن تجبرني أن أخرج من الساحة وأتركها لك، قلت لك "هي تحبني أنا ولا تحبك"، ليس بالإجبار يا ابن البقال.

-أبي بقال ويطعمنا بالمال الحلال القليل خير من المال الحرام الوفير المدرار.

-لا شأن لك بمالنا، وإن كان مالنا حرام لمَ تأتِ إلى بيتنا وتأكل من أكلنا، أليس من مال حرام...؟

-حسنًا، أنا واثق أنك كاذب، وسوف ننتظرها عندما تنتهي من المدرسة ونقف ونسألها، ومن تختاره سوف يتزوجها.

إن كنت أنت خائن فلن أكون مثلك جبان وخائف من المنافسة للحصول على قلب فاتن و...

دخل المحل الشيخ زايد أب سلطان واستغرب من العلب التي قد وقعت على الأرض ومن شكل عدنان... لأن فمه كان يسيل دمًا، نظر لهما في دهشة وسأل مستغربًا:

-ماذا حدث هنا يا سلطانو...؟

-ولا شيء يا أبي... مجرد اختلاف في وجهات النظر كما تعلم نحن نشجع فرق مختلفة ولكن احتد النقاش بيننا.

-أنتما إخوة، هيا قبلا رأس بعضكما، والله يلعن الكورة التي تجعل الإخوة يتصارعون، الله يلعن كل شيء يسبب التفرقة بين اثنين.

مد عدنان يده لكي يلتقط عمامته من على الأرض وعدل ملابسه وترك المحل مسرعًا وهو مشتعل غضبًا.

خرج وظل في سيارته يفكر وهو يشرب سيجارة:

-ماذا سوف أفعل الآن...؟ هل سوف تختارني...! أم سوف تختار سلطان! يمكن أنها لن تختاره لأنه تركها منذ شهرين...! يمكن هذا يكون سببًا كافي لرفضه...

آه يا رب كن معي، أنا أريدها بشدة، أريد أن انتصر على سلطان.

كان عدنان يريدها لأنه أعجب بها حقًا ولكن الحقيقة أنه يريد أن يرضي غروره ورجولته.

بينما سلطان كان يريدها لأنه لم يحب غيرها، عندما بدأ قلبه يدق للحب أول مرة دق من أجلها هي فقط.

وبالفعل بعدما خرجت فاتن من مدرستها وابتعدت عن المدرسة قليلًا في منتصف الطريق بين المدرسة وعمارتها توقف عدنان أمامها بالسيارة ومن ثم هم سلطان وأقترب منهما وبدأ عدنان الكلام صراحة وهو يخرج من السيارة:

-فاتن أنا أعرض عليكِ الزواج وصدقيني لن تجدي من يحبك مثلي وكل أحلامك ستكون أوامر ولكن وافقي عليّ "وتدللي".

نظر لها سلطان الذي لا يملك شيء يغريها به سوى لمعة عينية البريئتين وأردف:

-أنتِ تعلمين أني أحبك حتى من دون أن أصرح بذلك، أنتِ تعلمين إنكِ حبي الأول والأخير، ولكن أن صرتِ لغيري صدقيني سوف يكون آخر يوم في حياة ثلاثتنا.

لا يوجد شيء أخسره إن خسرتك يا فاتن.

تنظر لهما فاتن مندهشة وقد أحمر وجهها خجلًا وغضبًا وأردفت هامسة وهي تكز على أسنانها وهي تهم بالمشي:

-ما الذي تفعلانه...! أتظنان أن بنات الناس لعبة كي تشوها سمعتي هكذا.

هرعا خلفها وأردفا سويًا:

-يجب أن تختاري بيننا الآن.

التفتت لهما وأردفت غاضبة:

-وما الذي يجبرني أن أجاوب عليكما بعد فعلتكما تلك، إن الناس سوف يتلسنون عليّ، الله يسامحكما.

أردف عدنان:

-لا يهمك أحد يا فاتن، أقبلي بي، وأنا سوف أقطع لسان من يجلب سيرتك.

نظرت له فاتن مستحقرة إياه وأردفت:

-ومن قال لك أني سوف أقبل بك... أنت لو آخر رجال العالم كله لن أقبل بك أيها المتفاخر، ولكنك لا تعلم بأني أشعر بما يكنه الناس في نفوسهم، أنت من الظاهر لك قيمة ولكنك من الداخل فارغ تمامًا، يوجد مثل مصري يقول (من برا هالله هالله ومن جوا يعلم الله).

ابتسم سلطان بعدما ارتاح قلبه وانشرح صدره بكلام فاتن وأردف:

-ألم أقل لك يا عدنان أنك كاذب.

نظر له عدنان بحنق وأردف:

-ولكنها لم تقل أنها تقبل بك، معنى ذلك أنها لا تحبك أنت كذلك.

نظر سلطان إلى فاتن يتوسل لها بنظرة عينيه السوداوين المكحلتين:

-أنتِ تقبلي بي يا فاتن أليس كذلك...؟

نظرت له فاتن نظرة كلها عتاب على غيابه كل تلك الفترة وتجاهله لها، لمعت عينها وأوشكت أن تذرف الدمع ولكنها هرعت مسرعة إلى بيتها من دون أن تعطيه رد.

نظر له عدنان وأردف: -ألم أقل لك أنها لا تحبك أنت كذلك.

-لا بالعكس، يوجد مثل يقول "السكوت علامة الرضا" ولكنها حزينة مما جعلتني أفعله من أجل خطتك أيها الخائن.

لم يستطع عدنان أن يكبح حقده على سلطان لأنه خسر أمام ابن البقال فهم عليه ورمى سلطان أرضًا وهم فوقه ضاربًا إياه:

-أنا لست خائن يا قليل الشرف، أيوجد رجل يخاف على عرضه أو من تلزمه ويقول لأحد اختبرها لي...! كل شيء كان برضاك يا بائع عرضك.

صار سلطان هو من يعتلي عدنان ويهم عليه ضربًا:

-أنا لم اعتبرك أحد، بل اعتبرتك أنا، أنت أخي، أنا فعلت ذلك لأني ائتمنتك، ووثقت بك و...

هرع إليهما رجلان لكي ينهيا ذلك الشجار الذي حدث في نصف الشارع وأردف أحدهما:

-والله على آخر الزمن شابان أخوة طول عمرهما الآن صارا يتقاتلان من أجل تلك المصرية، إن أولادنا لا يعرفان سالفة الحب وتلك "الخرابيط"، آه كله من المصريين والحب المسيطر عليهم بسبب قلة الأدب في أفلامهم ومسلسلاتهم، بسببهم دمروا تفكير شبابنا.

وقف سلطان وهو يضع يده على رأسه الذي بدأ ينزف لأن عدنان قد ضربه بصخرة من شدة الحقد عليه ومن ثم أردف:

-إن تلك المصرية مثال للشرف، نحن السبب في كل ذلك، نحن من أذاها لا هي من أذتنا.

إن فاتن ستكون زوجتي وسوف أطلبها للزواج وسوف يعلم الجميع بذلك أني ملكت رمز للعفة في زمن قل به التعفف.

★★★

وصلت فاتن الشقة ومن ثم دخلت غرفتها وهي تجهش بالبكاء خائفة مما سوف يلحق بها.

مهما يسألوها إخوتها أو أمها لا تنطق بكلمة، بل ظلت حزينة وخائفة من لحظة معرفة أباها بالموضوع.

بالفعل المنطقة كلها ظلت تتكلم عن ما حدث، وعندما ذهب أباها عبدالحفيظ للمسجد لتأدية صلاة المغرب سمع من الناس كلام يشيب:

-"الأستاذ عبدالحفيظ، الأستاذ المنسوب لوزارة التربية والتعليم، الذي نسيّ أن يعلم ويربي ابنته".

استغرب من الكلام الذي وقع على مسامعه، وأردف مستغربًا:

-ما الذي تقوله يا شيخ محمد...؟

-يااه إنك لا تعلم ما الذي حدث...! هذه ميزتنا نحن العرب عنكم يا مصريين، نحن نراقب أولادنا وخاصة بناتنا، لا تسقط شعره من بناتنا إلا ونعلم بها.

نحن العرب نصون بناتنا الجواهر المكنونة ونحافظ عليهن في عباءتهن ونقابهن لا نتركهن مكشوفات عاريات يفتن الشباب أثناء ذهابهن وإيابهن، ونتركهن على حل شعرهن ولا نعلم ما يحدث لهن.

اشتاط عبدالحفيظ غضبًا وأردف:

-الزم حدودك يا شيخ محمد، إن بناتي رمز للثقافة والأدب.

قاطعهما الشيخ فايز:

-اسمع يا أستاذ عبد الحفيظ، اليوم بسبب ابنتك صار عدنان وسلطان يتشاجران من أجلها، بحجة الحب.

-وما ذنب ابنتي... هما من تشاجرا، إن ابنتي لم تجبرهما على ذلك، إن ابنتي ليس لها علاقة بأي منهما، لأنها إن كانت تعرف أحدهما لكانت أخبرتني، أنا ربيت ابنتي على الصراحة لأني صديقها قبل أن أكون أباها.

ضحك الشيخ محمد متهكمًا:

-وهل هذه تربية...!؟ التي تحث بها ابنتك على الفسق والفجور و...

اشتاط عبد الحفيظ غضبًا وأردف بصوت عال:

-إن بناتي يعلمن جيدًا معنى الأدب وهذه آخر مرة أقل لك بها الزم حدك عندما تذكر سيرة بناتي.

قال الشيخ فايز مقاطعًا ذلك الشجار:

-أرجو منكما أن تحترما بيت الله الذي أنتما به، هذا ليس مكان للشجار والخلاف والتجاوز، إنه مكان للذكر والتعبد وكفى.

لم يتحمل عبدالحفيظ النظرات له فقام من مكانه وترك المسجد وهو يتحاشى نظرات الناس التي لا ترحم، يسمع همهماتهم وهمساتهم وهمزاتهم، إنهم في بيت الله ولا يتذكروا قول الله (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ).

★★★

عاد عبدالحفيظ إلى بيته وهو يشعر بالضيق بسبب أن الناس لم يجدوا به وببناته عيب فاختلقوا عيب كي يتلسنوا به عليه.

دخل بيته ونادى على بناته، فاصطفوا أمامه، فسألهن:

-من منكن مرت بمشكلة اليوم...؟

ردت منال مسرعة:

-لم أمر بأي مشكلة يا أبي، بل إن اليوم بعد أن عادت فاتن من المدرسة كانت حزينة جدًّا يبدو أنها من مرت بمشكلة.

نظرت لها فاتن في ضيق ولكن سرعان ما قاطعهن وأردف:

-فاتن تعالِي ورائي.

نظرت لها منال نظرة شماته وكأنها تقول في قرارة نفسها:

-"تلقي وعدك".

★★★

دخلت فاتن وراء أبيها ومن ثم أردف قائلًا:

-اغلقي الباب وراءكِ يا فاتن وتعالِي اجلسي بجواري.

وبالفعل فعلت فاتن ذلك وجلست بجوار أبيها وبدأت الدموع تنزل من عيونها من قبل أن يسألها أو أن يقول لها شيء.

إنها ضعيفة جدًّا أمام أبيها، مهما كبرت ومهما بلغت من النضج والتعقل ألا إنها أمام أبيها تشعر أنها مازالت طفلة صغيرة ضعيفة تحتاجه بشدة.

من ثم سألها أبوها برفق:

-هيا يا فاتن قولي لي ما حدث؟ أنا لن أقول لكِ شيء ولكن أريد أن أعرف الموضوع منكِ أنتِ، أنا أصدقكِ أنتِ وأكذب العالم كله.

شعرت فاتن أن أباها أعطاها الأمان، همت فاتن معانقة أباها باكية وأردفت وهي تجهش بالبكاء:

-سوف أحكي لك يا أبي كل شيء، منذ البداية إلى ما حدث اليوم.

وبالفعل لم تخبئ فاتن أي شيء على أبيها.

ولكنه سألها مستغربًا:

-ولمَ لم تصارحيني بكل ذلك وأن سلطان معجب بكِ...؟ ولمَ لم تشتكي بأن عدنان يضايقك...؟

مسحت فاتن دموعها وأردفت وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها:

-صدقني يا أبي كنت سوف أقول لكم ولكنه بمجرد أن صارحني اختفى، فاعتبرت أن الأمر ليس جدي فلم أحب أن أشغل بالكم بموضوع ليس له أهميه.

وبالنسبة لعدنان قلت إنه شاب طائش وسوف يلف ويدور يوم أو يومين وسوف يمل ويبعد عن طريقي... لم أظن أبدًا أن يحدث ما حدث اليوم... صدقني.

ومن ثم اجهشت بالبكاء ثانية، فمسح أبوها دموعها برفق ولين ومن ثم قبل وجنتيها الحمراوين وأردف:

-وكيف لي أن لا أصدقكِ...؟ أنتِ أنا، أنتِ بنيتي، لا تبكي أنا مسامحكِ.

-ولكني لا أسامح نفسي يا أبي، لأن بسببي جعلت الناس يتلسنون عليك و...

قاطعها أباها واضعًا إصبعه على شفاها:

-صه، لا يهمك الناس، يوم يومين وسوف يجدون أمر جديد يتكلمون عنه، ومن يريد أن يتكلم عني وينهش بي سوف يختلق أمور كي ينم بها عليّ، أجري على الله وعليهم وزر تعديهم عليّ.

همت فاتن بمعانقة أبيها ومن ثم قبلته وأردفت:

-أحبك يا أعظم أب في الكون.

ومن ثم خرجت فاتن وهي تتأبط ذراع أبيها ومن ثم نادى وقال:

-جهزي العشاء يا بطة إن صغيرتي لم تأكل شيء منذ الصباح.

أمسكت فاتن يد أبيها وقبلتها.

في تلك اللحظة كانت منال واقفة مستغربة ماذا حدث؟ لمَ كانت فاتن حزينة ولمَ الآن سعيدة...!؟ سوف أسألها.

أثناء تناول العشاء لم تتحمل منال فضولها إلى أن يكملوا عشاءهم، سألت بمكر وهي تلوك لقمة في فمها:

-ماذا حدث معكِ يا فاتن...؟ لمَ لم تحكي لنا ما جرى معك اليوم؟

تكلم أباها مقاطعًا فضولها:

-إن اليوم تشاجرا شابان من أجل فاتن و...

رفعت منال شفاها إلى أعلى مستغربة مستحقرة أختها وأردفت:

-شابان...! تشاجرا...! من أجل من... فاتن...!

ولكن لم يرد عليها أحد ومن ثم خبئت غيظها وحقدها على أختها وأردفت سائلة:

-ومن هما الشابان يا أبي...؟ أكيد مجرد فقراء إماراتيين أو مجرد مغتربين مثلنا.

-لا بالعكس، إنه سلطان ابن الشيخ زايد صاحب البقالة، إنه شاب بسيط ولكن ليس فقير أبدًا، وأما الأخر هو عدنان ابن خليفة صاحب معرض السيارات.

عندما سمعت منال اسم عدنان لم تستطع أن تبلع اللقمة التي في فمها.

ومن ثم رسمت ملامح الصدمة وتغير لون وجهها، ومن ثم همت مسرعة من حول الصينية الموضوعة على الأرض التي تحتوي على عشاءهم.

نادت عليها أمها متسائلة:

-يا منال يا بنتي... تعالِي... لمَ لمْ تكملي طعامك...؟

هرعت لغرفتها ورمتَ نفسها على مرتبتها وخبئت نفسها تحت البطانية وشرعت في البكاء.

ومن ثم بعد أن اكملت فاتن عشاءها وشربت الشاي مع أهلها دخلت غرفتها، ومن ثم صارت تسمع أنين أختها الباكية.

انشطر قلبها على نحيب أختها، برغم أن علاقتها بأختها ليست علاقة أخوية صحيحة ولكن مهما كان لا تتحمل أن ترى أختها مكسورة هكذا.

لذا قررت أن تقترب منها وترفع الغطاء عن رأسها فرأت وجه أختها مليء بالدموع وعينها قد زادت احمرارًا وورمت من شدة البكاء وقد زاد حجم فمها وأنفها وصارا حُمر تمامًا وهذا يدل على شدة النار والحرقة التي بداخلها.

سألتها فاتن بمنتهى البراءة:

-لمَ تبكي يا منال...؟ ما الذي أحزنك...؟

همت منال من رقدتها وجلست على مرتبتها، وأردفت وهي تمسح عيونها من الدموع وقالت هامسة غاضبة في وجه فاتن التي لا تفهم ما ذنبها:

-أتريدين أن تعرفي لمَ أبكي ها...

زادت في الكز على أسنانها ونظرت بحقد أكثر وكأن عينيها العسليتين تريد أن تخرج نارًا من شدة حقدها على فاتن وأردفت:

-أبكي لأنكِ أنانية يا فاتن، أنانية في كل شيء، تريدين أخذ كل شيء وأن لا أخذ شيء.

تنظر لها فاتن مستغربة من كلامها لا تفهم ما تتفوه به أختها.

ومن ثم همت منال من مكانها مسرعة وهي تمسح دموعها وقامت بإغلاق باب الغرفة ومن ثم وقفت أمام المرآة كي ترى شكلها، صار وجهها أحمر جدًّا من شدة البكاء وأردفت:

-أنتِ أنانية يا فاتن أخذتِ كل شيء جميل، أخذتِ الملامح الأجمل وأخذتِ حب أبي وأمي وأختي الصغرى، وأنا هنا منبوذة لا أحد يلتفت لشكلي ولا لشخصي، حتى في الدراسة والعقل أخذتِ أنتِ هذه الهبة أيضًا، تفوقتِ عليّ في كل شيء وأنا لم أخذ شيء.

أنا مظلومة من ربي لأنه لم يهبني الحسن ولا العقل الذي أعطاه لكِ.

مظلومة من أهلي لأنهم لا يحبوني كما يحبونكِ.

قاطعتها فاتن وهي تقوم من على المرتبة كي تقف بجوارها وأردفت مصححة لها:

-ومن قال إننا لا نحبك...! بالعكس أنا أشعر إنكِ الأقرب لأمي، وبالنسبة لأبي يحبنا جميعًا بنفس القدر.

وبالنسبة للجمال إن جمالي غير جمالك ولكن هذا لا يعني أنكِ لستِ جميلة، كيف لا تكوني جميلة بعينيك الكبيرتين العسليتين تلك...! وبياض بشرتك ولونها الوردي الذي تكتسبينه بسرعة وشفاهك المملوءتين وشعرك الناعم الفاحم الطويل وقوامك المعتدل في كل شيء في الوزن والطول.

أنتِ جميلة في كل شيء.

وبالنسبة للعقل، الله خلق كل منا مميز في أمور تختلف عن الأخر، استغفري ربكِ عن ما تفوهتِ به، إن الله عادل لا يظلم أحدًا، بل الله يرزق الجميع بنفس القدر، ولكن كل منا له رزق بشكل مختلف.

يعني أنا أهيم بالكتب حبًا وعشقًا لذا أحب الدراسة.

وأنتِ تحبين البيت والاستقرار والأعمال اليدوية كالخياطة ومبدعة في الطهي، لذا قررتِ أن لا تكملي المرحلة الثانوية، إنك غير مجتهدة في الدراسة هذا لا يعني أنك فاشلة في كل شيء، بل أنتِ مبدعة في أمور أخرى أنا لا استطيع فعلها.

كل منا له ما يميزه، لا يوجد شخص على وجه البسيطة يظلمه الخالق الرحيم، بل يوجد من يظلم نفسه الذي لا يرى المواهب التي أعطاها الله له فقرر أن يدفنها بدل أن ينميها و...

قاطعتها منال مستحقرة كلامها وأردفت:

-هاايّ، لا تجعلي من نفسك شيخة وحكيمة عليّ، كل هذا تحملته ولم أتفوه بكلمة ولكن الأكبر من ذلك أنكِ سرقتِ قلب حبيبي...

استغربت فاتن وأردفت:

-سرقت ماذا...؟ وماذا قلتِ...! حبيبك...! من هذا حبيبك...؟

-عدنان أيتها اللصة، هو كل ما لدي وأنتِ من طمعك أخذتِه مني من أجل أن تثبتي لي أنكِ أفضل مني في كل شيء و...

قاطعتها فاتن:

-هاايّ... أيتها المريضة مَن عدنان هذا من أجل أن أحبه أو أن أسرقه منكِ، إنه لو كان آخر رجل في العالم لن أقبل بشخص حقير مثلة متفاخر بذاته...

وللعلم لم أسرقه منكِ، بل كان مثل الكلب يدور حولي وحيث أذهب يأت ورائي، إنه كان يقبل التراب الذي أمشي عليه كي أوافق عليه ولم أقبل به ولن أقبل.

دهشت منال من كلام فاتن وفجأة جف دمعها من هول ذلك الكلام ومن ثم أردفت:

-لا أصدقك يا فاتن.

نظرت لها فاتن لا مبالية بها وأردفت وهي تهم خارجة من الغرفة:

-شئتِ أن تصدقي أم لا، لا يهمني أيتها المريضة.

★★★

في ذات اليوم عندما دخل الشيخ زايد المحل وعلم بما جرى ظهيرة ذاك اليوم سأل ابنه عن ما جرى، ولامه لأنه بسبب ما حدث جعل الناس يتلسنون عليه وعلى تربيته، ولكن سلطان أوضح له:

-لا شأن لنا بالناس يا أبي، إن فاتن هي الفتاة التي أحبها وسوف أتزوجها ولن أتركها لغيري.

-ولكن يا بني ما لاقيت إلا المصرية...! وما بهن بنات بلدك وديرتك.

-القلب وما يريد يا أبي، لست أنا من اختارها، بل قلبي وكل جوارحي لم يرغبوا ولم يلتفتوا لأي فتاة غيرها.

-وأنا يا بني واثق بك وفي اختيارك، أنا موكل عملي لك ومالي بين يدك لأنك في نظري رجل، استخير الله يا بني وربي يقدم لك ما به الخير.

-لا يا أبي ليس بها استخارة، أنا لن أتركها مهما كانت الظروف، لن أترك الناس يتلسنون عليها بسببي.

-يا ولدي استخير ربك وإن شاء الله خير لا تقل ذلك، وأعلم الخير فيما يختاره الله لك.

هم سلطان يقبل يد أباه وقبل رأسه وأردف وقد انفرجت اساريره وأردف وهو يشعر أن قلبه يطير من الفرحة:

-أفهم من ذلك أنك موافق يا أبي...؟

-إن شاء الله خير يا سلطانو، الليلة نقول لأمك ونعرف رأيها.

★★★

في مساء ذات اليوم بعد العشاء وأثناء ما كانوا يحتسون القهوة بالهيل نظر سلطان إلى أبيه قائلًا:

-ها يا أبي...! ألن تقول لأمي...؟

استغربت مشاعل من كلام سلطان فنظرت إلى زايد وسألته:

-وما هو ذا الذي يريدك سلطان أن تقوله لي...؟ ما الذي تخبئه عني يا زايد...! ألا تكون تزوجت عليّ...؟

قهقه زايد وأردف:

-هههههه ليت الشباب يعود يومًا، وإذا عاد الشباب سوف...

رفعت مشاعل حاجبها وغلظت صوتها محذرة إياه وهي تقشر برتقالة:

-ماذا لو عاد الشباب...؟ماذا سوف تفعل يا زايد...!

رد عليها وهي يتصنع نبرة كأنه خائف منها:

-سوف، سوف، سوف أظل معكِ أنتِ فقط يا أم الأولاد.

قهقه سلطان وأردف:

-آه من شجاعتك يا أبي.

-أجننت...! ماذا يمكن أن أقول غير ذلك...؟ إنها مسلحة... هههههه.

ومن ثم أخذ زايد يتحدث بجدية وأردف:

-اسمعي يا أم سلطان، سلطان قرر أن يتزوج.

هش وبش وجه مشاعل وأردفت مهللة:

-يا الله ، ولله الحمد، يوم السعد الذي أعلم به أن ولدي يريد أن يتزوج، من الغد سوف أختار لك أجمل بنت في "الدِيرة".

قاطعها سلطان متمتمًا:

-ولكني يا أمي ...أنا اخترتها...

وجم وجه أمه بسبب كلامه وأردفت:

-ومن هذه التي ترغب بالزواج منها...؟

لمعت عيني سلطان وهو يقول:

-فاتن يا أمي، فاتن بنت الأستاذ عبد الحفيظ و...

شاطت أمه غاضبة وهمت واقفة من مكانها وكأنه ذكر لها اسم جن لا "فاتن" وأردفت صارخة:

-أجننت يا سلطان...! ما لاقيت إلا المصرية...! لن تتزوج هذه المصرية على جثتي يا سلطانو، أفهمت...؟

هم سلطان ووقف أمامها وأردف:

-ولكن يا أمي أنا اخترتها من بين الكل، أنا أحبها.

من شدة غضبها ضربته كف على وجهه وأردفت:

-اخرس يا ولد، اخرس يا من لا تستحي على وجهك، تقول هذا الكلام في وجهي يا قليل الحياء، منذ متى ونحن نتكلم في الحب وتلك "الخرابيط"، سوف تتزوج مثلك مثل غيرك أنا هنا من له الكلمة وأنا من اختار... أفهمت...؟

-أنتِ اخترتِ لأخواتي لأنهن بنات... أربع بنات وقد زوجتيهن أنتِ حرة في ذلك، بينما أنا رجل أنا من أختار أنا لا أجبر.

-بل تجبر وتنصاع لكلامي ولرأيي.

-وما هذا الشارب الذي على وجهي، ألا يوحي لكِ أني رجل ومسؤول عن حياتي وقراراتي، أنا مسؤول عنكم جميعًا، وعندما يأتي الأمر الذي يخصني ويخص شريكة حياتي تتولي أنتِ الأمر...!

-أختار لك لأنك ما زلت لا تفهم الناس، أنا أدرى منك.

-كيف لا أفهم في الناس وأنا التعاملات والعمل كله عليّ أنا... أنا المسؤول عن كل شيء في هذا البيت.

-اسمع يا سلطان، إن كنت تريد أن تتزوج اختر من تشاء ولكن من بنات بلدك، إلا المصرية يا سلطان.. إلا المصرية.

-وأنا لن أتزوج إلا المصرية يا أمي، وبيتكم هذا سوف أتركه الآن، ليس لي به مكان إذا كان أول شيء أطلبه منكم ترفضونه.

هم سلطان تاركًا البيت ولا يدري إلى أين هو ذاهب.

هرعت أمه خلفه صارخة:

-أتترك بيت أهلك يا سلطان من أجل تلك المصرية...! تعلِ صوتك على أمك من أجلها...

ولكن سلطان لم يلتفت لها وأغلق باب البيت خلفه ورحل.

التفتت مشاعل لزايد الذي رسمت ملامح الغضب على وجهه وأردف:

-وما بها البنت جمال وعلم وأبوها حسن السمعة، لمَ فعلت ذلك يا مشاعل...؟ بدل ما تجعلي اليوم أسعد يوم في حياة ابنك، لا يوجد فائدة بكِ، لن تتغيري أبدًا.

-هذا بدل من أن تقف في صفي، أنت من تقويه عليّ.

لم يرد عليها زايد ومن ثم بدأ يتمتم ذاكرًا الله وترك البيت لها، خرج يبحث عن سلطان ولده الوحيد، ظهره وسنده في الحياة.

تفقد أثر ابنه ولكنه لم يجده، ذهب لبيت عدنان وسأله عن سلطان:

-عدنان يا ولدي لقد علمت بما جرى بينك وبين سلطان، إن الشيطان قد دخل بينكما يا أولادي، ولكن لا تحزن من سلطان، لا يوجد أطيب من قلبه، ولكنه ترك البيت ولا أدري أين هو...! أتعرف أين يمكن أن يكون يا ولدي؟

ولكن عدنان لم يكن يعلم بمكان سلطان، ومن ثم قرر أن يسأل الشيخ زايد عن سبب اختفاء سلطان، فعرف أن السبب رفض الزواج من فاتن، ذلك الخبر جعل وجهه يهش ويبش من السعادة ومن ثم فاق من شروده وأردف:

-حسنًا يا عمي، مهما كان سلطان أخي، وسوف أفعل كل ما بوسعي كي أعرف مكانه وسوف أقول لك إن توصلت لشيء.

★★★

خرج عدنان من البيت وركب سيارته يبحث عن صديقه سلطان، الآن صار صديقه لأنه يعلم أنه لن يحظى بفاتن مثله تمامًا.

بحث عنه وشك أنه يمكن أن يكون عند هارون، ولكن عندما وصل قال لهارون:

-هارون... سلطان هنا أليس كذلك...؟

-نعم، إنه هنا ولكن هو قال لي إذا أتيت إلى هنا أن لا أدعك تدخل، لا نريد مشاكل يا عدنان في البيت.

إنه بخير طمئن أهله، كل ما في الأمر إنه في حالة غضب ويحتاج راحة.

ركب عدنان سيارته وقد اشتعل قلبه غيظًا، انتهى الرهان بينهما وكلاهما قد خسر، لمَ لا يعودا كما كانا، قاد سيارته متجهًا إلى بيت أهل سلطان وأخبرهم بمكانه، أول ما علم الشيخ زايد بالمكان رغب أن يهم مسرعًا لكي يرى ابنه ولكن زوجته مشاعل أمسكت به وأردفت بجحود:

-اتركه، سوف يعود بمفرده، سوف يعود باكيًا لنا ويقبل يدنا معتذرًا عن ما صدر منه.

★★★

في ظهيرة يوم ١٩٩٦/٣/١٤ خرجت منال وتوجهت إلى معرض عدنان، استغرب عدنان من وجودها أمام المعرض، فهم مسرعًا من مكتبه للخارج، خرج وأمسك بذراعها بقوة وسألها بغضب:

-ما الذي أتى بك إلى مكان عملي... أجننت...؟

امتلأت عيناها بالدموع وأردفت:

-جئت من أجل الذي بيني وبينك.

نظر لها مستحقرًا إيها:

-وما الذي بيني وبينك من الأساس...؟

طعنت بتلك الكلمات اللاتي تشبه السكين الذي غرس بقلبها المجروح.

-لماذا تنكر...؟ ، أنا أحبك وأنت تحبني و...

-صه، اسمها كنت أحبك، أو كنت أوهمك بذلك فترة إلى أن وصلت لمرادي، وأنتِ سهلة جدًّا لم تأخذي وقت معي، استفدت منكِ واستفدتِ مني بالمال الذي كنت تأخذينه مني.

-ولكن أنا حقًا أحبك ولا أتخيل الحياة دونك و...

-ليس لي دخل بكِ، المهم أني لا أحبك، ولو مطلوب مني أن أتزوج البنات اللاتي أحببنني لتزوجت بعدد شعر رأسي.

-ولكن لمَ فعلت ذلك بي، لماذا أردت أن تفتح الجرح من جديد بعد أن ظننت أنه قد أوشك على الالتئام بعد سنه انفصال، لماذا أردت أن ترتبط بأختي فاتن...؟ لمَ هي..؟ لمَ...؟

-أتريدين أن تعرفي لماذا؟ لأنها عكسكِ في كل شيء، إنها فتاة صعبة المنال، وهذه أول مرة أجد فتاة لا تخر على ركبتها أمام المال والأدهى إنها ذات حسن وجمال و...

رأى عدنان رجل يأتي من بعيد لذا لم يكمل كلامه وزجر منال وقال لها وقد رسمت على ملامحه ملامح الكره والضغينة والاستحقار:

-والآن لا أريد أن أرى وجهك في أي مكان، ارحلي وزج بها من أمام المحل.

وأخذت منال تمشي متذللة باكية بهدوء، وحينها سمعت صوت الرجل يسأل عدنان مستغربًا:

-لمَ هذه الفتاة هنا...!

أخذه عدنان إلى الداخل ولكن الكلمة وقعت على مسامعها:

-إنها كانت تطلب شيء لله، أنت تعرف المصريين يعشقون التسول حتى وإن كان معهم مال.

★★★

صارت منال تمشي في الشارع تبكي بحرقة... مكسور قلبها... تمشي وهي تتوعد لعدنان وفاتن، تقسم أنها سوف تجعلهما يشعرا بما تشعر به وأكثر وعندما أوشكت أن تصل إلى عمارتها، خرجت جارتها من محل البقالة ومن ثم صارت تمشي بجوارها جارتها خديجة تلك المرأة في الثلاثين من العمر... تعيش بمفردها في الشقة التي في الطابق الذي فوقها... فهي من المغرب ومغتربة مثلها تمامًا.

هي امرأة عريضة المنكبين طويلة إلى حد ما يظهر على ملامحها الحدة بالرغم أنها تتصنع الابتسام دائمًا، ونظرتها مخيفة، لها عينان سود مكحلتان أشبه بعيني إبليس، نظرتها لا توحي بالأمان أبدًا.

عندما رأتها منال على الفور قامت بمسح دموعها وتصنعت أنها على ما يرام.

سألتها خديجة وهي ترفع حاجبيها وترسم على ثغرها تلك الابتسامة المخيفة:

-كيف حالك يا منال...؟

-أنا بخير و...

-أنتِ تكذبين، إنك لست بخير، أنا لدي الحل لما تمري به.

-وهل تعلمين ما أمر به...؟

-نعم، ويمكنني أن أجعله خاتم في إصبعك.

استغربت منال من كلامها وأردفت:

-من تقصدين...؟

-أقصد من كان سبب في نزول دموع حزنك... ولكني أعدك أنه سيكون سبب نزول دموع فرحك في الغد.

-كيف ذلك...؟ لا أفهم... اشرحِ لي من فضلك...

-لا أفضل الكلام في الشارع هكذا، هيا نصعد إلى شقتي ونشرب قهوة سويًا ونتفق.

★★★

المطلوب منكِ يا منال، أن تحضري لي شيء من أثره ، ويفضل صورة أو أي شيء من ملابسه.

-ولكني لا يمكنني أن أحصل على شيء كهذا، ولكن في يوم كنت معه في السيارة وكان يرتدي خاتم جميل جدًّا وطلبت منه أن أخذه كذكرى... هل ينفع..!

-أكيد ينفع.

ولكن لن أفعل شيء قبل أن تحضري لي المبلغ المطلوب.

-ولكن ذلك الخاتم يساوي الكثير يا...

-لا الخاتم سوف يدفن مع التعويذة التي سوف تجمعك به.

-ولكن كيف أحص...

-سوف انتظركِ بما طلبته منكِ، ولأجلك سوف أخذ ١٠٠٠درهم فقط.

-حسنًا، هل تريدين أن تعرفي بياناتي وبياناته مثل الاسم واسم الأم وتاريخ الميلاد و..

-هاايّ، منال...! أتظنين أني طبيبة هنا، أنا هنا ساحرة، كل تلك الأمور أعرفها، هيا قد انتهى الكلام، تعالِي إذا كان معك كل الطلبات.

★★★

نزلت منال من عند جارتها ودخلت شقتها فسألتها أمها:

-أين كنتِ يا منال كل هذا...؟

-كنت عند جارتنا خديجة.

-ومنذ متى تذهبين عندها...؟ لا تذهبي إليها مرة أخرى إن الجيران يتلسنون عليها بأنها امرأة سيئة السمعة.

لم تعر منال انتباهًا لأمها، دخلت غرفتها وظلت تفكر كيف تحصل على المبلغ.

ظلت تفكر إلى أن قررت وخططت.

★★★

في صباح يوم ١٩٩٦/٣/١٨قررت منال أن تنفذ خطتها

تسللت منال إلى غرفة أبيها وأمها بعدما خرج أبوها إلى المدرسة مع بناته سلوى وفاتن.

استغلت الفترة التي تنام بها أمها وقت الضحى وتسحبت إلى الغرفة وفتحت الصندوق الذي به المال وأخذت المبلغ.

وتسللت مسرعة إلى الساحرة خديجة وقالت لها:

-ها هو المبلغ والخاتم، أنا جاهزة ل..

-حسنًا، ولكن لن نبدأ الآن، تعالي يوم الجمعة قبل الغروب.

-ولكن...

-انتهى الكلام...

أغمضت خديجة عينها وأكملت حالة التأمل التي كانت بها بعد أن قامت برمي بعض البخور كريه الرائحة.

★★★

في البيت بعد المغرب، عبد الحفيظ يفتح الصندوق الذي يجمع فيه ماله ووجد أن المال قد قل.

صارت مشكلة في البيت.

لم يشك الأب في أحد من الموجودين ولكن شك في أن هناك سارق قد دخل الشقة وأخذ المبلغ.

ولكن بطة ردت عليه وهو تضرب خدها نادمةً:

-ماذا تقول يا سي عبد الحفيظ...؟ يعني اللص يكون أمامه الصندوق يأخذ جزء ويترك الباقي...!

-ماذا سوف أفعل يا فاطمة...؟ جهدي وتعبي ضاعا هباءً.

قاطعته منال:

-أبي، يوجد شيء أريد أن أعترف به...

★★★

(٥)

نظرت منال إلى فاتن بمكر ورغبة في الانتقام ومن ثم أردفت:

-أكثر من مرة أرى فاتن تتسلل لغرفتكما.

وضعت أمها يدها على فمها من هول الصدمة وأردفت:

-متى فعلت ذلك...؟

-بعد تناولنا للغداء، تستغل وجودي أنا وأنتِ في المطبخ ووجود أبي في الحمام، تدخل وتخرج مسرعة، لم أكن أفهم ماذا تفعل...! واليوم رأيتها تدخل خلسة وتتلفت حولها.

ولكن بقول أبي الآن أن المال قد سرق إذًا هي التي سرقت.

نظرت لها فاتن بدهشة، ومن ثم إلى أبيها:

-أبي أنت لا تصدق هذا الهراء، صحيح...!

نظر لها أبوها ومن ثم نظر لمنال وأردف:

-قولي لي يا منال، أين رأيتها تخبئ المال؟

منال تتصنع أنها ملاك ومجرد شاهد وقائل حق:

-لم أكن أعرف أنها تخبئ المال يا أبي، مهما كان هي أختي لم أشك في أن تفعل تلك الفعلة الشنيعة...

قاطعها أبوها وقال غاضبًا:

-سألتكِ أين كانت تخبئ المال...؟

-في حقيبتها يا أبي.

وبالفعل بحث أبوها ووجد مبلغ ١٠٠درهم في حقيبتها، اقسمت فاتن أنها لم تفعل ذلك ولكن لم يعطوا لها فرصة لتدافع عن نفسها قط.

أخذ عبدالحفيظ فاطمة لغرفتهما وقال لها مستغربًا وهو يمدد جسمه على المرتبة:

-كيف حدث ذلك يا بطة...!؟ ولمَ وجدت ١٠٠درهم فقط...! أين باقي المبلغ...؟

-يمكن يا سي عبد الحفيظ المبلغ لم يسحب مرة واحدة يمكن على فترات متفرقة، ولكن عندما قل بشكل ملحوظ شعرت بالفرق... وعندما قمت بعد المبلغ وجدته ناقصًا.

-أنا لا أصدق ما جرى اليوم يا فاطمة.

-وماذا علينا أن نفعل...؟

-ما بيدنا حيلة، ها... ماذا سيفيد إن قمت وضربتهن جميعًا، ماذا سيفيد الضرب هل سيعيد لي مالي من جديد...!؟ أم أبلغ عن بناتي مثلًا...!

أسأل الله العوض، ولكن تلك الغرفة اغلقيها بالمفتاح دائمًا كي لا يدخلها أي من البنات.

حرص ولا تخون.

★★★

في يوم ١٩٩٦/٣/١٩ مر أسبوع ولم يأتي سلطان ولم يظهر في أي مكان قط.

قلقا زايد ومشاعل على ابنهما، حينها بدأ قلب مشاعل ينغصها على ابنها الوحيد وقالت لزوجها:

-لقد رأيت رؤيا لا تبشر بالخير، أشعر أن ابني ليس على ما يرام، اخرج أسأل عنه يا زايد.

★★★

وبالفعل ذهب زايد لبيت هارون وسأله عن حال سلطان:

همس له هارون وهو يقف أمام بوابة البيت الكبير:

-يا عمي إن سلطان عنيد، لقد اقسم أنه لن يأكل لقمة واحدة ولن يشرب قطرة ماء لأنكم رفضتم زواجه من فاتن، هو يرى أن فاتن حياته، وإن لم يتزوجها لن تكون حياته حياة، فلذلك امتنع عن كل الوسائل التي تبقيه على قيد الحياة.

هو موجود في غرفة بمفرده ولكنه أغلق على نفسه يومها ولا أستطيع أن أقنعه أن يقابل أحد أو أن يأكل أو يشرب شيء.

حتى الكلام امتنع عنه تمامًا.

قبل أن يغلق على نفسه أوصاني بأمرين، أولًا إذا جاء عدنان أن أمنعه لأنه لا يريد أن يقابله أو يتكلم معه، أصبح لا يرغب أن يسمع صوته بعد خيانته له، صار من الصعب أن يثق به، يقول إن من يخون ويكذب مرة سوف يكررها مرارًا وتكرارًا، لا أمان لخائن.

وقال لي: إذا جاء أبي إلى هنا قل له: "سلطان لن يخرج من مكانه ولن يأكل شيء إلا بعد أن يأخذ منكما موافقة على زواجه من فاتن، غير ذلك سوف يظل في مكانه إلى أن يموت".

شعر زايد بالدوار مما سمعه، كيف حدث ذلك لابنه الوحيد...! قلق هارون على حاله فطلب منه أن يدخل ويرتاح قليلًا، وبعد أن ارتاح بالفعل حاول أن ينظر على ابنه من ثقب باب الغرفة، بالفعل ابنه صار مثل الخرقة البالية لا يقدر على شيء.

همس لأبنه بصوت غلبه الضعف والحزن على حاله:

-سلطان يا حبيبي، يا ولدي، افتح الباب وتعال معي، وسوف أفعل لك كل ما تريد.

ولكن سلطان لم يفتح، لأنه صار لا يثق، لأنه يعلم في المرة السابقة كان أبوه قد وافق ولكن المشكلة في أمه.

هم زايد عائدًا إلى بيته وحكى لزوجته ما حدث.

هنا كانت مشاعل في موقف صعب، عليها أن تختار بين أن يموت ابنها وتعيش من دونه وتتعذب بموته وبعده عنها، أو أن تتعذب بوجود تلك المصرية بينهم.

لذا قررت حينها أن تختار أقل خسارة، لذا همت وارتدت عباءتها وهرعت لبيت هارون وهمست لابنها باكية:

-سلطانو...، يا ولدي، افتح يا سلطانو، ليس لي في الكون غيرك يا وحيدي، افتح يا ولدي وأنا موافقة.

هم سلطان يتحامل على نفسه ويسند على ما حوله حتى وصل للباب وقبل أن يفتح قبل الباب سألها بصوت غلبه الوهن:

-هـ..هل..هل..أن..أنتِ..موا...فقة..ع..فا..تن.

أجهشت أمه بالبكاء وقالت:

-يا ولدي افتح، وأقسم لك أنا موافقة على كل ما تريده.

-لا...قولي.. لي...موا..فقة..ع..فاتن.

-موافقة على فاتن وعلى أم فاتن ولكن افتح يا ولدي.

فتح سلطان الباب، ومن ثم سقط أرضًا لا يستطيع أن يقف على قدميه، ضمته أمه باكية نادمة على ما فعلته به.

★★★

ظل سلطان في فراشة لا يفعل شيء ليومين غير أن أمه تصنع له أشهى الأكلات وأدسمها كي يسترد عافيته من جديد.

في كل مرة تطعمه أمه وتضع الأكل في فمه، يمسك يدها وينظر لها مبتسمًا، ينظر لها وكأنها المنقذة التي أنقذته وقد كان على وشك مفارقة الحياة، ومن ثم أردف لها:

-لا يوجد أحن من قلبك يا أمي، لأنك وافقتِ على رغبتي.

تنظر له نادمة وهي تطعمه:

-أنت لم تدع لي اختيار أخر، وأنا ممكن أتحمل أي شيء في الكون إلا أن أعيش من دونك.

-حسنًا يا أمي، متى سوف نذهب لكي نطلب فاتن...؟

-لمَ أنت متعجل...؟ لن تطير تلك الفتاة، على الأقل انتظر إلى أن تسترد عافيتك.

ضحك وهو يتألم ولكن بالرغم ضعفه يشعر بأنه أمتلأ قوة بسبب سعادته لأن فاتن ستكون له ومن ثم أردف:

-فاتن يمكن أن تطير مني لأنها ملاك بين البشر وأي بشر إذا لمحها سوف يطمع بها وسوف يأخذها لنفسه وأنا لن أتركها لغيري.

نظرت له أمه متحسرة وتمتمت:

-أقسم بالله إن هذه الفتاة ساحرة لك.

سألها سلطان مستغربًا:

-ماذا قلتِ يا أمي...!؟

-كُل، كُل يا بني، لا تشغل بالك يا ولدي.

★★★

يوم الجمعة ١٩٩٦/٣/٢٢ قبل الغروب صعدت منال إلى خديجة الساحرة، وذلك بعد أن أوضحت لأمها أن خديجة مريضة وتحتاج من يهتم بها ويرعاها.

منال كاذبة، سارقة، حاقدة، إن منال هي "الشيطان" ولكن على هيئة بشرية.

دخلت منال غرفة خديجة الخاصة بالسحر، كانت إضاءة الغرفة حمراء، لا يوجد بها أثاث إلا بعض جلود الماعز على الأرض وطاولة قصيرة جدًّا دائرية موضوعة في منتصف الغرفة يتوسط الطاولة صحن كبير به فحم مشتعل ومن شدة حرارته جعل الجو خنيق جدًّا.

وتلك الخنقة زادت أكثر عندما بادرت خديجة بإضافة البخور.

أخذت خديجة تفتح علبه تشبه علبه الحبر الأحمر ولكن قوامه ليس حبر أبدًا، إنه أشبه بال... الدم.

منال تشعر بالخوف، ولكن طمعها في المال وعيشة الأغنياء جعلها تتحمل أن تمر في النار ولا تعبأ بشيء لأنها تعلم بعد تلك اللحظة سوف تعيش في نعيم.

وضعت خديجة ثلاث شمعات حمر على هيئة مثلث... كان يبعث من احتراقهم رائحة تثير الغثيان ومن ثم في منتصف الشمع وضعت ورقة على المنضدة ومن ثم كتبت تعويذة لم تفهم منال كنهها، كانت تحتوي على أرقام وحروف عربية ولكن بطريقة غير مرتبة، كانت الحروف معكوسة، وهناك مثلث في منتصف الورقة وضعت بداخله الخاتم، ومن ثم بدأت تتمتم بلغة غير مفهومه مما زاد الرعب في قلب منال.

ومن ثم زاد دخان الغرفة بالرغم أنها لم تضع المزيد من البخور.

تشعر منال بأن هناك أطياف في الغرفة، تشعر أن هناك كيانات غريبة قد حضرت.

تنظر إلى خديجة بخوف، ولكن خديجة تنظر لها بحزم أن تتماسك كي لا تخرب تلك الجلسة.

وبعد أن انتهت من التمتمة بتلك اللغة الغريبة، توقف البخور عن التصاعد، وبدأت منال تشعر أن الأطياف قد رحلوا.

لا تدري هل كانت كائنات غريبة هنا حقًا، أم أن كثرة الدخان سببت لها أن تتخيل ذلك.

وضعت خديجة الورقة التي في منتصفها الخاتم في قطعة قماشية مثلثة الشكل، ومن ثم رسمت نجمة خماسية بالحبر الحمر أو الدم لا أدري حقًا

ما كنهه، وكتبت آية قرآنية بذلك الدم النجس، ولكنها كتبت الآية بالمعكوس.

ومن ثم أمرت خديجة أن تقترب منها منال ومن ثم وضعت يدها على رأسها وبدأت تتمتم بتلك الكلمات الغريبة التي لم تفهم منال منها سوى اسم عدنان واسمها.

ومن ثم بدأت تنادي على اسماء غريبة ولكن كانت تأمرهم في هذه المرة بالعربية وقالت:

"عزمت عليكم يا اسرافيل ويا دوبائيل ويا روبائيل ويا سرحاكيل ويا اردائيل بحول الله وقوته اقسمت عليكم بعز الله وبنور وجه الله وبحق روحانياتكم أن تطيعوني وتسخروا ل(منال بنت عبدالحفيظ وفاطمة) قلب (عدنان بن خليفة وكوثر).

ومن ثم كررتها ثلاث، وكان جسم منال يرتجف خوفًا.

ومن ثم بدأت تتمتم بتعويذة معينة على زجاجة بها ماء وقالت لمنال:

-خذي هذا الماء يا منال، واستحمي به غدًا وقت المغرب.

ارتجفت منال خائفة مما تمر به وأردفت:

-هل ما فعلته الآن... حرام؟

هههه على أساس منال تخاف الله، على العموم دعوني أكمل لكم.

-إن ما حدث ليس حرام، إنه حقك، لقد وعدك بالزواج وخلى بكِ، وثاني شيء أنا لا أستعين بالجن الكافر أنا أستعين بجن مؤمن، وهذا السحر ليس للأذية بل من أجل أن أوفق رأسيين في الحلال.

تنفست منال الصعداء لأنها سمعت تلك الكذبة، وهي تعلم أنها كذبة، ولكنها كانت كفيلة أن تجعل قلبها يطمئن، إذا كان عندها قلب من الأساس.

ومن ثم همت خديجة واقفة، وقالت:

-هيا يا منال لكي نخرج.

وقفت منال وهي تعدل ملابسها سألتها مستغربة:

-حسنًا، ولكن إلى أين...؟

-إن عدنان برجه ترابي، إنه برج الثور يجب أن ندفن العمل في التراب، في مكان لا يمكن لأحد أن يخرجه، لذا سوف نذهب للمقابر.

-ولكن الوقت متأخر وأنا خائفة و...

-إن العمل يجب أن يدفن الليلة، وإن كنتِ لا تريدين فأنتِ الخاسرة، أنا أخذت حقي وهذا ما يهمني.

-حسنًا، حسنًا سوف أتِ معكِ.

وبالفعل قامتا بدفن العمل في إحدى المقابر التي تسللتا إليها واستغلتا الليل وعدم وجود أحد.

ومن ثم في طريقهما للعودة سألتها منال:

-متى سيظهر نتيجة العمل... طمئني قلبي.

-اليوم قمنا بتجهيز العمل، وغدًا تتحممين بالماء الذي أعطيتك إياه ولكن عليكِ أن تنامي مباشرة ولا تتكلمي مع أحد أبدًا، في اليوم التالي أيّ يوم الأحد سوف تظهر نتيجة العمل.

ولكن لا تنسيني حينها بهدية.

-حسنًا، لكِ ما تشائين ولكن أريد أن أعرف لمَ أعطيتني هذا الماء...؟

-هذا الماء عليه تعويذة وقررت أن يكون ماء لا شيء أخر لأن برجك العقرب برج مائي، فقمت بعمل تعويذة تناسب برجك.

اندهشت منال بخديجة وأردفت وهي تفتح فاها:

-أنتِ ساحرة أم عالمة فلك...!

★★★

(٦)

وصلتا العمارة ولكن عندما عادتا وجدت منال أمها أمام باب شقة خديجة تبكي بحرقة وأول ما رأتها همت عليها وأمسكت ذراعها وسألتها بغضب وخوف ولهفة:

-أين كنتِ يا منال...؟ لي ساعة أطرق الباب ولم أجد رد، أين كنتما...؟

توترت منال لا تعرف بما ترد...

ولكن خديجة تصنعت المرض ومن ثم أردفت:

-كنت في المشفى يا ست فاطمة...

ومن ثم تصنعت السعال... فقاطعتها منال وأردفت:

-نعم يا أمي، أنا كنت معها وأهتم بها ولكن عندما زادت حالتها سوءًا أخذتها للمشفى لكى أطمئن عليها وأعرف العلاج المناسب لها.

-شفاكِ الله وعفاكِ يا خديجة اعذريني سوف أخذ منال لأن أباها قلق عليها، وغدًا سأرسلها لكِ كي تطمئن عليكِ.

★★★

يوم ١٩٩٦/٣/٢٣أثناء المغرب قامت منال بالاستحمام بذلك الماء، ومن ثم قامت بالصيام عن الكلام، مهما حاول أهلها أن يخاطبوها لا ترد عليهم لذا قررت أن تخلد للنوم باكرًا.

★★★

يوم الأحد ١٩٩٦/٣/٢٤ استرجع سلطان عافيته وبالفعل خرج إلى المحل الخاص به ومن ثم بعد الانتهاء من صلاة العصر في المسجد غمز أباه أن يذهب للأستاذ عبدالحفيظ لكي يفاتحه في الأمر، هم زايد اتجاه عبد الحفيظ وأردفت مبتسمًا:

-يا مرحب بالرجل الطيب أستاذ عبد الحفيظ، بصراحة لا أريد أن ألف وأدور، أنا ليس لي في المقدمات لذا سوف أدخل في الموضوع مباشرة، أنا يشرفني أن أطلب بنتك فاتن لابني سلطان.

-والله يا شيخ زايد هذا شرف لي، ولكن البنت ما زالت صغيرة وهي في الصف الثالث الثانوي وأنا أريدها أن تركز في دراستها وكفى، كما تعلم لا يوجد أهم من التعليم في هذا الوقت، إذا ضمنت تعليم ابنتي، ضمنت نجاحها في حياتها ومستقبلها.

هم سلطان موضحًا راجيًا:

-أعرف يا عمي، كلامك صحيح، وأنا لن أمنعها من تحقيق حلمها، بل سأكون عون لها.

ابتسم عبد الحفيظ عندما رأى لهفة سلطان وأردف:

-حسنًا يا ولدي ولكن على الأقل بعد أن تكمل امتحانات هذه السنة نفتح الموضوع.

سكت الشيخ زايد وقتها ولكن سلطان خرج عن صمته وزاد في إصراره بلهفة أكثر وأردف موضحًا:

-أنا معك يا عمي، الزواج بعد انتهاء الامتحانات أكيد.

قهقه عبد الحفيظ ضاحكًا ومن ثم أردف:

-هههه لا بل أقصد على الموضوع برمته، لمَ أنت متعجل هكذا يا سلطان يا بني...؟

نظر له زايد وأردف:

-أنت لا تعلم ماذا فعل ابننا من أجل ابنتك.

عاد سلطان يزيد في إلحاحه:

-عمي عبد الحفيظ ، أنا أريد أن يتم ارتباط في أقرب فرصة كي أخرس الألسنة التي تفوهت بالسوء عن فاتن وكنت أنا السبب في هذا.

-لا تشغل بالك بالناس يا سلطان، لنا رب شاهد عليم يجازي كل من يؤذي حتى لو بالكلام.

-يا عمي أرجوك نحن هنا عرب، لا يوجد عندنا هذا الكلام لسنا مثلكم في مصر، إذا كنتم في مصر تتطفلوا في حياة بعض نحن هنا نتطفل على حياة بعضنا البعض عشر أضعاف، أرح قلبي يا عمي ووافق.

-حسنًا يا بني، بالنسبة لي أنا موافق، ولكن أعطي لي فرصة أسألها، لا يهمني سوى سعادتها وكما تعلم أنا أعطي لها الحرية المطلقة في كافة اختيارات حياتها.

هش وبش وجه سلطان الذي هم بتقبيل عبد الحفيظ وتقبيل أباه وأردف وهو يهم واقفًا في المسجد من شدة الفرحة الذي أوشك بسببها أن يطير:

-إن شاء الله سوف توافق يا عمي ستوافق أعلم ذلك.

هم الشيخ زايد أيضًا هو وعبدالحفيظ واقفان ومن ثم أردف زايد:

-حسنًا، نتقابل بعد صلاة المغرب ونعرف الرد منك.

-ولكن أظن أن من الأفضل أن تتركا أسبوع على الأقل لكي تفكر البنت.

ولكن سلطان رد بإصرار ولهفة:

-يا عمي خير البر عاجله، لا داعِ للتأخير.

تعجب عبد الحفيظ من حماس سلطان، حينها شعر بالأمان والاطمئنان لأن شريك حياة فاتن شخص يحبها، ولا يوجد أغلى من رجل له قلب يحب به، لا جيب به مال يصرف منه.

القلب المفعم بالحب دائم ما دام على قيد الحياة، بينما المال لا أمان له.

★★★

وصل عبد الحفيظ لبيته وطلب فاتن وأمها لكي يفاتحهما في الموضوع:

-فاتن يوجد شاب يريد أن يخطبكِ.

دق قلب فاتن خوفًا من أن يكون عدنان ولكن سرعان ما قطع أبوها شرودها وأردف:

-إنه سلطان، ها قولي لي ما رأيك...؟

ابتسمت فاتن عندما اطمئن قلبها أنه سلطان ومن ثم نظرت في الأرض مستحية وأردفت:

-الرأي رأيك أنت وأمي يا أبي، لا أدري عن هذه الأمور.

ضحك أبوها وأردف:

-هههه، أفهم من ذلك أنكِ موافقة، لأنك إن كنتِ غير موافقة لكنتِ أعلنتِ رفضك للموضوع برمته.

أحمر وجه فاتن خجلًا وأردفت:

-اووووه، يا أبي....

-هههه مبروك يا بنيتي، دعينا أنا وأمك لكي أحكي لها التفاصيل.

★★★

عرفت منال الخبر، فصار وجهها أسود من هول الصدمة، وقالت في قرارة نفسها:

-أنا قمت بعمل سحر من أجلي أنا وعدنان جاءت النتيجة لصالح فاتن وسلطان، آه يا حسرتي، الحظ دائمًا يقف في صفها.

وها أنا قد جاء يوم النتيجة ولكن لا أرى أي تغيير يخصني، ولكن يكفيني أن عدنان بعد عن طريق فاتن ولله الحمد.

★★★

في ذات اليوم بعد صلاة المغرب أعطى عبد الحفيظ الموافقة لسلطان وأبوه.

وتم تحديد موعد الخطبة في اليوم التالي يوم الاثنين ١٩٩٦/٣/٢٥.

بعد الموافقة خرج سلطان والسعادة تغمره بل وأعادت شحنه من جديد.

ذهب سلطان إلى الحلاق كي يهندم نفسه قليلًا بعد أن طال شعره ولحيته خلال تلك الفترة.

في أثناء وقت وجوده عند الحلاق عرف هارون خبر خطبة فاتن وسلطان، حينها تقابل عدنان مع هارون ومن خلاله عرف عدنان بهذا الخبر.

بمجرد أن سمع عدنان ذلك الخبر ترك هارون أمام بيته وركب سيارته وهو لا يرى أمامه.

ترصد عدنان سلطان بعد خروجه من عند الحلاق إلى أن وصل سلطان لمكان هادئ ومظلم قليلًا في طريقه لبيته.

حينها خرج عدنان من سيارته وفي يده سكين جيب (مطواة) وقام بفتحها.

ها هو يخطو تجاه سلطان ببطيء...

يخطو تجاهه وقد أمتلأ قلبه حقدًا عليه.

ها هو يرفع السكين متهيئًا للطعن...

★★★

(٧)

ولكن في تلك اللحظة التفت سلطان للخلف وبمجرد أن لمحت عينيه عيني عدنان، شعر عدنان أن يديه قد شلت تمامًا وسقط السكين من يده ومن ثم عانق سلطان بشدة باكيًا:

-سلطان يا أخي، سلطان يا صديقي، مبروك يا صديقي، لا أدري كيف أصف لك سعادتي بك.

ينظر له سلطان مستغربًا مما يفعله عدنان من عناق وبكاء وفي نفس اللحظة ينظر للأرض فيرى ذلك السكين.

-سعيد من أجلي...! وما هذا السكين...؟ أكنت تريد أن تقتلني...؟

-أقتلك كيف يا صديقي...؟ أنا أقتل نفسي ولا أقتلك، أنا روحي فداك.

استغرب سلطان من طريقة كلام عدنان، لا يستطيع أن يثق به ثانية بعد الذي فعله ولكن عدنان أردف:

-أنا قررت أن أفعل مثلك يا صديقي.

استغرب سلطان وقال له:

-قررت ماذا...!؟

-قررت أن أخطب مثلك...

زاد استغراب سلطان وأردف:

-وماذا يخصني...؟ أفعل ما تشاء.

-لا بل أنت صديقي وستظل صديقي إلى الأبد، ومن دون أن تسألني أنا سوف أقول لك، أنا سوف أطلب منال أخت فاتن الكبرى.

حينها شعر سلطان إن جزء كبير من الغضب تجاه عدنان قد زال، إن فاتن هي الحاجز بينهما وقد زال.

سوف أتِ معك أنت وعمي في الغد وسوف أفاتح أباها في الموضوع كذلك وبدل الفرحة ستكون فرحتين.

هيا يا صديقي سوف أسهر عندك الليلة.

عزم عدنان نفسه وقبل العزيمة، وسلطان صاحب قلب أبيض رمى الخلاف الذي حدث خلف ظهره وبدأ معه صفحة جديدة لأن الرهان قد حسم له.

★★★

بعد العصر يوم ١٩٩٦/٣/٢٥ ذهب كل من سلطان وأبوه وأمه وعدنان لأنه أخ له، وتمت المقابلة بناء على عادات وتقاليد المصريين.

لم تكن مشاعل متقبلة فاتن ولا أهلها وطوال اللقاء لم تنطق بكلمة، تكتفي بالنظر باستحقار وكفى، لأن شقة فاتن بسيطة جدًّا وتم استقبالهم على المجلس العربي ولكنه ذا طراز قديم للغاية.

تم تحديد موعد الخطبة يوم الخميس ١٩٩٦/٣/٢٨

ولكن كانت خطبة عدنان وسلطان في ذات اليوم وتم الاحتفال في فيلا عدنان.

تكفل عدنان بكافة التفاصيل، فهو وسلطان واحد.

لم يجد عدنان أي رفض من ناحية عائلته لهذه الزيجة، لأن أمه متوفية، وهو أصغر إخوته وأباه لا يرفض له طلب وكل طلباته مجابه.

★★★

توقفت منال عن الغيرة من أختها فاتن، لأنها الآن ترى إنها أفضل منها.

صار عدنان يحب منال بجنون، لم يستطع عدنان أن يعيش بعيد عن منال، لذا قرر أن يتم الزواج في أقرب فرصة، بعد مرور شهر من الخطبة.

في يوم ١٩٩٦/٥/١ تم زواجهما وسافرا إلى فرنسا لقضاء شهر العسل.

★★★

يوم١٩٩٦/٧/٧ أي بعد انتهاء فترة امتحانات فاتن وبعد نجاحها وتفوقها تم زواجها في هذا اليوم، ولكن على وعد من سلطان أن تكمل دراستها.

سافرت فاتن وزوجها إلى مصر لقضاء شهر العسل، وذلك نظرًا لعدم قدرة سلطان على أن يسافر بها لأي من الدول الأوروبية، ولكن هذا لم يكن يشكل عائقا بالنسبة لفاتن، لأن فاتن تعتبر أن لا يوجد بلد أعظم أو أجمل من مصر، مصر بلد الحضارة، مصر بها كل ما هو جميل، بها الماضي والحاضر، بها الروح الحلوة التي تفتقر لها أعظم الدول تقدمًا، مهما كانت دول العالم متحضرة وجميلة ولكنها تبعث الكأبة لأنها تفتقر للروح الحلوة.

تلك البلاد تشبه البنت الجميلة التي تهتم بشكلها وملابسها ولكن روحها سمجة.

بينما مصر مثل البنت البسيطة في جمالها، ولكن بساطتها تأسرك، وما يخطف قلبك تجاهها هي روحها الحلوة وضحكتها النابعة من القلب.

تريد أثار تعال مصر، تريد أن تعرف أسس التاريخ والحضارة تعالَ مصر، تريد أن تعرف أسس الأديان تعالَ مصر، إذا كنت تحب البحر الذي لا مثيل له تعالَ مصر، يا من تعشق النهر والطبيعة الساحرة تعالَ مصر.

مصر تعني الجمال قلبًا وقالبًا، جميلة هي وجميل شعبها.

★★★

في يوم ١٩٩٦/٨/٨ عادت فاتن وسلطان إلى الإمارات بعد انقضاء فترة شهر العسل الذي قاما به بزيارة أهم معالم مصر في محافظات شتى.

سلطان يحب فاتن، ومن حبه لفاتن أحب مصر.

ومن هو ذا الذي يمكن أن يكره مصر الحبيبة...؟

في ذات اليوم استقبلوهما أسرة سلطان وأسرة فاتن.

كانت مشاعل تشعر بالضيق لأن عائلة فاتن في بيتها.

تنظر مشاعل لفاتن وسلطان الذي لا يترك يدها أبدًا، ولا يكف عن النظر لها سارح بها وبملامحها وعينها.

اشتعلت مشاعل غيظًا فَهَمْت مسرعة من غرفة الضيوف بحجة تحضير القهوة للضيوف.

هم زايد وهمس لها:

-قهوة ماذا؟ حضري الطعام للضيوف.

-يحمدوا الله أني سوف أحضر لهم قهوة، يا رب يفهموا ويرحلوا مسرعين.

-لا حول ولا قوة إلا بالله، الله يهديك يا مشاعل، الله يهديك.

★★★

فجأة أثناء ما كانت فاتن تحكي عن مغامرتها هي وسلطان في مصر شعرت بالدوار فجأة، حينها ضمها سلطان خوفًا عليها، ولكنها أردفت مسرعة:

-يمكن من إجهاد السفر وقلة النوم لا أكثر ولا أقل لا داعِ للقلق يا حبيبي.

حينها أردفت أمها ضاحكة:

-شكلك يا عبدالحفيظ سوف تكون جد عن قريب.

قهقه الجميع وقالوا يا رب إلا منال التي صُدمت من هذه المزحة، بل نزلت عليها مثل الصاعقة لأنها متزوجة منذ أكثر من ثلاث شهور ولم تحمل بعد، هي كانت لا تشغل بالها لأنها لم يمر على زواجها الكثير، ولكنها لم تقبل ولن تقبل أن تتفوق فاتن عليها في شيء.

همت منال تاركة غرفة المجلس ولحقت مشاعل للمطبخ.

استغربت مشاعل من وجود منال معها وأردفت غاضبة:

-أنتِ لا تعرفين احترام البيت الذي أنتِ به، أو على الأقل استأذني ولا أنتم هكذا يا مصريين لا تفهمون الأدب أبدًا.

نظرت لها منال ببرود وأردفت:

-لم أقصد يا عمتي، دعيني أساعدك.

تمتمت مشاعل وهي تتأفف:

-والله لست أدري ماذا جرى لأولاد هذه الديرة تركوا بنات بلدهم وتزوجوا المصريات، إنهن لساحرات.

التمعت فكرة في عقل منال وكأن تلك الكلمة التي تفوهت بها مشاعل جاءتها على طبق من ذهب فأردفت:

-عندك حق يا عمتي، أنا لاحظت ذلك أيضًا، إن علاقة سلطان بفاتن غريبة حقًا، تعلقه بها وإصراره عليها جعلني أشك في ذلك الأمر كذلك، لا يوجد ابن صالح بار بوالديه فجأة يتحداهم من أجل فتاة، أكيد هذا سحر.

صدمت مشاعل من كلام منال عن أختها فسألتها بدهشة:

-أتتكلمين جد أم تسخرين من كلامي...!؟

-حاشَ أن أسخر منك يا عمتي، بل أنا فاعلة خير وأريد أن أساعدك، أنا أحب الله ولا أحب أن أرى أحد متضرر بسبب السحر وأتركه هكذا، بسبب هذا السحر سوف تخسرين ابنك ومالك وكل ما تملكين، سوف تسيطر عليه تدريجيًا ومن ثم تحصل على كل شيء، وأنتِ والبقية سوف تخرجون من المولد بلا حمص كما نقول في مصر.

صدمت مشاعل وأردفت هامسة لمنال:

-أنتِ بنت حلال يا منال، لستِ مثل فاتن، تلك الحرباء التي تتصنع البراءة... حقًا لا أشعر تجاهها بالأمان، بينما أنتِ قلبي ارتاح لكِ، قولي لي ماذا عليّ أن أفعل؟

-اتركِ الأمر لي يا عمتي، كله في سبيل الله، أنا أعرف صديقة لي تعرف شيخ كبير يفك السحر، وفك السحر وتعطيل الأعمال هذا كله خير لا شبهة حرام به.

-ونعم بالله يا بنتي، ولكن ما المطلوب مني...؟

-لا أدري ما المطلوب يا عمتي سوف أقول لصديقتي ومن ثم أعطي لكِ خبر.

ومن ثم دخلتا بالقهوة وهما تنظران لبعضهما وتبتسمان ابتسامة خبيثة فيما بينهما.

★★★

في اليوم التالي ذهبت الإبليسية... أقصد منال... إلى الدجالة... أوف... أقصد الساحرة خديجة وطلبت منها أن تقوم بعمل سحر يحول حياة أختها فاتن إلى جحيم، سحر يفرق بينها وبين زوجها، سحر كراهية، إلى أن يصل الأمر في النهاية إلى الطلاق، ولكن لا تريد طلاق بسهولة، لا بل تريد أن ترى أختها تتألم وتتعذب كي تتشفى بها.

ابتسمت لها خديجة وقالت لها بمكر:

-حسنًا، لكِ ما تشائين ، تعالِي في الغد ومعك ٢٠٠٠درهم وخذي المعلوم.

-لمَ ٢٠٠٠ درهم؟

-لقد تغير حالك يا منال والآن صار معكِ المال، لذا إذا كنتِ ترغبين فيما تريدينه مني تعالِي لي ومعك المعلوم.

-حسنًا، موافقة ولكن هل هذا...؟

-هههههه، أرى أن نظراتك متشتتة، أتظنين إن هذا به شبة حرام أو سحر، ليس سحر بتاتًا، ما دام في سبيل سعادتك أكيد حلال... هذا سحر حلال لأنها لا تستحق... فبالتالي سوف نسلب منها ما لا تستحقه وكفى...

-صحيح، كلامك صحيح.

ربي يقدرك على فعل الخير يا منال.

★★★

(٨)

في اليوم التالي، استغربت فاتن من منال التي جاءت لزيارتها، ولكن ما زاد استغرابها أن منال سألت عن مشاعل مباشرة.

دخلت منال لمشاعل ولكن وجدتها تتحسر على حالها:

-أرأيت يا منال صار لها يومين في البيت ولا تسمع لي كلمة واحدة، لا تساعدني في شيء، ولا تأكل معنا، وكأننا لا نليق بمقامها تلك المصرية، وإذا تفوهت بكلمة لها أجد ابني أنا يصيح بي ويقول لي أن أدعها وشأنها.

-هذا من السحر يا عمة، وها قد جئت لكِ بالمطلوب، خذي تلك الزجاجتين الصغيرتين.

-وماذا أفعل بهما...؟

قامت منال من مكانها تتسحب وقامت بغلق باب الغرفة ومن ثم عادت لمجلسها من جديد وأردفت هامسة:

-الزجاجة الأولى بها ماء، اسكبي محتواها في الطعام الذي سوف يأكله أو شراب سوف يشربه سلطان... تأكدي أنه هو من سوف يتناوله.

-وما دور هذا الماء يا بنيتي...؟

ردت منال مسرعة:

-هذا سحر من أج...

ومن ثم فاقت من شرودها وأردفت مصححة بعد أن رسمت ابتسامة سمجة على وجهها وهي تضرب بكف يدها على جبينها:

-أقصد، هذا الماء لفك السحر الذي قامت به فاتن لسلطان يا عمة.

-وما هذه الزجاجة الأخرى يا بنيتي...؟

-هذه الزجاجة بها مسحوق لا أدري كنهه ولكن ما عرفته يجب عليكِ أن تقومي برشه أسفل سريرهما كي ينفر منها سلطان ولا يقترب منها ثانية.

-حسنًا، يا بنيتي، فهمت، الآن هذا الماء لفك السحر ولكن المسحوق الآخر أليس هذا سحر يا بنيتي...!

-حسنًا يا عمة إن كنتِ لا تريدينه لا تأخذينه.

-لا لا يا بنيتي أنا أسأل فقط، حسنًا قولي لي ما تكلفة كل هذا؟

-لا داعِ يا عمة لا يوجد فرق بيننا، قلت لكِ أنا أفعل ذلك من أجل الله، لا يرضيني أن أراكِ بعد ما تعبتِ وسهرتِ وكبرتِ ابنك يضيع منكِ بسبب فتاة ساحرة حتى وإن كانت أختي.

★★★

في ذات اليوم مساءًا أي بعد أن عاد سلطان من عمله وبعد أن تناول العشاء مع زوجته فاتن في غرفتهما فقط ولم يشارك والداه في عشاءهما، ومن ثم كالعادة بعد الأكل طلب سلطان من فاتن أن تعد له فنجان قهوة.

ولكن استغربت فاتن عندما دخلت المطبخ، وجدت مشاعل تنظر لها مبتسمة متسائلة:

-ماذا تفعلين يا فاتن...؟

-سوف أقوم بتجهيز فنجان قهوة لسلطان...

-لا داعِ أن تتعبي نفسك يا بنيتي، سوف أعده له أنا، هو معتاد عليه من يدي.

فتحت فاتن فاهها مندهشة ولكن سرعان ما أفاقت من شرودها وأردفت:

-لا أريد أن أتعبك يا عمتي، لن يأخذ مني وقت و...

-لا تتعبيني معكِ، لمَ أنتِ عنيدة هكذا اذهبي لزوجك وأنا سوف أتِ به له هيا.

★★★

وبالفعل جهزت القهوة بذلك الماء، وعندما دخلت الغرفة استغرب ابنها سلطان ولكنه سعد جدًّا بتغير أمه فَهم من مكانه وقام بتقبيل يدها ورأسها وشكرها على مجهودها.

وعندما خرجت همس لفاتن:

-ألم أقل لكِ يا فاتن أن أمي لا يوجد أحن من قلبها، إنها فقط تحتاج لبعض الوقت وسوف تعتاد عليكِ، وسوف تعاملك أفضل مما كانت تعاملك أمكِ.

-أسمع مهما كان لا يوجد شخص في الكون أحن علينا من الأم، الأم لا تعوض ولا يوجد لها بديل ولا مثيل.

يعني أنا مهما ذهبت أو أتيت لن أجد من هو أو هي أحن عليّ من أمي.

-وأنا يا فاتنتي؟

ابتسمت له فاتن وهي تتوسد أحضانه وأردفت هامسة:

-لا أنت لا تقارن بأحد يا سلطاني... لأنك باختصار أنت أنا وأنا أنت.

★★★

في اليوم التالي استيقظت فاتن ولكن بمجرد أن فتحت عينيها لم تجد سلطان بجوارها، فهرعت تبحث عنه، ولكنها تفاجأت بأنه مع أمه مشاعل ويتناول الفطور وعندما رأته استغربت وسألته وهي تدعك عينها كي تطرد ما تبقى من نوم في عينها:

-متى استيقظت يا سلطان...؟

نظر لها سلطان نظرة لم ينظر بها من قبل لها وأردف غاضبًا:

-ألكِ عين تسألين متى استيقظت...؟ هذا بدلًا من أن تستيقظي قبلي وتحضري الفطور لمن في البيت.

-وما دخلي أنا بمن في البيت يا سلطان، ما الذي غيرك اليوم...!؟ أنت اتفقت معي أني ليس لي دخل بأحد ولا أحد له دخل بي، وأنا في بيت أهلي لم أكن أفعل أي شيء، وأنت وعدتني أني سأظل على حالي هذا بل وسوف تجعله أفضل.

قام سلطان من على سفرة الطعام وهم ماسكًا ذراع فاتن بقوة ونظر لها نظرة توعد وأردف:

-هاي، هذا الكلام في بيت أهلك لا في بيتي أنا، ما دمتِ في هذا البيت احترمي قواعده.

ومن ثم نظر لأمه وهم تجاهها وقبل رأسها وأردف:

-إذا قصرت معك في شيء يا أمي قولي لي وأنا سوف أتصرف معها.

ارتسمت بسمة خبث على وجه مشاعل ونظرت لفاتن التي رسم على وجهها ملامح الصدمة.

★★★

أمرت مشاعل فاتن برفع الاثاث ومسح البيت كله إلا غرفة فاتن وسلطان، إن البيت لا يحتاج لذلك ولكن ذلك كان يشفي غليلها تجاه فاتن.

وفاتن لا تريد أن تتفاقم الأمور أكثر، اكتفت أن تسمع الأوامر وتنفذ، لأنها تكتفي أن يكون النقاش بينها وبين سلطان وكفى.

أثناء تنظيفها للبيت جاء لها حماها زايد الرجل المسن البشوش ذا اللحية البيضاء وهمس لها:

-اصبري يا بنتي واحتسبي أجرك على الله، اعتبريها أمك وكل ما تفعليه لها لكِ عليه ثواب.

امتلأت عيني فاتن بالدموع متحسرة على الوضع التي وضعت نفسها به وأردفت هامسة باكية:

-ولكن أمي لم تكن تفعل بي ذلك، يا عمي أنا لا أفهم في أمور البيت ولا أحبها، أنا فتاة أكاديمية، عندي طموح وأهداف وسلطان وعدني أنه سوف يساعدني ويتركني أحقق ما أطمح إليه.

-متأكد أن سلطان لن يمنعك من تحقيق أحلامك، ولكن هو في نفس الوقت يريد أن يرضي أمه، يريد أن يكسب كلاكما.

مرت مشاعل بجوارهما فهم زايد بالرحيل من المكان بعد أن نظر لها متحسر وقال:

-لا حول ولا قوة إلا بالله.

★★★

ظلت فاتن من السابعة صباحًا حتى وقت الغداء لم ترتاح قط.

وعندما عاد سلطان للبيت وقت تناول الغداء، كانت تتأمل أن يتناولان الغداء بمفردهما ومن ثم تناقشه فيما حدث معها، ولكنها استغربت بأنه قال لها:

-من اليوم تناول الطعام مع الأهل لا يوجد أكل في الغرفة، أفهمتِ...؟ هذه أسرتك الجديدة واعتادي على هذا الأمر.

-ليس لدي مانع يا سلطان في ذلك، ولكن ليس من الطبيعي أن تعاملني أمك كأني خادمة.

-كأنكِ خادمة، لا يا فاتن لا تقولي ذلك، أنتِ فعلًا من اليوم خادمة البيت.

-أنا في بيت أهلي كنت ذات قدر وكانوا يعاملونني كملكة.

-بما أنكِ جربتِ شعور أن تكوني ملكة، أنا سوف أمنحكِ الفرصة كي تعيشي دور الخادمة.

ومن ثم قهقه ساخرًا.

ولكنها قاطعت ضحكته واعترضت على سخريته غاضبة:

-خادمة ماذا...؟ أنا أهدافي كثيرة وأريد أن أصل إلى مكانة عالية.

-من اليوم لا يوجد لا أهداف ولا طموحات، أفيقِ من أحلام اليقظة تلك وعيشي الواقع، أنتِ مصرية، ذهبتِ أو جئتِ مجرد مصرية، خلقتم كي تكونوا عبيدًا لنا وكفى.

-عبيدًا لكم...! من أنتم كي تصنفوا أنفسكم أسياد ونحن عبيد.

وفي أي زمن أنت كي تقول عبيد، النبي محمد قد جاء للدنيا كي يمنع تلك الفكرة.

أتظنون أنكم أسياد لآن معكم المال الكثير ونحن عبيد لأن معنا المال القليل.

الله لا يضع فروق بين البشر، وإذا كنت تريد أن تقول كلمة العبيد فكلنا عبيد لله وحده.

لا يوجد أحد من البشر له الحق أن يمارس سلطة السيادة على أحد.

سيدنا عمر ابن الخطاب يقول (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا).

وإن جئت للحق إذ كنتم تعتبرون أنفسكم أسياد لا يصح يا سلطان أن تعتبر نفسك سيد عليّ لأنك لا تملك مالًا.

أنا لم أوافق على من كان أعلى مكانة وأكثر مالًا كي لا أسمع منه تلك الكلمات التي تنم على تخلف قائلها.

إن الله عز وجل قال (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) أي بالعبادة لا بالمال، أي نعم نحن فارغين الجيوب ولكن لسنا فارغين العقول.

هم سلطان ضاربًا إيها كف على وجهها مردفًا:

-اخرسي، هنا لا نريد أن نسمع لكِ صوتًا، كل ما عليكِ أن تقولي حاضر وكفى، وحذاء أمي ضعي فردة منه فوق رأسكِ والثانية في فمكِ كي لا تتفوهي بالغلط ثانية.

صدمت فاتن من سلطان لأنه أهانها وضربها، لذا لم تأكل من شدة حزنها.

ولم يتكلم سلطان معها.

في المساء قال بصوت مسموع لأبيه زايد عندما حاول أن يصلح بينهما:

-يجب أن تأتِ وتعتذر وتقبل رأس وقدم أمي.

فاتن مستغربة لأنها لم تفعل شيء من الأساس كي تعتذر عليه.

ظلت يومين لا تأكل، تقوم بعمل البيت من دون أي كلمة، ولكن بعد أن وضعت لهم سفرة العشاء شعرت فاتن بالدوار.

بدأت الصورة غير واضحة أمامها ومن ثم اختفى صوت من حولها ومن ثم سقطت أرضًا.

هم زايد مفزوعًا على فاتن يحاول افاقتها ولكن بلا جدوى. صرخ في سلطان: "هيا ساعدني نرفعها للمستشفى حالًا" ومن ثم نظر لمشاعل وأردف غاضبًا:

-أنتِ حسبي الله عليك، حرام عليك، اعتبريها ابنتك، أترضين أن يفعل أحد هكذا في ابنتك...؟ إلى أين سوف تذهبين من الله...! هيا يا سلطان هيا.

يا ستار استر يا رب.

★★★

وفي المستشفى عرف سلطان أن فاتن حامل ولكنه استقبل الخبر ببرود، ومن ثم طلبت الطبيبة من سلطان أن ترتاح فاتن وأن لا تتعرض لضغط نفسي أو تعب جسدي خاصة في الشهور الأولى.

كان زايد يشعر بأنه يطير من الفرحة لأنه سوف يكون له حفيد من سلطان... ها هو الحفيد الذي سيحمل اسم العائلة سوف يأتي عن قريب.

ولكن فاتن حينها شعرت أنها في مأزق كيف تحمل من شخص تغير ١٨٠° إنها الآن في موقف لا تحسد عليه.

وعندما وصلوا البيت هلل زايد بالخبر ولكن الخبر وقع على مسمع مشاعل مثل من سكبت عليها دلو به ماء مثلج في ليلة برد قارص.

كل من فاتن وسلطان ومشاعل مصدوم لم يكن هناك سعيد بهذا الخبر سوى زايد الذي قرر سريعًا أن يكف عن سعادته، لآن السعادة لا تكون لها طعم إن لم نجد من يشاركنا بها.

★★★

في اليوم التالي وأثناء قيلولة الجميع قررت فاتن أن تهرب من البيت إلي بيت أهلها، تريد أن تشكي لهم حالها والمصيبة التي صارت بها وما زاد الطين بلة هو حملها.

ولكنها بمجرد وصولها لبيت أهلها وجدت أهلها يجهزون أمتعتهم وحقائب السفر، فتحت فاتن فاهها مندهشة وأردفت متشككة تتمنى أن يكون ما في بالها خطأ:

-ماذا تفعلون...؟ إلى أين أنتم ذاهبون...؟

نظر لها أبوها ومن ثم هم معانقًا إيها وأردف:

-آه يا حبيبتي، لم أرغب أن أقول لكِ سوى يوم سفرنا كي لا تحزني.

-سفركم...! إلى أين...؟

-في الغد موعد سفرنا لمصر، بلدنا الحبيب يا حبيبتي، كما تعلمين إن المغترب سوف يأتي له يوم مهما طال به الوقت ويعود لموطنه، مهما احتوته بلاد العالم لن يكون هناك حضن يشعره بالأمان سوى بلده الأم.

-ولكن لمَ يا أبي لمَ...؟

واجهشت بالبكاء فعانقها أباها بشدة مهدئًا أيها وأردف وهو يقبل رأسها:

-يا حبيبتي ها أنا كبرت وأريد أن ارتاح يكفيني تعب وشقاء أحتاج أن استقر في بلدي، وها قد أطمئن قلبي عليكِ وعلى أختك منال، سلوى سوف تكمل تعليمها في مصر، وسوف نطمئن عليكما بالاتصال وسوف ننتظر زيارتك أنتِ وأختك من حين لآخر.

صارت فاتن تشعر بأن الغصة تخنقها، لا تدري أتبكي على سفر أهلها... أم على حالها مع سلطان والمعاملة القاسية التي تتعرض لها..!

كانت تنوي أن تشكي لهم ما حدث ولكنها لم تجد أن الوقت مناسب، عانقتهم بشدة واستأذنت مسرعة، سألوها مستغربين وهي تنزل على السلم:

-ولمَ العجلة يا فاتن...؟

-لا يوجد وقت للشرح يا أمي، لا يوجد وقت...

نزلت باكية تمشي في الشارع مسرعة متأملة أن تكون عائلة سلطان ما زالوا نائمين، ولكن بمجرد فتحها لبوابة البيت ودخولها الفناء وجدت أمام البوابة الداخلية مشاعل، التي بمجرد أن رأتها صدمت فاتن وأصابها القلق، سألتها مشاعل بمنتها القوة والجبروت وهي تسحب فاتن للداخل:

-أين كنتِ أيتها الفتاة...؟ ألم يعلمك والديك أن تستأذني قبل الخروج، ألسنا بمالئين عينك أيتها ال...! إن كان أهلك نسوا أن يعلموكِ الأدب سوف نعلمك نحن.

سمع سلطان هذا الجدال فهم مستيقظًا وسأل عن السبب، فأردفت أمه غاضبة:

-زوجتك المحترمة، وجدتها تتسحب خارج البيت ومن ثم عادت تتسحب على مهل مثل اللصوص، هيا أسألها أين كانت، هي لو كانت تظنك رجلًا لما كانت فعلت ذلك.

ردت فاتن مسرعة مدافعة عن ذاتها باكية:

-كنت أشعر بالتعب وكل من في البيت نيام، قررت أن أذهب إلى الصيدلية لكي أسأل عن دواء يساعدني في حالتي ولكن الصيدلية مغلقة و...

قاطعها سلطان ضاربًا إيها كف على وجهها ومن ثم سحبها من شعرها وأردف من دون أن يفك قبضته عن شعرها:

-تعرفين يا فاتن لو تموتين لا تذهبي لمكان من دون استئذان أتفهمين أم لا...؟ وقسم بالله لولا أنك حامل لكنت كسرت عظمك الآن.

دخلت فاتن غرفتها باكية وحيدة فزوجها لم يدخل الغرفة من بعد أول مشكلة لأنه أقسم أن فاتن عليها أن تعتذر له و لأمه أولًا ولكن فاتن لم ولن تعتذر على شيء لم تفعله قط.

★★★

في صباح اليوم التالي سمعت مشاعل جرس البيت، استغربت من يأتي لأحد الساعة السادسة صباحًا، نادت على فاتن بعلو صوتها:

-أنتِ يا بنت... اذهبي واعرفي من على الباب، والبسي هذه العباءة... تعلمي الحياء... هيا اسرعي.

قامت برمي العباءة في وجه فاتن بقوة وذهبت.

فتحت فاتن الباب وجدت أباها وأمها فجاءت مشاعل متسائلة قبل أن ينبس أحدهم ببنت شفة، أردفت هي وقالت:

-هل يصح أن يزور أحد الغير في هذا الوقت المبكر...؟

غضبت فاطمة من ذلك الأسلوب الفج ولكن عبد الحفيظ أمسك يدها كي يمنعها من الكلام مهدئًا إياها ومن ثم أردف:

-أتينا هنا لكي نودع ابنتنا قبل سفرنا، لأننا لم نلحق أن نشبع منها بالأمس و...

من ثم صدمت فاتن وأشرت بأصبعها على فمها كي يتوقف أباها عن الكلام.

نظرت لها مشاعل رافعة إحدى حاجبيها وقالت:

-آها، يعني بالأمس كنتِ عند أهلك...!

ومن ثم حولت نظرها إلى أسرة فاتن وأردفت:

-أكيد ذهبت إليكم كي تخبركم أنها حامل.

ومن ثم نظرت نظرة تهديد لفاتن وأردفت:

-أم ذهبتِ يا فاتن لكي تخبريهم بأمر آخر.

نظرت لها فاطمة مندهشة وهمت بمعانقة ابنتها والدموع بدأت تسقط من عينها من شدة الفرحة وأردفت:

-حامل يا فاتن، حامل يا حبيبتي، الله أكبر، اللهم بارك، ربي يتمم لكِ على خير يا ابنتي، ولكن لمَ لم تقولي لنا بالأمس...!

تقول ذلك وهي لا تتوقف عن معانقة وتقبيل فاتن ومن ثم اكملت وهي تنظر لعبد الحفيظ ضاحكة:

-يمكن لم تقل لنا لأنها تستحي أنت تعرف ابنتك يا عبد الحفيظ.

باركوا لها أهلها وهي لا تكف عن البكاء.

تبكي لرحيلهم وتبكي بسبب الجحيم الذي وضعت نفسها به.

بعد أن بارك لها عبد الحفيظ قال:

-هذا خبر سعيد يا فاتن لا أقدر أن أصف لكِ سعادتي بكِ يا بنيتي ولكن إذا انجبت ولد سميه عبدالحفيظ، أو إذا كانت بنت سميها فاطمة لا يوجد أجمل من هذا الاسم.

قال ذلك وهو يتغزل في عيني زوجته، فشعرت بطة بالخجل وضربته برفق على يده كي لا يحرجها بغزله أمام من حولهما.

كانت مشاعل مكتفية بالنظر لهما باستحقار وكفى، تتأفف كي يشعروا أنهم ثقال على قلبها وصدرها وأنهم جعلوها تشعر بالضيق فعليهم أن يرحلوا.

وبالفعل اكتفوا باللقاء من على الباب، لآن مشاعل لم تعزم عليهم أن يدخلوا البيت.

★★★

استيقظ سلطان على صوت إغلاق البوابة ومن ثم قام وأثناء ذهابه في طريقه للحمام رأى فاتن وأمه وسألهما وهو يفرك عينيه كي يفيق:

-أين كنتما...؟

-هههههه، أتسأل أين كنا...؟ اسمع... إن زوجتك هذه لا ينفع أن يستمر وجودها في هذا البيت، إنها بالأمس لم تخرج من وراءك فقط، بل كذبت عليك، كانت عند أهلها.

مثل هذه لا يمكن أن يعطى لها الأمان وتظل في هذا البيت.

استشاط سلطان غضبًا لأن شكله أصبح سيء جدًّا أمام أمه، فبدأ في ضرب فاتن بلا رحمة إلى أن أسقطها أرضًا.

أسرع زايد خارجًا من غرفته على صوت الضرب وأخذ فاتن من تحت سلطان الذي هم فوقها ضربًا، يضربها بكل قوته ولا يضع في اعتباره أنها انثي، أو أنها زوجته، أو حتى أنها حامل.

أخذها زايد ومن ثم بدأ ينصح ابنه:

-ماذا تفعل يا سلطان...؟ أجننت...! لم أتصور أن تفعل ذلك يومًا، ضربتها بالكف مرتين وتجاوزت عن فعلتك تلك، بينما تضربها بكل قوتك أي كأنك تضرب رجل أمامك... إن ما فعلته ليس من سيم الرجولة التي ربيتك عليها.

ومن ثم عانق فاتن التي تبكي بحرقة، ها هو يربت على كتفها مهونًا عليها.

-أترضى على أي من إخوتك البنات أن يقمن أزواجهن بضربهن هكذا...؟

هم سلطان تجاه فاتن يريد أن يسحبها كي يكمل ضربها، ولكن زايد سحبها تجاهه.

أردفت مشاعل متعجرفة:

-هايّ يا زايد، لا تشبه هذه الحثالة ببناتي، بناتي يفهمن الأصول، بناتي متربيات، لا مثل تلك المصرية الآتية من بلد الراقصات.

-ماذا تقولان...؟ إن وجودها في بيتنا أمانة، يجب أن نكرم مأواها ونحن من طلبناها لتكون في بيتنا لا هي من فرضت نفسها علينا.

الله يقول: {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ}

هذه الكلمة اعجبت مشاعل فهمت واقفة وأردفت وقد هش وبش وجهها:

-عليك نور، إن ابني خدع بها والآن عرفها على حقيقتها، إذًا فليطلقها أفضل وبذلك نطبق شرع الله يا شيخ زايد.

نظر لها زايد بخزي وأردف:

-حسبي الله ونعم الوكيل، أتفترين على الله كذبًا...! اتقي الله يا مشاعل، تذكري كما تدين تدان، ولا أحد منا يضمن مكر الله والدنيا.

نظر سلطان إلى أمه وأردف:

-لن أطلقها يا أمي، لا تنسي أنها حامل في ابني، أنا أفعل ذلك لكي أعيد تهيئتها كي تعيش معنا حياة مستقرة بلا مشاكل وكي تفهم عادتنا وتقاليدنا، وإن لم تفهم بالذوق فلتفهم بالضرب، أظن إن الله أمر بذلك يا أبي...!

{فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ}

قاطعه زايد وهو يأخذ فاتن إلى غرفتها، قال بصوت عالٍ وهو يهم ماشيًا:

-إلى متى ستظلان تفسران كلام الله على مزاجكما، كفاكما افتراء على كلام الله كذبًا، إن حسابكما عسير عند الله.

لحق بهما سلطان للغرفة ومن ثم نظر لأبيه وقال:

-اتركها يا أبي بمفردها لكيّ تعلم خطأها.

نظر له زايد وطلب منه:

-اجلس يا سلطان، الله يهديك، لا تنجرف وراء طريق أمك يا ولدي، اتبع الحق وكفى.

الله يقول في كتابه العزيز:

{وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}

الله عز وجل يقول في كتابه الكريم إذا حثاك والديك على الشرك به أو اتباع أي معصية فلا تطعهما، ولكن لم يقل اكرههما وازجرهما لأنهما غير صالحين، بل بالعكس الله أمر وقال وصاحبهما في الدنيا معروفًا، أي إن كانت امك تحثك على أن تأذي زوجتك لا تطعها في هذا الأمر حاول أن ترضي أمك وفي نفس الوقت لا تقس على زوجتك.

نبينا محمد أمرنا وقال (رفقا بالقوارير) (وما اكرمهن إلا كريم وما اهانهن إلا لئيم).

ضجر سلطان من هذه الخطبة وأردف:

-يا أبي ماذا تقول...! أتظن أني صغير لا أفهم، الله يقول {وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ} الله يتكلم عن الشرك فقط، ذاك الشيء هو الذي يجب أن لا نطيع فيه الوالدين، غير ذلك يجب أن نطيعهما مهما كان ما يطلبونه منا.

-أتظن أني أكذب عليك...! لا يمكنني أن أفسر كلام الله خطأ وآثم على فعلتي تلك، بل أنا أشرح لك المعنى بشكل صحيح اقرأ باقي الآية يا ولدي الله يقول {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ}

ومعنى من أناب إليّ يعني المؤمنون، اقتدي في حياتك بالمؤمنين الصادقين الصالحين مثل الأنبياء والصحابة.

انظر لوصاية النبي للمرأة واقتدي به.

اقرأ في سيرة الرسول وانظر كيف كان النبي محمد كيف كان يحسن لأهل بيته بالحب والكلمة الطيبة وليس هذا وكفى بل كان يساعدهم في البيت.

يعني نبينا محمد كان مهتم بالأمور المعنوية والمادية والنفسية.

اقرأ قصص الحب التي كانت بين نبينا محمد مع زوجاته كيف كانت.

نبينا محمد قدوة لنا في كل أمور الحياة لا في الطاعة والعبادة فقط.

وفي كتاب المولى عز وجل يقول {وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.

علاقتك يا بني بفاتن كانت مبنية على الحب أي كما أراد الله، لمَ الآن تنجرف وراء كلام الغير...؟ لمَ...؟

-يا أبي أمي لمَ تقل لي شيء لا تظلمها، وكل ما فعلته هو حقي عليها وهذا شرعه الله لي.

-أنا أظلم أمك، أنا قد اشتعل رأسي شيبًا وها أنا ما زلت متحمل أمك وطبعها الحاد كي لا يتأذى هذا البيت ومحتسب أجري عند الله، دعنا من موضوعي أنا الآن، دعني أشرح لك أمرًا لأنك فهمت الآية بشكل خاطئ {فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ}

أنت ترى أنها أخطأت عندما خرجت من البيت من دون علمك حسنًا عندك حق يا ولدي، أنت أعطاك الله رخصة أنك تهجرها في المضاجع كي تشعرها أنها أخطأت في حقك وتأتي إليك معتذرة.

وكلمة اضربوهن أي معناها الضرب الهين الذي يعبر عن اللوم والعتاب، لا الضرب الذي يهين ويذل، الله لم يخلق أحد من البشر كي يذله الأخر أو يهينه.

ونبينا محمد قال {إذا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ}.

وأنت أهنتها وضربتها على وجهها أي على موضع كرامة المرء.

استحالة من يأمر بعدم الضرب يأمر في حين أخر بضرب المرأة، الضرب الذي قال عنه نبينا محمد مثل الضرب بالسواك أو بشيء خفيف لا يؤلم ولا يجرح ولا يكسر بها شيء، مجرد تعبير عن شدة الحزن تجاه الشريك لا أكثر ولا أقل.

أن ديننا غير متناقض يا بني، كيف للمولى يقول بينكم مودة ورحمة وإمساك بمعروف... ويسمح أن تضربوهن وتهينوهن...!

كيف للحبيب المصطفى يقول اضربوهن وفي نفس الوقت يقول رفقًا بالقوارير واكرموهن، وكان نبينا محمد نعم الزوج لزوجاته.

قبل أن تردد الآيات عليك أن تفهمها جيدًا ولا تفسرها على هواك.

-أبي أنا فعلت كل ذلك كي أصلح منها و...

-يا بني أنا معك في أمر واحد ولكن ضد ما فعلته في أكثر من شيء، وإذا أخطأت فاتن... وجهها... ولكن بأمر الله (بالحكمة والموعظة الحسنة).

-هيا قومي بتحضير الفطور كي لا أتأخر على عملي.

ساعدها حماها زايد على النهوض، نظرت له فاتن بنظرة وهن، ظل ساندًا إياها حتى وصلت للمطبخ، فعانقته باكية وقبلت يده ورأسه ومن ثم مسح على رأسها وأردف:

-إن ما تمري به ابتلاء عظيم، احتسبي أجرك عند الله يا بنيتي.

★★★

(٩)

في المطبخ فاتن تحضر الفطور بدمع عينيها ولكن فجأة سمعت صوت أوقف نحيبها وبكائها:

-توقفي عن البكاء، من مثلك لا تستحق البكاء، أنتِ خلقتي لكي تكوني ملكة تجليسين على العرش ويكون لكِ خدم ينفذون ما تشتهيه.

تلفتت فاتن كي تعرف مصدر الصوت ولكنها لم تجد أحد.

شعرت بالخوف ولكن سرعان قالت في قرارة نفسها:

-يبدو أنه يتوهم لي، بسبب شدة التعب والإرهاق.

ومن ثم سمعت الصوت مرة أخرى يهمس لها:

-هيا كلي واشربي وقري عينًا ولا يهمك ما حدث لكِ يا ملكة، لا يوجد شيء يستحق أن تتعبي وتعاني من أجله هكذا، من اختار بُعدك هو الخاسر، هيا كلي كي تقوي وكي لا تتعبين.

لا تدري فاتن ما هذا الصوت الذي تسمعه، لا تدري هل هو نابع من ذاتها أم من الخارج، ومن ثم أردفت في قرارة ذاتها:

-يبدو أن التعب الذي أمر به وصل إلى أنه تمكن من نفسيتي، إني على حافة الجنون صرت أسمع صوت غريب وأحدث نفسي، اعني يا الله على ما أمر به.

بعد أن وضعت فاتن الأكل لسلطان وأسرته، همت كي تأكل هي بمفردها في غرفتها، فسمعت الصوت ينبع من داخلها ولكنها تسمعه حولها:

-لن تحتاجي أحد أو تحتاجي لشيء أن اخترتني أنا، اختريني يا فاتن.

لا تدري فاتن ما كنهه هذا الصوت، تقول إنه مجرد أفكار متعلقة بالفترة الماضية عندما كان عدنان مصر عليها، يمكن بسبب حالتها السيئة

مع سلطان صارت تتذكر عدنان وإصراره عليها، يمكن مجرد أفكار نابعه من الندم بسبب سوء اختيارها.

فاقت من شرودها واستغفرت:

-استغفر الله، عدنان...! ماذا...؟ أنا لم اشغل بالي به من قبل...! هل أفكر به بعد أن صار زوج أختي...!؟ االع ما هذا التحليل الخاطئ.

★★★

ومن ثم بعد أن انتهت فاتن من تناول طعامها مسرعة وعندما كانت تحمل الصينية وتريد أن تفتح الباب لمحت في المرآة انعكاس جسم.

جسم سلطان.

ولكن بمجرد أن نظرت في الاتجاه الآخر لم يكن سلطان في الغرفة، ومن ثم أعادت النظر من جديد للمرآة لم تجد ذلك الانعكاس.

تمتمت في قرارة نفسها:

-آه يا فاتن، يبدوا أن التعب والحمل قد أثرا على عقلك.

★★★

ومن ثم خرجت من غرفتها لا تتحدث ولا تنظر إلى أحد، تقوم بكافة أعمالها كي لا يخاطبها أحد.

وبعد أن أنهكت في أعمال البيت قررت أن تدخل غرفتها بعد تناول الغداء، ولكن بمجرد أن دخلت غرفتها شعرت أن هناك شيء ما يسحبها تجاه المرآة كي تقف أمامها.

وبداخلها صوت يهمس لها:

-لا يوجد بجمالك يا فاتن، يا أجمل فتيات الأنس والجن، أنت تستحقين أن تتوجي ملكة جمال على الكون كله.

اعطيني يدك وسوف أجعلك ملكة... هيا تعالِي معي.

أفاقت فاتن من شرودها مستغربة من ذلك الصوت، ولكن بالفعل بدأت تنظر لنفسها بإعجاب وأردفت:

-صحيح أنا جميلة وإذا جاءت الدنيا عليّ كي تدمرني وتحزنني فلن أيأس ولن استسلم، وسوف أواجه الصعب في حياتي بابتسامتي، فحزني لن يزيد الأمر إلا سوءًا.

ومن ثم شعرت أن يدها تجذبها لكي تضع أحمر شفاه والقليل منه على خديها مما زاد فوق جمالها جمالًا حتى بالرغم من ارهاقها وتعبها في تلك الفترة.

ومن ثم أغمضت عينيها لحظة واحدة وعندما فتحتها تفاجأت أن سلطان بجلبابه الأبيض الناصع المرتب يمشي خلفها أتيًا تجاهها بهدوء وراسم على وجهه ابتسامة وكأنه لم يؤذها قط.

تنظر فاتن لانعكاس صورته في المرآة مستغربة كيف يأتي لها مبتسمًا بعد فعلته تلك.

ولكن سرعان ما توقف عقلها عن التفكير عندما وجدت يدي سلطان قد التفت حول خصرها... ها هي تحاول أن تفك قبضته عنها وتقول له معترضة على لمسه إياها:

-كيف تتجرأ على لمسي هكذا... أتظن أني جارية لكم...! خادمة قد وفرتوا ثمن مرتبها...! خادمة تخدمكم مجانًا، وها أنت ذا أيضًا تظن أني مجرد شيء لإشباع رغباتك عندما تشتهي ذلك... ومن ثم تضربني وتهينيني وقت ما يحلو لك... اتركني هيا اتركني.

ها هو يقيدها بذراعه الملفوف حول خصرها بقوة وباليد الأخرة يلمس مفاتنها، وهي تحاول أن تفك نفسها بكل قوتها من دون أن تصرخ أو يصدر منها صوت يسمعه من في الخارج.

ومن ثم بدأ سلطان في تقبيل رقبتها وهو يضمها إليه بقوة ولكنها بكل قوتها تحاول أن تبتعد عنه، تنظر له في المرآة باشمئزاز.

أن العلاقة الحميمية لا تحدث بهذا الشكل، هي ليست حيوانة من أجل أن يقول لها هيا يعني هيا، يجب أن تكون متهيئة لهذا الأمر، أن تكون العلاقة مبنية على مشاعر حقيقية لا مجرد تمثيل للمتعة... وفي المكنون لا يوجد أي إحساس.

وفي أثناء محاولة فاتن أن تفك يد سلطان عنها رأت باب غرفتها يفتح في انعكاس المرآة.

صدمت عندما رأت سلطان هو من دخل ومن ثم فجأة لم تجد أي يد تقيدها من الأساس.

التفتت له مستغربة، لا تصدق، كيف له أن يدخل من الخارج وها هو كان معها ويعانقها، كيف ذلك...! كيف؟

نظر لها سلطان غاضبًا، وسألها:

-مع من كنت تتحدثين...؟

استمرت فاتن في دهشتها ومن ثم ردت متلعثمة:

-أنا، أنت... أنت كُنت هنا معي و...

قاطعها سلطان وأردف:

-أجننتِ يا فاتن...! أم تمثيلين دور المجنونة عليّ...؟

-أقسم لك أنت من كنت معي، لمَ تفعل ذلك بي...؟ أتريد أن تقنعني أنني قد جننت...!

لمَ تفعل ذلك...! ماذا فعلت لك كي تلحق بي كل هذا الضرر الجسدي والنفسي...؟ ماذا...؟ قل لي ماذا...؟

ومن ثم رمت نفسها على السرير واجهشت بالبكاء.

حينها أغلق سلطان الباب واقترب منها، ومن ثم بدأ يمسح دمعها.

قد فتن سلطان بجمال فاتن بعد أن وضعت القليل من أحمر الشفاه وبمجرد أن بكت ازداد جمالها أكثر وأكثر.

فهم معانقًا إياها.

حاولت أن تبعد يده عنها وأردفت له:

-لا تلمسني، قلت لك لا تلمسني، ألست أنا مجنونة اتركني وشأني... اتركني.

عانقها برفق... ومن ثم ربت على كتفها ماسحًا على شعرها البني الذهبي الناعم وقال لها بلين:

-سامحني يا حبيبتي، لا تحزني مما صدر مني، أنا ليس لي سواكِ وأنتِ كذلك.

واستمر يكلمها بلين إلى أن لانت فاتن بين يديه، فما يوجد شيء يجعل المرأة تلين سوى الكلمة الطيبة، إن المرأة كائن عاطفي جدًّا، كلمة ترفعها سابع سماء وكلمة تدفنها في سابع أرض.

ومن ثم استغل سلطان وقت قيلولة أهله فأقترب من فاتن ومارسا علاقة حميمية سويًا ولكن عندما قامت فاتن بفتح عينيها فوجئت بأن رأت وجه سلطان كان أشبه بوجه ثور ضخم، صرخت مفزوعة تحاول أن تهرب من سلطان، ولكن بمجرد أن وقفت بجوار السرير رأت سلطان على هيئته الطبيعية، ولكن على وجهه رسمت ملامح الاستغراب وأردف:

-ما الذي حدث...؟ ولمَ تصرخين هكذا...؟

-أنت، أنت وجهك، كان أشبه ب... أشبه برأس الثور و...

قام سلطان مسرعًا مرتديًا ملابسه لأنه سمع صوت أمه تطرق على الباب بعد أن سمعت صرخة فاتن.

ومن ثم همس لفاتن:كفي عن جنانك ذا، إلا قسم بالله أعلمك بطريقتي كيف تكونين عاقلة.

ما زالت أمه تطرق الباب وتتسأل:

-ماذا عندك يا سلطان...؟

همس سلطان لفاتن وهو يرمي لها ملابسها في وجهها يهينها:

-هيا ارتدي ملابسك... وارجعي لعقلك.

ومن ثم فتح الباب وأجاب أمه أنه لا شيء وأنه سوف يذهب للمحل.

★★★

بعد ذلك الموقف شعرت فاتن أنها شيء سهل جدًّا وبسبب غبائها وعاطفتها سامحته بسهولة ومن ثم أهانها واستحقرها.

★★★

ظلت تتساءل:

ما هذا الصوت الذي اسمعه، وكيف كان سلطان خلفي ومن ثم دخل الغرفة وهو كان معي...؟ كيف كان وجهه وجه ثور...؟ كيف حدث كل ذلك...! هل جننت...!

آه يا ربي.

★★★

في المساء نامت فاتن بمفردها في غرفتها باكية على حالها وعلى حظها السيء وفي أثناء نومها رأت أنها في مكان أشبه بالجنة المكان مضيء جدًّا وبه الكثير من الأشجار المثمرة التي تمر من خلالهم الأنهار ومن ثم رأت يد رجل امتدت لها وسمعت ذاك الصوت الذي سمعته أثناء يومها مردفًا لها:

-تعالِي معي يا فاتن، وسوف تعيشين في هذه الجنان وكل هذا الملك لكِ... لكِ وحدكِ، دعكِ من تلك الحياة التي تعاني بها.

تعالِي معي، أنا من بين بنات الأنس والجن أحببتكِ أنتِ.

ولكن فجأة تحولت اليد إلى يد ضخمة أشبه بيد الغول فقامت من نومها مفزوعة مما رأت.

فاتن لا ترتاح أثناء يومها.

وصارت لا ترتاح أثناء نومها كذلك.

فاتن تعاني، فاتن تتألم، ولا أحد يبالي.

سحقًا للحياة كم هي مؤلمة وقاسية.

بمجرد أن أفاقت من حلمها المفزع وتقلبت على جنبها الآخر فوجدت سلطان بجوارها، وهذا جعلها تفزع فزعة أخرى فوق فزعتها.

فتح سلطان عينيه على صوت فزعتها، ولكنه حاول أن يضمها إليه قائلًا:

-اهدئي يا حبيبتي، أنا بجانبك، لا تفزعي.

حولت يده عنها مستغربة متسائلة في قرارة نفسها:

-متى جاء إلى هنا.

ولكن قالت له وهي تهم من سريرها:

-أريد أن أذهب لأشرب القليل من الماء، أشعر أن قلبي سيتوقف.

ولكن أثناء مرورها رأت سلطان، ها هو ينام في المجلس الموجود في غرفة الجلوس.

فعادت مسرعة لغرفتها رأت سريرها فارغ.

استغربت كيف لسلطان أن ينتقل بهذه الخفة والسرعة.

-هل هو حزن مني لأني حولت يده عني...؟

إذا أراد أن يحزن فليحزن، يكفيني تصرفاته التي أوشكت أن تصيبني بالجنون تلك.

★★★

بعدها خرجت من الغرفة مسرعة ومن ثم ألقت نظرة على سلطان أثناء مرورها في الممر، نظرت لغرفة الجلوس وجدته كما هو، حينها قالت في قرارة نفسها أنه توقف عن ذلك المزاح السخيف معها.

قررت أن تذهب للحمام لقضاء حاجتها لأن تلك المواقف لبكتها وألمت معدتها.

وبعد أن انتهت وقفت أمام المرآة تتأمل نفسها تلوم نفسها على تخيلها لأشياء لا وجود لها.

ومن ثم قررت أن تغسل وجهها، وبمجرد نزول الماء على عينها، بدأت ترى ملامح غير واضحة في المرآة لبضع ثوان، ولكنها سرعان ما حولت الماء عن وجهها عامة وعن عينها خاصة كي ترى بوضوح، ولكنها لم ترى شيء.

التفتت لكي ترى من كان خلفها، تقول في قرارة نفسها:

-إنه سلطان أعلم جيدًا إنه هو، ولكن لمَ يفعل ذلك معي...!

شعرت أن هناك يد تلمسها من ظهرها، التفتت مسرعة ناظرة إلى الاتجاه الآخر نحو المرآة ولكنها لم ترى أحد وراءها، أردفت وقلبها يريد أن ينخلع من جسدها من شدة الرعب:

-آه يا فاتن، يمكن الحوض، جسدك لمس الحوض فتهيئ لكِ ذلك.

في تلك اللحظة التي تطمئن نفسها كذبًا وهي تنظر لنفسها في المرآة، رأت وجه سلطان يقف خلفها ضاحكًا ضحكة مرعبة.

صرخت ولكن لم تكتمل صرختها بمجرد أن التفتت لم ترى أحد عند الباب خلفها.

قررت أن تفتح الباب خارجة من الحمام.

قلبها ينبض بشدة، عقلها مشتت، لا تدري ما الذي تراه.

هل هذا حقيقي...؟ أم مجرد هلوسة...!

ذهبت للمطبخ كي تشرب كوب ماء كي تهدأ.

تمسك كوب الماء بيد خائفة مرتعشة، حتى إن نصف الماء الذي كان بالكوب قد سكب.

اعصابها قد دمرت بسبب ما مرت به.

حاولت جاهدة أن ترفع الكوب إلى فمها بعد أن ربع الكوب قد سكب على وجهها وجسمها، والربع الباقي الحمد لله قد وصل إلى جوفها.

ولكن أثناء شربها شعرت أن هناك من يمر خلفها مصدرًا هواء بسبب تغير مجرى الرياح النابع من الحركة.

في هذه المرة قررت أن لا تستسلم لأفكارها قائلة:

-إنها مجرد أوهام ولن استسلم لها، أنا فتاة مثقفة ولا أصدق بخرافات، إن ما أمر به بسبب التعب الشديد.

لذا قررت أن تعود غرفتها مسرعة.

ولكن بمجرد أن دخلت غرفتها رأت في المرآة التي تقابلها مباشرة، رأت أنها قد تحولت من مرآة إلى شيء أشبه بشاشة كبيرة.

شاشة ينعكس بها مكان أخضر والسماء به صافية، وبه أشجار لم ترى بجمالها قط، وطيور ما اروعها وما أبدع خالقها.

ولكن سرعان ما قطع شرودها ودهشتها ظهور سلطان في المرآة ولكن سرعان ما تحول سلطان إلى ذلك المسخ الآخر، ذلك الكائن المشعر الغريب ذا رأس الثور الضخم، ويده المشعرة ذات الأصابع التي تنتهي بمخالب طويلة.

تسمرت مكانها من هول الصدمة ولكن ما زاد الطين بلة أن ذلك المسخ بدأ يخرج من المرآة يمشي صوبها.

ها هو يتقدم تجاهها بخطوات بطيئة.

ها هو يرنو إليها، يرنو أكثر وأكثر.

من ثم مد يده إليها وقال:

-تعالِي معي إلى ذلك العالم الساحر ولن تندمي، بل سوف أجعل من أحزنك يومًا يندم على فعلته تلك.

قرب يده تجاهها وقال:

-تعالِي يا فاتن تعالِي.

من هول الصدمة فاتن فقدت النطق وشلت عن الحركة، لا تقدر أن تحرك لسانها فتصرخ، ولا أن تحرك قدميها فتطلقها للريح وتهرع هاربة.

بدأ ذلك المسخ يقترب منها، فرأت جسمه كاملًا في هذه المرة، جسمه السفلي مثل الحصان البني وجزعه جزع إنسان مشعر ورأسه رأس ثور ضخم ذا قرون ضخمة فضية لامعة مصقولة أي كأنها تاج على رأسه.

ولكن لم تتحمل فاتن ما رأته، شعرت أن قدمها صارت مثل الهلام لا يعتمد عليها للوقوف، فخرت واقعة على الأرض فاقدة للوعي.

★★★

في الصباح دخلت عليها مشاعل حماتها كي توقظها كي تقوم بتجهيز الفطور وأعمال البيت، ولكنها وجدت فاتن ملقاة على الأرض، لم تقلق عليها بل بالعكس، اقتربت منها ومن ثم شرعت توقظها بضربها بقدمها بقوة في بطنها على أمل أن توقظها وتؤلمها وتسقط جنينها في آن واحد فهي ما زالت في الشهر الأول من الحمل.

استيقظت فاتن وهي تتأوه صارخة من هول الضربة التي صوبت في بطنها جعلتها تتلوى أرضًا.

قام سلطان على صوت صرخة فاتن وسأل أمه:

-ماذا يحدث هنا يا أمي...؟

-ست الحسن والجمال نائمة وهي من حقها أن تستيقظ أول من في البيت وتوقظنا وتعد الطعام وتقوم بكافة أعمالها.

هم سلطان تجاهها وعينيه تستشيط غضبًا، ومن ثم أمسك بشعر فاتن الناعم الطويل ولفه على يديه القويتين وقام بجرها خارج الغرفة للمطبخ قائلًا لها أثناء سحبه لها:

-هل أنتِ غبية...؟ أم إنكِ تعشقين الإهانة والضرب، لمَ لا تقومين بما أمرناكِ به...؟

ومن ثم نظر لها وهي في أرضية المطبخ وأردف مكملًا:

-وبما إنك تحبين نوم الأرض أيتها الفقيرة، بما إنكِ لا تحبي أن تعرفين معنى النعيم، من اليوم مكانك المطبخ، تنامين به.

ومن ثم جلب بطانية لها ورماها على وجهها، فأرتطم رأس فاتن في الحائط الذي خلفها، ومن ثم أكمل إهانته لها:

-من اليوم هذا مكانك، وتلك البطانية هي ما تنامي عليها أو تتغطين بها... استخدميها كما تشائين، وهذا آخر تحذير لكِ، في المرة القادمة نهايتك ستكون على يدي إذا لم تنفذي أوامري وأوامر أمي.

جاء زايد قائلًا:

-اتقوا الله، اتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله.

حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل.

بعد أن انتهت فاتن من تحضير الطعام وهي لا تكف عن البكاء لحظة، وتتذكر ما حدث لها ليلة أمس وتسأل نفسها:

-هل كان حقيقي...؟ وإذا كان حقيقي هل يعقل ما رأيته...! إن ما رأيته لا يخطر على بال بشر.

يمكن أن تكون مجرد هلوسة وتوهمًا مني، يمكن يكون مجرد حلم، ولكن إذا كان حلمًا لمَ وجدت نفسي في المكان الذي سقطت به بالأمس.

هل أمشي وأنا نائمة...؟ آه، يا ربي ساعدني.

★★★

ومن ثم بعد الانتهاء من إعداد الفطور وذهاب سلطان إلى العمل وبعد أن أكملت تنظيف البيت، بدأت فاتن في غسل الأواني ولكن أثناء غسلها للأواني سمعت صوت المطبخ يغلق عليها من الخارج بالمفتاح.

هرعت إلى الباب تصرخ وتطرق بقوتها:

-افتحوا الباب، أنا لم أفعل شيء لكل ذلك، افتحوا الباب أرجوكم.

إن كنتم لا تريدون أن أكون معكم فأنا أيضًا لا أريد، أرجوكم اخرجوني وأطلقوا سراحي من ذلك البيت.

افتحوا الباب، افتحوا الباب.

قالت لها مشاعل بحدة:

-والله يوم السعد إن خرجت من هذا البيت، ولكن ابني رافض أن يطلقك، فمن الأفضل الانصياع للأوامر وسوف تحبسين هنا مثل الكلبة الذليلة.

-أنا لست كلبة افتحي، افتحي الباب وأطلقوا سراحي.

جاء زايد معاتبًا زوجته وما بيده حيلة:

-افتحي الباب للبنت، ارحميها كي يرحمك من في السماء.

وضعت المفتاح في صدرها وأردفت لا مبالية:

-لا تتدخل في هذه الأمور، دعك أنت في الصلاة والعبادة، لك الجنة يا شيخ ولي أنا النار.

بدأت فاتن تجهش بالبكاء، وصوت بكائها قطع نياط قلب زايد عليها ومن ثم صار يردد:

-احتسبي أجركِ عند الله يا بنتي، إن الله لا يضيع حق أحد، وإن الله سوف ينتقم لكِ، رددي معي، حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل.

ومن ثم سمعت فاتن صوت ارتطام شيء.

ولكنها سرعان ما عرفت ماهية الشيء الذي سقط... عندما سمعت صراخ مشاعل.

-زاااااايد، ماذا جرى لك...! افتح عيونك، زايد.

اجهشت بالبكاء صارخة، سمعت فاتن صوت هرولة في الخارج وصوت فتح الباب وارتطام بوابة البيت.

هرعت مشاعل في الشارع مكشوفة الرأس تنادي على ابنها:

-يا سلطان، تعالَ يا سلطان، أبوك يا سلطان.

سمع سلطان الصوت من بعيد فخرج خارج المحل فوجد أمه في منتصف الطريق مكشوفة الشعر بملابس البيت تولول على زوجها.

أخذها للبيت فرأى أن أباه لا يحرك ساكنًا.

فهرع مسرعًا حاملًا إياه ووضعه في السيارة، تلك السيارة قديمة الطراز، خرجا للمشفى تاركان خلفهما فاتن حبيسة المطبخ.

صوتهما وهم يهرعان زاد الخوف في قلب فاتن أكثر وأكثر وبدأت تبكي بشدة داعية الله أن يحفظ لها حماها زايد.

★★★

مر يوم على وجود زايد في المشفى، لقد أصيب بجلطة في القلب، ولكن قلبه الضعيف لم يحتمل أن يرى الظلم أمام عينيه، قلبه الضعيف لم يعد قادرًا على الاستمرار في الحياة، قلبه الضعيف قرر الانسحاب وعدم المواجهة أكثر من ذلك.

توفيّ زايد الذي كان الوحيد من يهون على فاتن ما تمر به.

صرخت مشاعل باكية على فراق زوجها، رحل عنها من كانت تنكد عليه حياته، تصرخ باكية على جثته قائلة:

-لمَ رحلت يا زايد وتركتني...؟ أنت تعرف كم أحبك، لمن تتركني يا رفيق دربي، سامحني يا زايد إن كنت قسوت عليك، ولكن كنت أفعل ذلك خوفًا

من أن تستغل ضعفي بأن تقوى عليّ أو تتركني وتتزوج غيري كما حدث مع صديقاتي، كنت أفعل ذلك للحفاظ عليك.

نزلت تحت قدميه وقبلتها ومن ثم أردفت باكية:

-أرجوك سامحني، لقد رحلت وأنت حزين بسببي، يا زايد سامحني، سامحني.

ومن ثم نظرت لابنها وأمسكت بياقته وأردفت غاضبة:

-كله من وجه الفقر التي دخلت بيتنا، طلقها وأخرجها من بيتي، طلقها يا سلطان.

ولكن سلطان لم يرد عليها وهم تجاه رأس أبيه يبكي عليه طالبًا السماح منه هو وإخوته.

★★★

عادا إلى البيت فاستغرب سلطان إن المطبخ مغلق بالمفتاح، وعندما قال ذلك لأمه اخرجت المفتاح من صدرها وأعطته إياه.

فقام بفتح الباب رأى فاتن مكومة نفسها في ركن المطبخ، ضعيفة هزيلة باكية.

★★★

خلال ذلك اليوم لم تتعرض فاتن لتلك الهلوسة قط، مجرد نفس الحلم وكفى.

★★★

تم العزاء، وقد جاء الكثير من الناس الذين كانوا يحبون زايد ذلك الشيخ الطيب ذا الكلمة الطيبة والابتسامة البشوشة على وجهه.

من ضمن الحضور منال وزوجها، منال الذي تشفت عندما رأت فاتن في حالتها تلك، شعرت بالسعادة التي تغمرها لسوء حال أختها.

صارت مشاعل لا تتحدث بسبب حزنها على فراق زوجها، حتى عندما جاءت منال لكي تعزيها وتسألها إن كانت تحتاج شيء اكتفت بالنظر لها من دون أن تنبس ببنت شفة.

★★★

في المساء بعد أن دخل الجميع إلى غرفهم عادت فاتن إلى المطبخ تريد أن تنام من شدة التعب والمجهود التي مرت به خلال اليوم والحزن على حماها.

في هذه الليلة حلمت نفس الحلم، تلك اليد المشعرة التي تمتد لها، وذلك الصوت الذي يتكرر:

-تعالِي معي يا فاتن، تعالِي معي.

ولكن في هذه المرة امتدت اليد وأمسكت بيدها بقوة ساحبة إياها، لدرجة إن المخالب قد جرحت ذراعها وهي تحاول أن تبعد تلك اليد عنها، تردد صارخة برعب:

-اتركني، اتركني وشأني.

قامت من نومها صارخة مرددة نفس الكلام، جاء لها سلطان مسرعًا ظنًا أن هناك من دخل البيت أو تعرض لها، ولكنه راءاها بمفردها.

سألها غاضبًا:

-لمَ تصرخين ومع من تتحدثين...؟

قالت فاتن وهي ترتجف خوفًا:

-كان يريد... يريد أن يأخذني معه بالقوة.

-من هذا الذي تتحدثين عنه...؟

-ذلك الوحش الذي يتمثل في صورتك.

-كفي عن جنانك هذا، وعلى الأقل قدري الظرف الذي نحن به.

-أقسم أني أقول لك الحقيقة و...

ومن ثم وهي تتكلم نظرت لذراعها رأته قد جرح حقًا.
فقالت له مسرعة:
-هو جرحني، حتى انظر بنفسك... انظر.
-هل الجنان وصل بك بأن تجرحي نفسك...؟
مهما تتصنعين الجنون لن أدعك تخرجين من هذا البيت، ستظلين ها هنا إلى الأبد.
صارت فاتن تبكي، لا تدري تتحمل ماذا أم ماذا؟
هل تتحمل سلطان وأمه وقسوتهما، أم ذلك الوحش الذي يراودها في أحلامها ويومها.

★★★

بعد أكثر من شهر ونصف من وفاة زايد، قررت فاتن أن تتكلم مع سلطان في موضوع تعليمها، فإن موعد الدراسة في الجامعة قد بدأ، ولكن سلطان نهرها وقام بتمزيق أوراقها وشهاداتها وقال لها:
-ليس لكِ مستقبل من الآن أنتِ خلقتِ لكي تكون خادمة هذا البيت.
ضاع آخر أمل لفاتن في الحياة، صارت بلا أهل وبلا تعليم، صارت فاتن بلا سند في الحياة.
وفي تلك الفترة كل ليلة تقوم صارخة وعلى جسدها كدمة أو جرح ما أثناء هروبها من تلك اليد التي تلاحقها.
ولكن في تلك الليلة التي مزق فيها قلبها مع تمزق أوراقها أمام عينها كان الضغط كبير عليها، فنامت وحلمت من جديد.
ولكن في تلك المرة لم يقل لها "تعالِي معي" وكفى، بل وعرض عليها الزواج ولكن فاتن هربت خائفة.
قال لها:
-تعالِي معي وأتوجك ملكة وأجعلك تعيشين في نعيم، تعالِي.

أصرت فاتن على الهرب، فقال لها ساخرًا وهي تهرول مبتعدة ولكن فجأة رأته أمامها:

-أتظنين أنكِ يمكنك الهرب مني...؟ أنا أتركك بمزاجي، وافقي عليّ برضاكِ لا أريد أن أجبركِ على شيء.

إن لم أكن أحبكِ لكنت أجبرتكِ على ما أريد، أنا أحبكِ وأريدكِ أن تشاركيني الحب أيضًا.

تصرخ فاتن لا أريد شيء، لا أريد أن أحب، ابتعد عني، ابتعد.

ولكن فجأة هم المسخ عليها ولكنه سرعان ما غير هيئته لسلطان وقال:

-أعرف إنكِ تحبينه، فها أنا ذا على نفس هيئته، أنتِ تحبينه ولكنه لا يحبكِ، فاختاري من يحبك أفضل من أن تتعذبي تحت ظل من تحبين.

تصرخ فاتن مبتعدة قائلة:

-لا أحب أحد، لا أحب أحد اتركني وشأني.

-أعطيتك الكثير من الفرص وترجيتك كثيرًا ولكن قضي الأمر.

وهم بها، تصرخ فاتن وتتألم من ذلك المسخ الذي أخذ هيئة سلطان، تتألم من قوته التي لا يتحملها ضعفها.

استمر في استغلالها ومعاشرتها ولم ينقذها أحد إلا عندما فتح سلطان باب المطبخ كي يعرف سبب صراخ فاتن.

عندما فتح الباب رأى فاتن تتلوى في الأرض من الألم باكية.

هم رافعًا إياها من شعرها وأمسك بيده الأخرى وجهها وقال لها غاضبًا:

-ألم أقل لكِ كفي عن تلك التصرفات، ألا تفهمين...؟

همت أمه مستيقظة كي ترى ما يحدث.

فهمست له بوهن:

-قلت لك يا ولدي طلقها وارتاح منها، إنها شؤم، بسببها مات زوجي، وأنت حبيبي وحيدي لا تهنئ في حياتك بسببها.. اتركها في الشارع وأرحنا منها.

بصق سلطان على وجه فاتن ورماها أرضًا وأردف:

-مهما تصنعت الجنان لن أتركها ترحل.

صارت فاتن تخاف أن تستيقظ فتهان من سلطان، وتخاف من أن تنام كي لا يقترب منها ذلك الكائن الذي لا تعرف كنهه حتى.

أثناء استحمامها وجدت الكثير من الكدمات على جسمها، وكل جزء في جسمها يؤلمها.

سمعت صوت يهمس لها:

-تعالِي معي ولن تعاني، ستكونين مثلي فلن تعاني مما تعاني منه الآن.

لم تكمل استحمامها وارتدت ملابسها مسرعة وخرجت، شعور مخيف جدًّا أن تشعر بأن هناك من يلحق بك ويراقب كل خطواتك.

★★★

في اليوم التالي عزم سلطان صديقه عدنان وزوجته على الغداء.

فرحت منال عندما رأت فاتن نحيفة جدًّا وقد شحب وجهها، بينما هي تهنئ مع عدنان وفي الحياة المرفهة.

جلست منال مع مشاعل أم سلطان.

ولكن أم سلطان اشتكت لها، بالرغم أن الحياة بين فاتن وسلطان أشبه بالجحيم ولم يقترب منها قط منذ السحر الذي قاما به، ألا إنه ما زال متمسك بها ولا يريد أن يطلقها.

طلبت مشاعل من منال أن تقوم بعمل سحر كي يطلق سلطان فاتن بل ويتزوج أخرى.

وافقت منال وبالفعل في اليوم التالي ذهبت لخديجة الدجالة وسألتها مستغربة:

-كيف يا خديجة لم يتم الطلاق بين فاتن وسلطان إلى الآن...؟

-إن الأمر خرج عن سيطرتي، إن الحب بينهما قوي جدًّا مما أثر على نتيجة السحر و...

-حسنًا، لا يهم، المهم أنا جئتك اليوم كي تقومي بعمل سحر كي يتزوج سلطان على فاتن.

-حسنًا، لكِ ما تشائين ولكن كل ما عليكم أن تختاروا العروس التي تريدون أن يتزوجها واجلبي شيء يخص سلطان أو صورة له ولعروسه المختارة وتعالِي لي مرة أخرى.

★★★

قامت منال بزيارة مشاعل في بيتها وأخبرتها أن عليها أن تختار عروس ومن ثم تخبرها.

★★★

بعد موت زايد ورث سلطان مبلغ لا بأس به من أبيه، فقرر أن يبيع حصته من الأراضي التي تركها له أبوه، وترك أرض واحدة وقام ببناء بيت كبير عليها.

والباقي من المال قام بإنشاء محل جديد أكبر.

★★★

فاتحته أمه في موضوع الزواج ولكنه امتنع لأنه لا يرغب في ذلك.

ولكنها قالت له هامسة باكية واهنة:

-يا ولدي، أريد أن أطمئن عليك قبل أن أرحل من الدنيا و..

قاطعها سلطان مسكتًا إياها مقبلًا يدها ورأسها:

-لا تقولي ذلك يا أمي، ربنا يطول لنا في عمرك و..

قاطعته موضحة له:

-يا بني اسمع لي، وارح قلبي، أنا لا يرضيني أن أراك تعيش حياة غير مستقرة مثل التي تعيشها الآن كل منكما في مكان وبينكما شجار وكفى، أريد أن اطمئن عليك مع بنت الحلال التي تصونك و...

-حاضر يا أمي، ولكن اجلي الموضوع أرجوك، أنا مشغول حاليًا بموضوع إكمال البيت وإنشاء المشروع.

سلطان قرر أن يقول ذلك كي تتوقف أمه عن تكرار كلامها ولكنه لم يكن موافق في قرارة نفسه.

-ها ما رأيك في بلقيس أخت عدنان؟

-يا أمي قلت لكِ نؤجل الموضوع.

★★★

بعد أسبوع أتت منال كي تزور مشاعل وتتفق معها وقالت لها:

-لقد اخترت العروس يا منال.

-حسنًا، اعطني صورتها أو شيء يخصها.

-بصراحة يا بنيتي ليس معي شيء يخصها.

-ولكن كيف سنقوم بالسحر...! هذا من ضمن المطلوب.

-أعرف ذلك، أنتِ سوف تحصلين على ذلك بطريقتك.

-بطريقتي كيف...؟

-إن العروس تعرفينها وقريبة منكِ جدًّا.

-من هي...؟

-إنها بلقيس أخت عدنان.

-بلقيس... ولكنها مطلقة وعندها ولد و...

-لا يهم، ولكنها بنت حلال، آه هي نفس عمر سلطان ولكنها بنت بلده تفهم في الأصول وسوف تصونه.

وإن كانت مطلقة حتى ابني ها هو متزوج، فهي مناسبة له جدًّا.

-إن كان هذا اختيارك فلكِ ما تشائين.

★★★

وبالفعل جمعت منال المطلوب وقامت خديجة بعمل عملين، واحد شربه سلطان والثاني حرقته في النار لأن برج بلقيس ناري.

★★★

في خلال تلك الأيام كانت كل ليلة فاتن تعاني وتصرخ وتتألم... ولكن بمجرد حضور سلطان ومشاعل للمكان يجعلها تتوقف عن الصراخ وتفق من نومها.

ولكن في تلك الليلة عندما فكر سلطان أن يقترب من باب المطبخ كي يرى ماذا يحدث، رأى الباب قد أغلق بقوة في وجهه فجأة، يحاول أن يفتحه بكل قوته ولكن بلا جدوى.

ومن ثم سمع هو وأمه صوت أجش، صوت رجل يقول: "إنها لي، لي أنا وحدي".

زاد الرعب في قلب كل من سلطان وأمه، وأمه قالت له:

-طلقها يا ولدي هذه ممسوسة، إنها عليها جني أقسم لك.

-توقفي يا أمي عن هذه الأفكار، لا يوجد شيء كهذا، إن تلك الأفكار مجرد تخاريف، إن فاتن لئيمة تمثل عليّ، ولكني لن أتركها وشأنها.

أذن الفجر فتمكنت من الاستيقاظ على صوت الأذان وهي مهشمة تمامًا، تشعر بأن كل عظمة في جسدها تصرخ من الألم.

شعرت أن قدمها تقودها للصلاة، إن فاتن ليست ملتزمة تمامًا، تصلي في أغلب الأحيان وإذا صلت تصلي من دون انتباه، ولكن في تلك الليلة شعرت أن هناك شيء في قلبها يقول لها صلي لله، صلي للواحد.

وعندما بدأت تصلي بيقين وبانتباه شعرت باختلاف.

لم ترى الخيالات التي تلاحقها، لا تسمع ذلك الصوت الذي سبب لها تشتت ذهني.

لا تشعر أن الهواء يتحرك من حولها مما يدل على إن هناك شيء أو شخص ما حولها.

اكملت صلاتها وهي لا تتوقف عن ترديد الآيات والتسبيح.

إلى أن دخلت في نوم عميق ثانية.

حينها رأت ذلك الشيء على هيئة سلطان ولكن في هذه المرة يبكي لها ويقول:

-لمَ تبتعدين عني...! أنا هو سلطان، أنا أعرف عن سلطان أشياء هو لا يعرفها عن ذاته، أنا أكثر من أحبك في الكون، وللعلم أنتِ لا تؤذيني بالقرآن، أنا مسلم مثلكِ تمامًا، ولكني لا أريد أن أجبركِ على شيء أكثر من ذلك، أريدكِ أن تريديني كما أريدكِ و...

استيقظت فاتن على صوت أم سلطان وهي تقول لابنها:

-لا أريد أن أبقى في هذا البيت أكثر من ذلك، لن أبقى مع تلك المجنونة، إنها ممسوسة.

-يا أمي إن البيت لم يكتمل بعد... ولا يوجد شيء اسمه مس في الواقع.

-اليوم سوف تأتِ معي وسوف ترى عروسك يا سلطان.

-ومن هي يا أمي...؟

حينها أطمئن قلبها عندما رأت ابنها لا يعارضها أو يؤجل الحديث، حينها علمت إن هذا تأثير السحر.

-بلقيس، أخت عدنان، ومنال أخذت لنا موعد معهم اليوم و...

قاطعها سلطان وأردف:

-كل ما تريدينه سوف أنفذه لكِ يا أمي.

-والآن هيا نجهز أنفسنا ونأخذ حقائبنا وننتقل للبيت الجديد.

-ولكن يا أمي مازال بعض الترتيبات لم تكتمل بعد.

-اسمع كلامي، لن أبقى مع تلك الممسوسة لحظة واحدة.

وبالفعل انتقل سلطان وأمه للبيت الجديد تاركان فاتن وحيدة حبيسة ذلك البيت بمفردها.

ومن ثم ذهبا لمقابلة أهل بلقيس، وبالفعل تم القبول من كلا الطرفين.

في هذا اليوم صدمت فاتن بذلك القرار، ومن ثم صارت تتذكر ما جرى فجر اليوم، تتذكر أن هذا الشيء تمكن منها، وأنها سمعت صوته يخرج من داخلها وأنه غضب على سلطان وأغلق الباب في وجهه.

تتذكر الكلام الذي سمعته في الصباح من أم سلطان بأنها ممسوسة، تقول في قرارة نفسها:

-هل أنا ممسوسة حقًا...! ماذا عليّ أن أفعل...؟ هل سأظل حبيسة ذلك البيت إلى أن أموت أم ماذا؟

وتتذكر بأن حبيبها سلطان لم يكتفي بضربها واهانتها فقط ألا إنه كسر ظهرها بموافقته أن يتزوج عليها، المرأة في أغلب الأحيان تتقبل أغلب أنواع العذاب إلا أن تهان بأن يتزوج زوجها عليها.

سمعت ذلك الصوت يهمس لها مهونًا عليها:

-لا تحزني يا فاتن، إن رغبتي في أن أنتقم لكِ منهم سوف أنتقم لكِ.

صارت تردد الآيات والذكر كي يبعد عنها وتتوقف عن سماع ذلك الصوت.

-قلت لكِ مرارًا وتكرارًا أنا مسلم مثلي مثلكِ ولن أؤذيكِ مرة أخرى أقسم لكِ، أنا أحبك ومن يحب لا يؤذي حبيبه، كل ما صدر مني كان غصب عني صدقيني، أنتِ لا تعلمي الحقيقة.

لم تعد فاتن تخاف شيء وأردفت واهنة باكية:

-لا أريد أن أعرف شيئًا، فما فائدة أن أعرف السبب في كل ذلك بعد أن خسرت كل شيء.

-سوف أنتقم لكِ ممن كان سببًا في حزنك ونزول دمعك لكيّ تصدقين أني أحبك.

اجهشت فاتن بالبكاء إلى أن نامت.

★★★

(١٠)

زايد، ها أنت ذا، أنت على قيد الحياة، وما هذه الجنان الخلابة التي تعيش بها، خذني معك أعيش ها هنا.

-ماذا تظنين...! إن هذا المكان جزاء للأخيار "أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ".

من هم مثلك لا يستحقون العيش ها هنا.

-لمَ تقول هذا يا زايد...؟

اقترب منها زايد الذي كان يرتدي أبيض في أبيض ومن ثم تحول وجهه البشوش إلى وجه غاضب، وتحول النور إلى ظلام دامس.

وتحولت الجنان إلى جبال عالية سوداء.

ومن ثم وجدت نفسها على حافة الجبل هي وزايد وأسفل هذا الجبل حمم نارية.

إنها في مكان أشبه ب... أشبه ببركان، وإنها على حافة البركان، إنها على شفا جرف هاري.

قام زايد بخنقها وهو يقول لها:

-إن هذا جزاءك، جهنم وبئس المصير تذوقين بها عذاب السعير، يا من هان عليكِ عذاب الفتاة البريئة... تذوقي العذاب.

ولكن مهما بلغ عذاب البشر لا يساوي شيء بجانب عذاب الله.

كيف لم تخافي عذاب الله...! والله قال (لقد حرمت الظلم على نفسي) كيف جاء لكِ قلب أن تظلميها وتعذبيها...!

الله يقول للمظلوم (لأنصرك ولو بعد حين) أتظنين أن انتقام الله للمظلوم انتقام هين...!؟ بلى، إنه انتقام شديد.

تحاول مشاعل أن تفك قبضة زايد عن رقبتها وتقول وهي تختنق:

-لم أفعل شيء، أنا لم أفعل شيء، منال من فعلت ذلك، أنا فعلت ذلك لأني أحب ابني.

- (وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ).

ومن ثم رماها من علٍ إلى داخل فجوة البركان، كي تذوب جثتها بالحمم البركانية.

★★★

-فاتن، كيف جئتِ إلى بيتي.

-وما المشكلة...؟ إنه بيت أختي وأتِ إليه في أي وقت.

-لمَ تنظري لي هكذا...! توقفي عن الاقتراب مني.

تقهقه فاتن بضحكة شريرة ومن ثم أخرجت من جيبها سكين وأردفت وهي تضحك مقتربة منها:

-أنتِ تعرفين يا أختي كم أحبك، كل ما في الأمر أني اشتقت إليكِ وأريد معانقتك، مجرد عناق، يريحني ويطفئ نار شوقي لكِ، ويريحكِ أنتِ كذلك، هههههه.

ومن ثم أكملت فاتن ضحكتها الغاضبة العالية ومن ثم

أمسكت منال بمقبض الباب وهرعت لخارج الغرفة، ما زالت فاتن تمشي خلفها ببطيء رافعة سكينها ضاحكة، إن الموقف مخيف جدًّا كيف لفاتن تلك الفتاة ذات الملامح البريئة ترسم على وجهها تلك الضحكة المخيفة، وعينها التي تشبه عيون النمر صارت تقدح نار.

هرعت منال مهرولة من على سلالم الفيلا من الدور الثاني للدور الأول وهي تصرخ وتقول:

-أرجوكِ يا فاتن، دعيني وشأني.

-ولمَ أنتِ لم تفعلي ذلك...! لمَ لمْ تدعيني وشأني...! لمَ...؟

في هذه الصرخة هبت رياح قوية اسقطت منال أرضًا أثناء جريها ولكنها سرعان ما قامت تكمل جريها وأردفت وهي تمشي للخلف تنظر لفاتن متوسلة إليها وهي تربت على صدرها بحركة استعطاف:

-لمْ أفعل لكِ شيء يا فاتن، أنتِ أختي حبيبتي، إن مشاعل حماتكِ هي السبب لست أنا.

تحول وجه فاتن البريء إلى وجه ضخم وجه وحش أشبه برأس الثور و...

لم تكمل منال توسلها وقامت بفتح باب الفيلا مسرعة وهي تصرخ، خرجت وهي تنظر خلفها تبحث عن أختها التي صارت مثل الوحش، ولكن تلك اللحظة التي التفت بها للخلف كانت كفيلة أن ترتطم بها سيارة، فسقطت أرضًا وصار حولها بركة من الدم.

★★★

ها هي فاتن، جمالها يفتن الأعين، شعرها البني الكستنائي الذهبي الناعم يتطاير، فستانها الأبيض البسيط الواسع الذي يتطاير مع هبوب الريح الخفيفة يجعلها مثل الريشة الناعمة التي تطير في الهواء.

ها هو سلطان مقبل لها بملابسه البيضاء، يبتسم لها فيبرز منه أسنانه البيضاء الناصعة المستوية.

ها هو يقترب منها ويقول لها:

-ستسمعين ما يسرك يا عزيزتي.

-ماذا تقصد...؟

-في الغد سوف تعلمين وحينها سوف تصدقين أني أحبك ولا أريد سوى سعادتك، سعادتك وكفى.

★★★

استيقظت فاتن على أذان الفجر، لا تدري إذا كان ما رأته رؤيا... أم هو ذاك الشيء كان يخبرها أمر ما.

همس لها وقال بلين:

-بالفعل يا فاتن تفكيرك صحيح أنا من كنت معكِ، وأنا من أخبرتكِ، سوف تسعدين وسوف أفعل كل ما بوسعي كي أراكِ سعيدة.

استعاذت فاتن من الشيطان فقاطعها وأردف:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ها أنا ذا أقولها ولم احترق، إن الشياطين موجودين في جنس الإنس والجن، وشيطان معناها متمرد أي كل متمرد على طاعة الله يسمى شيطان، من يشيع الأذى والضرر والفسوق شيطان، وفي الأنس والجن هنالك الشيطان الفاسق وهنالك المؤمن، وها أنا ذا مؤمن مثلك فلن يصيبني شيء مما تقولين.

صارت تردد الأذكار وأردفت:

-أنا أردد تلك الأذكار لأن الله يقول أنها تحميني وتحصني من أذى الأنس والجن لا الجن فقط، أنا أحصن نفسي من الأذى لا من جنس معين.

-ها أنتِ ذا قلتها، الأذى، ولكن أقسم لكِ يا فاتنتي لن أؤذيكِ، أنا مسخر لكِ، مسخر لسعادتك.

صارت فاتن قوية لا تبالي بذلك الصوت، تأففت وأردفت:

-سوف أقوم لكي أصلي، كي تبعد عني.

-سوف أصلي معكِ، ولن أبعد عنكِ، أنا أحبك وسوف أشاركِ كل شيء يا فاتن، أنتِ لي.

★★★

الفجر... تستيقظ منال، تشعر بتعب وتكسير في عظمها، تشعر بلزوجة حولها وعلى جسمها، تتشمم رائحة ليست بغريبة، إنها رائحة دم، ترفع الغطاء فتجد أن السرير قد امتلأ بالدم وجسمها من أسفل مغطى بالدم،

تبكي من شدة الألم، لا تقدر على الحراك فصرخت من هول المنظر الذي سببه الدم بالإضافة إلي الصراخ من شدة الألم.

استيقظ عدنان على صوت صراخها، وذهل من الدم الذي غطى السرير.

حاولت منال أن تحرك نفسها لم تستطع قط أن تحرك نصفها السفلي، لا تقدر إلا على تحريك نصفها العلوي فقط بألم شديد وصعوبة شديدة ومن شدة ألمها ومن هول الصدمة فقدت الوعي.

عندما رأى عدنان حالتها صدم وقرر أن يتصل بالطبيب كي يكشف عليها.

في ذلك الوقت طلب عدنان أن يأتوا الخدم لكي يقوموا بتنظيف منال المهشمة المغيبة عن الوعي ويقوموا بتنظيف المكان الذي صار متسخ بالدم، ومن ثم جاء الطبيب الخاص بالعائلة مسرعًا وقال لعدنان:

-إن زوجتك قد فقدت الجنين بسبب تعرضها لحادث.

صدم عدنان وقال وهو فاتح فاه:

-فقدت الجنين... هل كانت حامل...؟

سؤال ذكي من شخص ذكي، على العموم سوف أكمل ما حدث.

نظر له الطبيب نظرة أسى وقال:

-وللحق يا عدنان أنها لم تفقد الجنين وكفى... بل إن من شدة صدمة الحادث زوجتك أصابت بشلل نصفي و...

قاطعه عدنان صارخًا بغضب:

-شلل ماذا...؟ وما السبب...؟ إنها كانت بجواري ونمنا سويًا وهي في أفضل حال...

-أهدأ يا عدنان، صدقني زوجتك تعرضت لحادث، إن ما جرى لا يمكن أن يحدث من دون سبب.

-كفى يا طبيب يعني تريد أن تقنعني أن زوجتي تمشي أثناء نومها، حسنًا أنا معك إذا كانت تسير أثناء نومها وتعرضت لحادث كيف عادت إلى السرير مرة أخرى كيف...؟

-اهدأ يا عدنان ليس لدينا وقت نضيعه في هذا التساؤلات... إن زوجتك يجب أن تنقل حالًا إلى المشفى.

-هل يوجد أمل أن تعود زوجتي كما كانت يا طبيب.

-المهم أن نكمل الإجراءات اللازمة لها في المشفى وإذا كنت ترغب أن تكمل العلاج في إحدى الدول الأوروبية لتلقي العلاج الطبيعي يكون من الأفضل.

في المشفى استيقظت منال وبدأ الطبيب يشرح لها حالتها، ولكن منال لم تكن تنتبه ماذا يقول الطبيب...! كل ما تفكر به هو حلم الأمس.

تقول في قرارة نفسها نادمة:

-لقد خسرت ابني بسبب فاتن، كل ما هو سيء في حياتي بسببها، هي السبب، هي السبب... تستحقين ما سوف يحدث لكِ يا فاتن.

★★★

في الصباح استيقظ سلطان بمفرده مستغربًا، لأنه قد اعتاد أن أمه هي التي توقظه أو فاتن، بعد أن رتب نفسه ذهب لغرفة أمه، استغرب أنها لازالت نائمة إلى الآن.

قرر أن يوقظها، ولكن بلا جدوى، حاول أن يتحسس نبضها أو أن يشعر بنفسها ولكن بلا أي نتيجة، توتر وصار يبكي مثل الأطفال لا يدري ماذا يفعل...!

يعرف ما حدث لأمه ولكن عقله يرفض أن يصدق تلك الفكرة.

أخذها وهمَّ بها للمشفى على أمل أن يفعل أي شيء لها.

ولكن بمجرد دقيقة مع الطبيب أخبره:

-البقاء لله، شد حيلك... سبب الوفاة سكتة دماغية أثناء نومها.

خر سلطان واقعًا أرضًا، تكوم على الأرض مثل الطفل يبكي صارخًا:

-يا أمي، إلى من تركتني يا أمي...؟عودي لي أو خذِني معكِ.

ومن ثم همَّ يمسك يدها ويقبل إياها وهو على الأرض إلى أن استطاع أن يقف على قدميه وهمَّ معانقًا جثة أمه مقبل يقبلها، من كثرة الدموع التي ذرفت منه تبللت ملابس أمه، لقد غسل أمه بدمع عينيه.

تم العزاء في البيت القديم الذي تعيش فيه فاتن.

عندما علمت فاتن خبر وفاة مشاعل، صدقت الكلام الذي سمعته بالأمس، لم تحزن قط على موت حماتها، بل تلقت الخبر بلا مبالاة.

★★★

بمجرد أن انتهى العزاء رحل الجميع، رحلوا ورحيلهم لم يؤثر في فاتن قط.

حتى في وجودهم لم تكن تتكلم مع أحد، كأنها لا تراهم، تقوم بواجبها تجاه الحاضرين وكفى.

★★★

بدأت فاتن تشعر بالأمان، لأن لا يوجد أحد معها، أحيانًا تكون الوحدة أفضل بكثير، ها هي الأن لا يضربها أو يهينها أحد، حتى ذلك الصوت الذي تسمعه صار يهون عليها وحدتها، تجد من تفضفض معه ويحنوا عليها، لم يعد يقترب منها قط ولم يعد يؤذها، أعطته الثقة لأنه صدق في كلمته وثبت ذلك بأفعاله لها.

لم يقل ويوعد وكفى، بل وعد ونفذ فأستحق ثقتها.

هو يفعل كل ذلك على أمل أن يأتي اليوم الذي توافق فيه عليه فاتن وتأتي معه إلى العالم الآخر، "عالمه" لكي يقدر أن يعيش معها كزوجين، من دون أن يحتاج أن تنام فاتن فتصير روح كي تتقابل مع روحه أثناء النوم، ومن دون أن يكرر فكرة التلبس في جسد سلطان الذي فعلها أول مرة.

سألته فاتن سؤال بريء:

-هل يمكن أن أعرف من أنت؟ هل أنا جننت وأتخيلك...! أم أنت حقيقة؟

-أنا حقيقة، ولكني أقرب للخيال، أنا قرين سلطان، وكما تعلمين أن لكل إنسان قرين.

لكل إنسان قرين من الجن يكون معه منذ يوم مولده... وهو على صورته.

قال رسول الله (صل الله عليه وسلم) "ما من منكم إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة".

من المعلوم أن لكل واحد من بني أدم قرينًا من الجن، وذكر ابن مسعود أن النبي ﷺ قال "ليس منكم أحد إلا ومعه قرين من الجن، فقالوا: وإياك يا رسول الله قال: وإياي ولكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير".

إذا أنا لي هيئة الجن وفي نفس الوقت لي هيئة سلطان كذلك، أنا أعرف كل صغيرة وكبيرة عنه، هو أنا وأنا هو.

سلطان شاب صالح يعرف الله، صرت مثله في كل شيء لذا أنا أيضًا مسلم و...

قاطعته فاتن متسائلة ذلك الصوت:

-آه حقًا ما اسمك؟

-اسمي ميمون، وإن أحببت أن تقولي لي سلطان فأنا سلطان، وإن أحببتِ أن أظهر لكِ، آمرِني أظهر لكِ على الهيئة التي تحبين أن تريني بها.

-كيف ذلك...! ألم تقل لي الآن أنك لك هيئتين وكفى.

-دعيني أظهر لكِ بصورتي ومن ثم أغير لكِ صورتي أمام عينيك من أجل أن تفهميني أكثر.

إن الجن هم أول من عمروا الأرض، ونحن مخلوقات خلقنا الله من نار، في البدء كنا مرئيين تمامًا، ولنا هيئات مختلفة، تختلف على حسب النوع والمكانة وهذا موضوع يطول شرحه ولكن دعيني أختصر لكِ.

بعدما فشلنا في خلافة الله في الأرض نزل علينا سخط الله وتحولنا من كائنات نارية إلى كائنات أثيرية و...

قاطعته فاتن متسائلة:

-ما معنى كائنات أثيرية...؟

-دعيني أوضح لكِ، أثيرية أي لا تُرى مثل الهواء، أي مثل الروح التي بداخلك الآن.

أنتِ الآن لديكِ جسم مادي مرئي ولكِ جسد أثيري كذلك غير مرئي.

والذي يجعل جسدكِ المادي مرئي هو أن ذبذبات أو ترددات جسدكِ منخفضة جدًّا.

بينما الروح أو الجن لا يمكن رؤيتهم لأن الذبذبات أو الترددات لهم عالية جدًّا فلا تستطيعي أن تريهم.

-بصراحة لا أفهم شيئًا.

-حسنًا، قولي لي هل تريني الآن.

-لا أرى شيء، أسمع صوتك فقط.

ومن ثم بدأ يظهر لها بصورة سلطان تدريجيًا.

-والآن هل تريني...؟

دهشت فاتن وقالت كيف ذلك؟

-هل تظنين أنني بائع جبن...! أقول لكِ أنا جني.

أمزح معكِ دعيني أشرح لكِ الأمر ببساطة، كل ما في الأمر يا سيدتي الحسناء أن الجسد الأثيري سريع الحركة عالي التردد، كل ما أفعله أني أقوم بخفض معدل الترددات الخاص بالجسد الأثيري فأظهر أمامك.

-لم أفهم، ذلك المصطلح...

-آه انظري ها هنا، إنها مروحة، قومي بتشغيلها.

-لا لن أقوم بتشغيلها إننا في أكتوبر والجو بدأ يبرد قليلًا.

-يا اللهي، حسنًا، لا تفعلي شيء يا فاتن سوف أقوم بتشغيلها بطريقتي ولكن انظري في البداية هل ترين الثلاث ريشات الخاصة بالمروحة.

-نعم، أراها بوضوح.

-الآن على السرعة الأولى.

-نعم، أراها بعض الشيء.

-وعلى السرعة الثانية.

-شبه اختفت.

-وعلى السرعة الثالثة.

-اختفت تقريبًا لدرجة أني أرى ما خلفها و...

أوه يا ربي الآن قد فهمت.

ولكن لمَ اختفيت ثانية...؟

-لأني لا يمكنني أن أستمر في صورة سلطان كثيرًا، لأن هذا يتطلب مني خفض ترددات جسدي وهذا يقلل من قدراتي، أصير بالفعل أدمي ضعيف وتسلب مني قدراتي... من أجل ذلك أريدك أن تكوني معي، تأتي معي إلى العالم الآخر، وتكونين روح، تتحررين من هذا الجسد المادي الضعيف،

وتعتمدين على جسدك الأثيري مطلق الحرية الذي يفوق قدرة جسدكِ الحالي بكثير.

يعني مثلًا إذا أخذت صورة قط سوف أخذ خصائصه كاملة لا شكله فقط، يعني إذا جاء طفل ومعه عصا ضخمة وضربني بها على رأسي ومات القط سوف أموت أنا على تلك الهيئة، لأني بالفعل صرت ذلك الشيء من الظاهر والباطن.

لذا أحاول باستمرار أن أخذ شكل سلطان ومن ثم أرجع لشكلي وخواصي لكي اتنقل بسرعة أكثر وأقوم بكافة قدراتي من دون أن أقيد بخواص هذا الجسد المادي.

وهذا ما يحدث لكِ عندما تنامين تتخلصين من قيود جسدكِ المادي، وتبدئين باستخدام خواص الجسد الأثيري أي الروح فتجدين نفسك تخترقين الجدران وتسافرين من مكان إلى مكان في لمح البصر، تسافرين عبر الزمن وما إلى ذلك، ها ماذا قلتِ...؟ تعالي معي وعيشي في عالم لا قيود به.

-لن أفعل ذلك أبدًا، لا أريد أن أحب ولا أريد أن يشاركني أحد حياتي، لا أريد أن أتزوج، أنا ندمت على ما فعلت، سيكون من الغباء أن أكرر فعلتي التي فعلتها ثانية بإرادتي ومع من...! مع قرين من أذاني، أنت لا تختلف عنه، بل أنت مؤذي أكثر منه.

-قلت لكِ أني فعلت ذلك من دون إرادة مني، لا يمكنني أن أقول لكِ السبب لأنكِ بالأمس قلتِ لي ما فائدة أن أعرف السبب ما دام أصابتك النتيجة.

-قلت لك لا أريدك ولا أريد سلطان ولا أريد شيء سوى أن أكون بأمان أنا وصغيري.

حزن ميمون من إصرارها على رفضها له فقرر أن يختفي من حياتها.

★★★

تمر الأيام وميمون لا يظهر لفاتن.

فاتن مفتقدة ميمون كثيرًا.

اكتشفت أنها ظلمته، إنه صادق في كلامه... إنه لم يؤذها قط من بعد وعده لها.

شعرت أنها وحيدة حقًا، لا يوجد من يؤنس وحدتها.

صارت تكلم جنينها الذي في بطنها كي تسلي نفسها.

إن الطعام الذي في البيت قد أوشك على النفاذ، وهي تعتمد على القليل منه كي يكفي معها أطول وقت ممكن، ولكن لكل شيء نهاية مهما طال الوقت.

قررت أن تخرج كي تعمل، ولكنها لا تدري ماذا يمكن أن تعمل، كان ودها أن يكون معها مال كي تسافر لمصر ولكن لا تملك مال نهائي، لذا قررت أن تخرج وتعمل، وتجمع المال وبمجرد أن تجمع المبلغ تسافر مباشرة لمصر.

ولكن كيف تسافر وهي ليس معها جواز سفرها حتى...! كل أوراقها في حوزة سلطان.

عندها أمل أنها سوف تحصل عليهم يوما ما.

وحيدة هي فاتن في ليلها تفكر كثيرًا... ماذا عليها أن تفعل...؟ ضاع النوم من عينها بسبب الأرق وكثرة التفكير لذا قررت أن تنادي على ميمون:

-ميمون، يا ميمون اظهر لي، إن حياتي صارت جحيم أكثر مما هي، أريد أن أتحدث معك، لا أدري ماذا على أن أفعل...!؟

أحيانًا المرء يحتاج أن يتكلم مع أي أحد، يحتاج أن يخرج ما بداخله من كلام وفضفضه كي يرتاح عقله ويطمئن قلبه، حتى وإن كان سوف يفضفض لجني.

ظهر لها ميمون بصورة سلطان وجلس أمامها على السرير وأردفت:

-أين كنت...؟ قد اعتد عليك يا صديقي.

ابتسم ميمون بتهكم وأردف:

-صديقي...! ولكني لا أعتبرك صديقتي... أنتِ حبيبتي.

-أرجوك يا ميمون أن نكون أصدقاء أفضل بكثير من أن نخسر كل شيء، إذا رفضتك تمامًا سوف تخسر صداقتي، وأنا إذا وافقت عليك سوف أخسر حياتي وابني.

-لن تخسري معي بل سوف تكسبين.

-دعنا من هذا الأمر، أنا أحتاج مال، كي أجلب طعام من أجل ابني الذي في بطني، أريد أن أعود لمصر.

-لن أساعدك، أنتِ لا ترفقين بحالي ولا تشعرين بمشاعري، لمَ تريدينني أن أساعدك...؟ اعتادي على هذا الأمر يا فاتن أن لكل فعل ردة فعل مساوية له في المقدار.

-ما هذا يا ميمون هل أنت علمي علوم مثلي...؟

قهقه ميمون وأردف:

-كفي عن المزاح يا فاتن، أمامك اختيارين، إما أن تشقين وتتعبين في هذه الحياة، أو تأتي معي وتنعمين...!

-يا ميمون إن البشر وجدوا على الأرض من أجل العناء والشقاء، سوف أصبر، وكل الابتلاءات هينة بجانب ما مررت به بسبب سلطان وأمه.

حزن ميمون وأردف:

-يعني مصرة أن لا تكوني لي...!

-لا، يكفيني أنك تشعرني بالأنس بكلامك معي، إن الحبيب خذلني ولا أريد أن أجرع من كأس الخذلان مرة أخرى، دعني أجرب حب الصديق وأرجوك لا تخذلني فإن خذلان الصديق لا ثقة بعده، إن الحب بين الأصدقاء له نكهة أحلى بكثير من الحب بين الأحبة، لذا أنا جرعت من

كأس خذلان الحب ولكني أتوسل إليك لا تطعنني بسكين الغدر بين الأصدقاء.

-أقسم لكِ سأكون نعم الصديق لكِ إلى أن استحق الجدارة وأكون حبيبك.

-يكفيني دعمك وأُنسك والكلمة الطيبة منك يا صديقي، إن الكلمة الطيبة تكون مثل الدواء التي تشفي العليل، وتكون مثل الفيتامين التي تزيد القوي قوة، ها اوعدني أصدقاء إلى الأبد.

-أصدقاء إلى أن توافقي أن تكوني حبيبتي، لن أكِل أو أمل يا فاتن.

ضحكت فاتن وأردفت:

-آه كم أنت ممل يا ميمون.

-قولي ما تشائين لن أغير كلامي وسوف ترين.

★★★

(١١)

تمر الأيام ولم يأتي سلطان إلى البيت حتى كي يطمئن على فاتن الحامل بابنه، ولا حتى أرسل لها طعام.

لذا قررت فاتن أن تذهب البقالة حيث مكان عمله، دخلت المحل وهي تمشي على وهن من قلة الأكل تلك الفترة السابقة بالإضافة إلي تعب الحمل، فرأها سلطان فهمَّ من مكانه مسرعًا وكأنه رأى شبح لا زوجته، همَّ ممسك ذراعها بكل قوته وسألها وهو يعنفها:

-ما الذي أتى بكِ إلى هنا...؟

-إن ما كان موجود في البيت من خزين للطعام قد نفد... مر أكثر من شهر على تركك للبيت وأنا لا يوجد من يسأل عني و...

-هاااي... لا تتسولين يكفي أني تاركك في بيت يأويكِ، وهذا ليس من أجلك بل من أجل الطفل الذي في جوفك.

-لا أريد بيتك ذا، أريدك أن تعطني جواز سفري وتتركني أرحل من هنا.

-لن ترحلي سوف تظلي ها هنا، ابني سوف يعيش هنا معي إلى الأبد، وهيا ارحلي ولا تفكري أن تأتي لبيتي أو مكان عملي مهما كانت الظروف.

ومن ثم زج بها خارج المحل بقوة ومن قوته أسقطها أرضًا، ولكنها نظرت له باكية متحسرة على حالها:

-وكيف سوف أعيش، من أين أكل...؟ من أين...؟

ولكنه لم يعرها انتباهه ودخل المحل وأغلق الباب الزجاجي في وجهها.

ظلت فاتن من هول الصدمة ومن موقف الذل الذي مرت به في الشارع ظلت مذهولة في مكانها لا تحرك ساكنًا.

صارت ضعيفة نحيفة هزيلة جدًّا، ووجهها النضر صار شاحب جدًّا وشفاها القرمزية صارت مشققة منكمشة.

ظلت في مكانها تبكي من حسرتها تنظر لملابسها التي اتسخت من التراب بسبب سقوطها أرضًا.

بسقطتها تلك كانت تشعر أن آخر ذرة من كرامتها قد خسرتها.

استغل ميمون حالتها تلك فهمس لها برفق:

-ملكتي، أرجوكِ لا تشعري بالذل والهوان هكذا، وافقي عليّ يا ملكتي وسوف أرد اعتبارك وأعوضكِ عن ما فاتكِ وسوف أبهرك بما هو آت لكِ.

لم تشغل فاتن بالها بصوت ميمون ولكنها حولت نظرها من الأرض إلى السماء، نظرت للرب في انكسار وذل وقالت كلمة واحدة ولكن بحرقة ويقين:

-يا رب.

ولكنها كانت تعني بها الشكوى بكل ما بداخلها للرب القوي، تقولها وهي تستنجد به الرب الرؤوف الرحيم، تقول يا رب وهي تشتكي مِن مَن جرح قلبها متأملة في الجبار يجبرها... وحده هو القادر أن يغير حالها...

ومن ثم فجأة شعرت أن هناك يد على كتفها، قالت في قرارة نفسها أنه ميمون... ولكن الصوت كان مختلف فالتفتت برأسها فرأت الأستاذ فايز جارها، مد يده لها كي يعينها على النهوض وسألها مستغربًا:

-ما الذي أدى بكِ إلى هنا يا فاتن...؟

لم تستطع فاتن الرد سوى أنها نظرت له وهي تشعر بالخزي على حالها فنظرت للأرض وبدأت تبكي.

أمسك بها فايز كي يعينها على السير إلى أن أخذها إلى بيته.

هنالك استقبلتها زوجته "موضي" وابنتها أفنان... عندما رأتها أفنان هرعت إليها معانقة إياها فهي صديقتها المقربة.

بكت فاتن في أحضان أفنان فأخذتها إلى غرفتها في الدور العلوي وهناك حكت فاتن كل شيء وكيف تحولت حياتها إلى جحيم في خمس شهور فقط.

أعطتها أفنان فستان من فساتينها كي تغير ملابسها التي اتسخت من سقوطها أرضًا ومن ثم أتت "موضي" لفاتن بالطعام.

ومن ثم نزلت فاتن للدور الأول وطلبت من أستاذ فايز أن ترحل كي لا تكون ضيفة ثقيلة.

ولكن الأستاذ فايز كان يعتبرها مثل ابنته أفنان.

من ثم قالت فاتن على استحياء:

-بصراحة يا عمي فايز أنا أحتاج إلى عمل لأن زوجي لا يتكفل بي.

-ولمَ تحتاجي إلى عمل يا بنيتي، إن هذا بيتكِ ونحن أسرتك.

-أنت تعرف يا عمي أنا لا أحب أن أكون ثقي...

قاطعها فايز وأردف برفق:

-حسنًا فهمت يا فاتن، ولكن ماذا يمكنكِ أن تعملي به وأنا سوف أساعدك؟

-أي شيء يا عمي... أي شيء... حتى ولو شيء لا أعرفه سوف أتعلمه لكي أعمل.

تدخلت أفنان وقالت بلهفة:

-ما رأيك يا أبي أن أعلم فاتن الخياطة وتساعدنا في الإنتاج أنا وأمي في المحل الخاص بي.

نظرت لها فاتن مستغربة متسائلة:

-منذ متى وعندك محل خاص بك يا أفنان؟

-حسنًا، تعلمي يا فاتن أن الشهور الماضية غيرت حياة الجميع لا أنتِ فقط، فأنا كما تعلمين ليس لي رغبة في الاستمرار بالتعليم، لأني نجحت في

الثالث الثانوي ببركة دعوة والدتي، لذا لم أرغب في الاستمرار في التعليم وقررت أن أفتح مشروع خاص، كما تعلمين أنا لا أحب أن أعمل عند أحد، وأبي رحب بالفكرة وأمي تعينني، وها أنتِ أرسلكِ الله لي يا صديقتي وأختي لكي تعينينني.

نظرت لها فاتن وعلى ثغرها ابتسامة مكسورة تنبعث من داخلها بسبب الأمل الذي بدأ يتجدد بها، ومن ثم أخذت دمعة تسقط من عينها وأردفت:

-بل أنتِ التي سوف تعينني على قسوة الحياة.

ومن ثم عانقتها بشدة وكأنها طوق النجاة الذي أتى لها في وسط البحر كي ينجيها من الغرق.

وبالفعل مرت الأيام وتعلمت فاتن سريعًا الخياطة بل وأبدعت في تصميمات فريدة لدرجة أن الزبائن كانوا لا يطلبون تصميم من إحدى المحلات بل كانوا يأتون لها وهي من تختار لهم أو تصمم شيء مخصوص... كلٍ على حسب ما يناسبه.

★★★

بمجرد تمام الأربعين بعد وفاة والدة سلطان تمت الخطبة على بلقيس وكان الزواج في شهر يناير ١٩٩٧.

كل من سلطان وفاتن بدأ بداية جديدة ومنفصلة عن الآخر.

بلقيس لم تشغل بالها بأن سلطان لم يطلق فاتن لأنه بالفعل لا يسأل عنها ولا يتكلم عنها قط، أي كأنها غير موجودة في الحياة.

وفاتن شبه نست سلطان ونست أيام العذاب اللاتي رأتها بسببه هو وأمه.

★★★

تمر الشهور إلى شهر أبريل من عام ١٩٩٧ يوم ولادة الطفل الأول لفاتن وها هي ترزق بولد احتارت ماذا تسميه...! قالت لأفنان صديقتها:

-ما رأيك اسميه عبد الحفيظ على اسم أبي؟

-حرام عليكِ يا فاتن، يعني ابنك الملاك ذا العينين الحور تسمينه عبد الحفيظ...!

-عندك حق يا أفنانو... سوف اسميه... اسميه المهدي... أنا انتظرته كثيرًا فهو في نظري مثل المهدي المنتظر الذي سوف يأتي لنصرة المؤمنين... ولكن ابني سوف ينصرني ويهديني إلى حياة أجمل... إلى الحياة التي أطمح إليها.

-اسم جميل جدًّا لابنك الجميل الذي أخذ ملامح العرب من أبوه...

اوووووه اسفة يا فاتن لم أقصد أن...

-لا يهمك يا أفنان يا حبيبتي... إن كلامك صحيح.

بعد شهر ونصف من الولادة أي في أول شهر يونيو قررت فاتن أن تذهب مع أفنان إلى بيتها كي تقوم بتنظيفه لأنها تركته منذ عدة الشهور.

وبالفعل لقد رفعتا كل الأثاث وقامتا بكنس وتنظيف كل الغرف بالماء والصابون... حتى غرفة النوم... غرفة نوم فاتن وسلطان.

في آخر النهار جلستا فاتن وأفنان متعبتان تمامًا من هذا المجهود.

اتصلت أفنان بهاتفها المحمول... "وكان من النادر أن يحمل الناس الهواتف في ذلك الحين"، واتصلت بأمها لكي ترسل لهما الطعام لأنهما غير قادرتان على الرجوع إلى البيت وسوف تبيتان ها هنا.

مر وقت وسمعا صوت الجرس فهمت فاتن مسرعة وفتحت الباب ولكنها تفاجأت...

كان من على الباب هو "سلطان"... ينظر لها نظرته الحانية التي افتقدتها لشهور عديدة.

ظلت مذهولة واقفةً لا تحرك ساكنًا... إلى أن أتت من وراءها أفنان تنادي عليها صارخة جائعة:

-هاايّ يا فاتن...! أين أنتِ...؟ لا تأكلي الطعام من د...!!!

فجأة رأت أمامها سلطان فصدمت ولكنها سرعان ما تكلمت بغضب:

-ما الذي أتى بك إلى هنا يا هذا...؟

رد سلطان ببرود على أفنان:

-إنه بيتي... أت إليه متى أشاء.

سحبت أفنان فاتن من يدها التي لا تحرك ساكنًا من صدمتها وأردفت:

-أتصدق... عندك حق، ها نحن ذا سوف نرحل من بيتك.

أمسك سلطان يد أفنان التي تمسك بها فاتن وقام بفك قبضتها وأردف:

-إذا كنتِ ترغبين في الرحيل فأرحلي، ولكن اتركي لي زوجتي.

ضحكت أفنان ضحكة تهكم وأردفت:

-زوجتك...! الآن صارت زوجتك لأنها تجاوزتك وأثبتت لك إنها تقدر على العيش من دونك.

أم إنك قررت أن تحطمها مرة أخرى... كما حطمتها أولًا...! هذا طبعكم أيها الرجال تحبون أن تقطفوا الورد الجميل ومن ثم ترمونه أرضًا وتدهسونه بأقدامكم.

ضحك سلطان متهكمًا عليها وأردف:

-إذا كانوا الرجال يلتفتون إلى الورد الجميل إذًا معنى ذلك أنك ستظلين في أمان طول عمرك.

شعرت أفنان بالإهانة وقررت الرحيل.

ولكن حينها خرجت فاتن عن صمتها وهمت خارجة وراء أفنان تنادي عليها:

-أفنان حبيبتي لا تتركيني، أنا أتية معكِ.

في تلك اللحظة أمسك سلطان يد فاتن وقال:

-فاتن أرجوكِ ظلي معي أريد أن...

قاطعته فاتن وهي تسحب يدها من يده، ناظرة له باستحقار وكره وأردفت:

-اتركني وشأني... أنا لا أريدك.

وصارت تركض خلف أفنان تاركة سلطان نادمًا وراء ظهرها.

تمر الأيام وسلطان يتردد وراء فاتن وكالعادة معها أفنان، ها هو في كل مرة يراها بها سواء في المحل أو في الطريق يحاول أن يعتذر عن ما صدر منه، وفي كل مرة يقول لها:

-صدقيني يا فاتن أنا لا أدري كيف صدر مني كل ذلك، أرجوكِ عودي إليّ، على الأقل ليس من أجلي بل من أجل ابننا كي ينشأ في أسرة متكاملة.

قررت فاتن بعد شهر من المحاولات أن توافق، ولكن بشرط أن يطلق زوجته بلقيس ولكنه قال لها:

-لا يمكنني يا فاتن أن أفعل ذلك، إنها حامل الآن وغير ذلك لا يمكن أن أطلقها لأنها أخت صديقي العزيز، استحالة أفعل ذلك استحالة.

طبعًا سحر الربط هو السبب ليس الأصول ولكنه لا يعلم ذلك.

سألت فاتن أفنان ماذا عليها أن تفعل...؟ ولكن أفنان قررت أن لا تتدخل لا بالخير أو بالشر مرة أخرى بعد ذاك الموقف.

بعد شهر أي في شهر ٨ من عام ١٩٩٧ قررت فاتن أن تعود إليه كي يكبر ابنها بين أبيه وأمه وكي ينشأ نشأة صحيحة ولا يشعر بالنقص أو الحرمان من مشاعر الأمومة أو الأبوة.

قرر سلطان أن يعدل بين زوجتيه هذه يوم وهذه يوم وكل منهما في بيتها الخاص وذلك بعد رفض فاتن أن تأتِ للعيش في الفيلا الجديدة... أي نعم فيلا... إن حال سلطان تغير كثيرًا بعد زواجه من بلقيس... تمت شراكة

بينه وبين عدنان... وسلطان هو المسؤول عن المشروع... هو العقل المدبر والمنفذ والمسؤول... ولكن عدنان هو الممول... حتى سلطان مشارك بالمال ولكن بجزء بسيط ولكن هذا ليس موضوعنا... سوف أكمل ما جرى.

إن فاتن لا تحب المشاكل... كل ما تبحث عنه هو الاستقرار، هي وابنها وكفى.

ولكن بلقيس كانت الغيرة تأكل قلبها في اليوم الذي يذهب فيه سلطان إلى فاتن.

معروف جدًّا أن المرأة تشعر بالغيرة عندما تجد من هي أفضل منها أو أجمل منها.

بينما فاتن لم تكن تشغل بالها عندما يكون سلطان عند بلقيس... بل بالعكس تحس براحة أكثر... هي لا تكرهه ولكنها فقدت شغفها به... وكذلك هي تعرف قدرها وجمالها فلا توجد مقارنة بينها وبين بلقيس كي تفقد ثقتها في نفسها وتغير.

في شهر ٩عام ١٩٩٧ بدأت أعراض الحمل تظهر على فاتن، ذلك الخبر جعل سلطان يطير من الفرحة ولكنه جعل بلقيس تستشيط غضبًا وقامت بمشكلة كبيرة مع سلطان ولكن سلطان مثل ما يقولون في مصر (قلب الطرابيزة عليها) وترك البيت وظل عند فاتن أسبوع كامل وعندما عاد إليها وجدها قد تعلمت الدرس بأن عليها احترام القواعد...

وهي تعرف جيدًا أن عليها أن تسمع الكلام وترضى بالحال لأنه إن طلقها سوف تكون مطلقة للمرة الثانية ولن يرضى بها أحد وذلك عوضًا عن شكلها الغير جذاب هي مجرد شابة ملامحها مقبولة ولكن يظهر عليها أنها أكبر من سنها.

ظل الوضع مستقر هكذا إلى شهر ١١من عام ١٩٩٧ عندما عادت منال وعدنان من لندن بعد رحلة علاج استمرت قرابة السنة.

ولكن الأطباء اخبروها أن وضعها لا يسمح لها أن تحمل أبدًا... وفكرة الحمل فيه مخاطرة كبيرة على حياتها... إذا حملت فإنها بهذا القرار تجازف بحياتها أو بحياة الجنين أو الاثنين معًا.

لذا قررت هي وعدنان أن يحمدا الله على نعمه الأخرى في حياتهما.

وطبعًا عدنان منصاع لها ولا يرى سواها لأنه مسحور فما يهمه أن تظل هي معه وكفى.

★★★

ها هو سلطان طلب أن تأتِ معه فاتن لكي لتراها حينها وافقت فاتن على الذهاب لزيارة أختها، فهي لا تكرهها ولكن للحق هي لا تحبها كذلك ولكن الأصول تحتم على فاتن الذهاب.

★★★

ارتدت فاتن فستان ذا قصة الأميرات، فستان لونه وردي فاتح جدًّا ومع بياضها وشعرها البني الذهبي كانت مثل الوردة التي تتحرك وتمشي على الأرض ويفوح منها عطرها وعبقها حيثما ذهبت.

وعلى يدها ابنها المهدي ذا السبع أشهر تقريبًا، لا يوجد طفل في جمال وحسن عينيه الكحيلتين.

استقبلوها أهل بلقيس بترحيب لأنهم كانوا أناس يحترمون شرع الله جيدًا ويعلمون أن سلطان غير مقصر بتاتًا في حق ابنتهم، طبعًا الترحيب والتقبل كان من الجميع ما عدا اثنين هما بلقيس ومنال.

منال الذي صدمت فور أن رأت أختها بعد أن عاد رونقها وجمالها من جديد ولكن الذي جعلها تستشيط حقدًا وغيظًا هو المهدي، تنظر له وتتحسر وتتذكر ابنها الذي فقدته، الذي كان سيكون عمره ثلاث شهور تقريبًا.

شعرت أن رغبة الانتقام قد عادت من جديد، ها هو حقدها قد استيقظ من بعد رقدته قرابة العام.

قررت فاتن أن ترحل متحججة بأنها يجب أن تذهب لعملها ضروري، وذلك بسبب أنها لم تجد كلام من أختها سوى أنها سلمت عليها بأطراف أناملها ولم تحاول قط أن تكلمها، لذا فاتن قررت الانسحاب.

★★★

وأخيرًا بلقيس وجدت من تشكي لها همها وحزنها وكانت منال هي المقربة لها لذا منال قالت لها:

-دواكِ عندي يا بلقيس صدقيني، ولكن اتركيني ارتاح من السفر يومين وسوف أعطيكِ ما يرضيكِ.

★★★

بعد يومين بالفعل ذهبت منال إلى صديقتها الدجالة خديجة وقالت لها عن ما جرى لها فقالت لها خديجة:

-إن الخادم انتقم منكِ أنتِ، أحيانًا الخادم ينتقم من فاعل السحر والمتوسط له.

-ولكن لمَ ينقلب دور الخادم من صالحنا إلى صالحها؟

-لأنه أحبها...

-حتى الجن أحبها...!

-هذا ما حدث يا منال...

-ولكن كيف أنتقم منها...؟ كيف من دون أن ينتقم مني ذاك الخادم...؟

-الحل أن لا تكوني نقطة الوصل بيني وبين بلقيس...

-أتقصدين أن تأتي لكِ بلقيس بنفسها و...

-من دون كثرة كلام يا منال، اجعليها تأتِ لي وسوف تجد ما تريد وأنتِ اخرجي من الموضوع... رغبتكما دمار فاتن لذا لا تقحمي نفسك أنتِ هذه المرة.

★★★

وبالفعل في اليوم التالي جاءت بلقيس إلى خديجة وقالت لها:

-أنا أريد زوجي سلطان يكون لي وحدي، أريده أن يراني الأجمل في العالم، وأن يرى فاتن أقبح من في الأرض، وأريده... أريده أن يكرهها... ينفر منها... يطلقها... و...

قاطعتها خديجة وأردفت:

-حسنًا... حسنًا، فهمت مرادك، تعالِي يوم اكتمال القمر ومعك صورة زوجك وصورة لفاتن ومعكِ خمسة آلاف درهم.

-وماذا سيحدث يو...

-لا داعِ للكلام عما سيحدث يومها الآن... دعي كل شيء لأوانه... وهيا... انتهى الوقت.

★★★

وبالفعل تم السحر في الموعد المطلوب وكان عبارة عن زجاجة ماء وزجاجة بها تراب وكل منهما تعويذة مختلفة والصور تم جمعها بدبوس في المنتصف ومن ثم تمزيقها إلى نصفين وذلك بعد أن كتب عليهما بالدم النجس تعويذة تفريق وكره وتشويه.

بينما كتبت خديجة تعويذة لبلقيس ومن ثم قامت بحرقها في طبق ومن ثم أخذت الرماد ووضعته في زجاجة وطلبت من بلقيس أن تدهن بالرماد على وجهها وما يقابلها من جسدها وذلك عندما تعود إلى بيتها وأن لا تكلم أحد وتنام.

وذلك لأن بلقيس برجها ناري فقامت بتعويذة عن طريق استخدام النار.

ومن ثم قامت بصنع تعويذة أخرى وقامت بحرقها ومن ثم قامت بوضع الرماد في زجاجة أخرى وطلبت من بلقيس أن تضع الرماد على فرجها وذلك لجلب سلطان لها.

وطلبت من بلقيس طلب أخير أن تقوم بحفر أمام بيت فاتن ووضع الصور ومن ثم سكب الماء والتراب ومن ثم الردم عليهم وكفى.

انتظرت بلقيس عندما حل المساء وعم الهدوء وذهبت ونفذت ما طلبته منها خديجة بالحرف الواحد.

وبالفعل استغلت بلقيس عدم وجود سلطان في تلك الليلة معها كي تتمكن من تنفيذ بقية الطقوس.

★★★

في صباح اليوم التالي عندما استيقظ سلطان لم يجد فاتن، لذا خرج يبحث عنها، أكيد كالعادة سبقته في الاستيقاظ كي تعد له الفطور.

هم مسرعًا إلى المطبخ كعادته كي يأخذ عناق الصباح.

ولكنه دهش لما رآه أمامه، كان أمامه كائن مسخ مشعر، بشري ولكن مشعر جدًّا... قبيح وغليظ الملامح.

صار يسأل سلطان باستغراب والخوف بدأ يتملكه وهو يحاول أن يقترب لكي يتمكن من إمساك السكين:

-من أنت...؟ أو ما أنت...؟

ردت فاتن ببراءتها:

-أنا زوجتك فاتن يا سلطان...

ذهل سلطان وحاول أن يغمض عينيه ويفتحها، شعر لوهلة أنه في حلم أو أنه في مرحلة هلوسة ولكنه لا يتعاطى أي نوع من المخدرات... حاول

أن يتمالك نفسه ويسأل من جديد وهو يحاول أن يقترب أكثر بعد أن تمكن من السكين:

-كيف تتكلم بصوت زوجتي... كيف...؟

ومن ثم هم رافعًا يده بالسكين راغبًا في تصويب طعنة بداخل جسد هذا الكائن... ولكن فاتن سرعان ما انتبهت وهمت مسرعةً إلى الغرفة المجاورة التي تفصلها عن المطبخ مجرد باب وقامت بإغلاق الباب الأول بالمفتاح، في تلك اللحظة همّ سلطان مسرعًا كي يخرج من المطبخ كي يصل إلى الباب الأمامي للغرفة المجاورة، ولكن عندما وصل كانت فاتن قد تمكنت من غلقه بالمفتاح كذلك...

ظل يطرق على الباب بجنون مهددًا أنه سوف يبلغ الشرطة.

في تلك اللحظة كانت فاتن في ركن الغرفة تبكي... تشعر بالرعب... لا تفهم ماذا حل بزوجها فجأة...!

استغلت فاتن وجود هاتف في تلك الغرفة، لذا قررت أن تتصل بأفنان اتصلت وقد غلبها البكاء والرعب والخوف، ردت عليها أفنان بصوت ناعس لم يستيقظ بعد وأردفت:

-آوه يا فاتن ما...

لم تدعها فاتن تكمل كلامها المتكاسل الناعس وأردفت باكية بخوف:

-انجديني يا أفنان... انجديني أرجوكِ... تعالِي ومعكِ أحد كي تنقذيني من سلطان، سلطان قد جن جنونه.

استمر سلطان في الطرق على الباب بجنون في تلك اللحظة، ومن ثم اتصل بالشرطة كي تلقي القبض على هذا المسخ.

وبالفعل وصلا كل من الشرطة وأفنان في ذات الوقت يفرق بينهما دقيقة فقط، عندما وصلت أفنان وأبيها وجدا أن الشرطة اقتحمت البيت،

ومن ثم تمكنوا رجال الشرطة اقتحام الغرفة التي بها فاتن حينها قال سلطان لهم صارخًا:

-امسكوا هذا المسخ...؟ لا أدري كيف دخل بيتي... ولا أدري كنهه حتى.

كانت فاتن تسمع هذا الكلام وتجهش باكيةً مصدومة مما يفعل سلطان في تلك اللحظة، دخلت أفنان بالقوة كي تعانق فاتن وكي تهدأ من روعها.

نظر رجال الشرطة باستغراب واستحقار رهيب لسلطان وقالوا له:

-إنها مجرد امرأة عادية، ليست مسخ كما تقول.

قاطعتهم أفنان وأردفت:

-إنها زوجته وقد عانت كثيرًا من جنانه، انظروا السكين الذي في يده، إنه كان سيقتلها... اقبض عليه يا حضرة الضابط... إنه مجنون ومجرم.

وبالفعل تم القبض على سلطان.

من هول الصدمة والرعب التي مرت به فاتن فقدت الوعي تمامًا.

فأخذتها أفنان إلى بيتها، وعندما أفاقت فاتن قالت لها أفنان:

-لن أدعكِ تعيشين في ذلك البيت يا فاتن، أخاف أن يتهجم عليكِ ذلك المجرم من جديد، إذا كانت نفسكِ تهون عليكِ فأنتِ لا تهوني عليّ.

★★★

وبالفعل تم الكشف على سلطان لأنه اشتبه به أنه تحت تأثير مخدر ما ولكن التحاليل أثبتت أنه لا يتعاطى أي من المخدرات، وتم الكشف على قواه العقلية، تم اثبات أنه سليم تمامًا، وخرج بكفالة وقام بالتوقيع على إقرار بأنه لن يتعرض لفاتن مرة أخرى.

ومنذ ذلك الحين لم يعتب سلطان عتبة بيت فاتن أبدًا ولا يعتب أي مكان به فاتن من الأساس، حُذفت فاتن من ذاكرته تمامًا، وإذا رآها لن يرى سوى مسخ لا يذكره بشيء.

★★★

ها هي بلقيس تتمتع بسلطان لها وحدها، لا يهمها كلام الناس عليه بأنه يتعاطى المخدرات، تقول في قرارة نفسها:

-يومين وسوف ينسوا الأمر برمته... كل ما يهمني أن سلطان لي أنا، لي أنا وحدي.

★★★

في شهر يناير من عام ١٩٩٨ جاء موعد ولادة بلقيس ولكنها كانت ولادة متعسرة، كانت بلقيس تتعذب بالفعل أثناء ولادتها ومن ثم ظهر أمامها مسخ برأس ثور وأكيد صرتم تعرفون من هو ذا... على العموم لقد ظهر لها لكي يخيرها بين أمرين:

-تفقدي جنينك أم تفقدي حياتك...؟

من ثم ظهر أمامها الطبيب... يبدوا أن ألم الولادة جعلها لا ترى بوضوح وأن تتخيل أشياء غير موجودة (أو يمكن كانت موجودة...!)

قالت بوهن وحزن:

-أفقد الجنين...

ولكن من شدة الألم ومن صدمتها وحزنها بسبب ذلك القرار فقدت الوعي... بل دخلت في حالة غيبوبة طالت لمدة أسبوع.

★★★

بعد أسبوع فاقت من الغيبوبة، وعادت إلى بيتها ودخلت في حالة من الاكتئاب طال لمدة ثلاث شهور.

أصابت بالاكتئاب لأنها تشعر إنها المذنبة في موت جنينها... هي السبب لأنها طمعت وأقبلت على ما هو حرام.

وها هي منال تحمد الله حمدًا كثيرًا أنها لم تقم بأي سحر لأختها... كي لا ينتقم الخادم منها مرة أخرى... ولم يهمها ما حدث لبلقيس ولا الحالة التي وصلت إليها... كل ما يهمها أن تكون هي بخير... بخير وكفى.

لم تعد تطلب شيء سوى أن يظل معها عدنان... هي تعرف جيدًا أنها إذا أقبلت على شيء يضر فاتن سوف تفقد هذه المرة عدنان...

★★★

في مايو ١٩٩٨ وضعت فاتن مولدها الثاني وللدقة مولودتها لأن في هذه المرة رزقها الله بنتًا جميلة جدًّا فائقة الحسن، أخذت لون عيون فاتن واتساع عين أبيها، العيون العربية الأصيلة المكحلة، أخذت من حسن أبيها وأمها.

شعرت فاتن بمجرد أن أمسكت ابنتها بين يدها، أحست أن روحها قد عادت لها من جديد بعد ما حدث معها بسبب سلطان الفترة السابقة... إن سلطان أذاها نفسيًا كثيرًا، لذا بمجرد أن رأت ابنتها الجميلة شعرت بأنها الحياة بالنسبة لها، وإنها سوف تبدأ حياة جديدة وأقسمت أن مهما تغيرت الظروف لن تعود أبدًا إلى سلطان.

طبعًا سلطان خلال كل هذه الفترة لم يسأل قط عن فاتن وأطفاله.

استمرت فاتن في العيش مع أفنان... وذلك لأنها مثل أختها... وغير ذلك أفنان هي وحيدة أهلها وغير متزوجة وذلك لأنها في نظر الرجال قبيحة الشكل...

الرجال بالفعل ناقصين عقل...لأنهم إن كانوا عندهم ذرة عقل لوجدوا أن افنان أجمل البنات روحًا... ولكن لا يوجد من يبحث عن الروح الباقية... بل الكل يلهث وراء الجسد الفاني من أجل المتعة الفانية المؤقتة.

★★★

تمر السنين والملامح تتغير، وطفلان فاتن كبرا ولديهما بدل الأم اثنين، مهدي وحياة نشئا نشأة بها الكثير من الحنان ولكن عدم سؤال أبيهما عليهما قط شكل عقدة في نفسيتهما.

ويحسدان كل من عنده أب.

يسألان أمهما: لمَ أبانا ليس معنا مثل أصدقائنا...؟

-إن أبيكم موجود ولكنه مشغول بعض الشيء، إنه يسأل عليكما من حين لآخر.

حاولت فاتن أن تحسن صورة سلطان في نظر أولادها ولكن سرعان ما كبر أولادها وفهما الأمر جيدًا.

بل وزاد حسدهما على عدنان ابن بلقيس الذي ليس من صلب سلطان من الأساس... ها هو عدنان صار شاب ولكنه لا يتسم بصفات الرجولة قط... بل إنه شاب مستهتر لا يفعل شيء سوى التباهي بالسيارات الخاصة به أو بثرائه... إن قدوته ليس سلطان الذي رباه بل قدوته خاله عدنان المستهتر... ولكنه ألعن من خاله بكثير.

صار المهدي يستشيط غضبًا، لأن عدنان هو الذي يستمتع بالمال الذي هو أولى به هو وأمه وأخته... ولكن ليس بيده شيء.

ها هو ميمون لازال مع فاتن... ما زال صديقها المقرب... يعرض عليها عرضه المعروف أن تأتي معه ويأمن لمهدي وحياة حياة لا يحلما بها قط.

ولكنها لازالت ترفض... لذا ميمون قرر أن يغير القدر.

★★★

(١٢)

في شهر مارس عام ٢٠١٠ ها هي بلقيس جالسة تبكي على عمرها الذي يفوت من دون أن يرزقها الله بطفل من سلطان... طفل يحمل اسمه ويرث ملكه.

تشعر بلقيس بيد تربت على كتفها مواسية لها... رفعت رأسها المنكسر الذليل فرأت خديجة الدجالة، سألتها مستغربة:

-كيف... كيف أتيتِ إلى هنا يا خديجة...؟

-هل قال لكِ أحد أني بائعة كشري...؟ أنا ساحرة يا بلقيس ساحرة... أتفهمين...؟

-لا أريد أن أعرف عنكِ شيء... لا أريد أن أعرفكِ يا من دمرتِ حياتي بدل من أن تحسنيها.

-أنتِ ترغبين في الحمل أليس كذلك...؟ عندي الحل، سوف تخرجين ليلاً وسوف تقومي بإخراج السحر المدفون لسلطان وفاتن وكل التراب التي سوف تخرجيه من الحفر اجمعيه في كيس... ومن ثم اركبي سيارتكِ وقومي ببعثرة ذلك التراب في الهواء في مكان خالي...

وقومي بفك الصور ومسح ما كتب عليهم ومن ثم احرقيها وأنثري الرماد في الهواء.

-وهل سوف يعود سلطان لفاتن هكذا...؟

-طبعًا سيعود لها... ولكن يجب أن تضحي بشيء مقابل أن يكون لكِ ابن ووريث لسلطان... بدلًا من أن تأخذ المصرية وأولادها كل شيء.

-وهل سيظل يراني جميلة؟

-هذا سحر آخر، سيظل يراكِ جميلة يا بلقيس... هيا قومي هيا لا يوجد وقت تضيعيه... عمركِ يمر يا بلقيس ها أنتِ تجاوزتِ الأربعين من عمرك

وفرص الحمل ستقل معكِ، استغلي هذا الوقت... ضحي وانسي غيرتكِ وفكري في مكسبكِ فيما بعد.

★★★

وبالفعل اتصلت بلقيس بسلطان وطلبت منه أن تذهب لأهلها وتبيت عندهم الليلة.

وبالفعل في المساء قامت بالمطلوب كما طلبت منها الساحرة خديجة كما خيل لها.

وبالفعل في اليوم التالي صار سلطان يتتبع أخبار فاتن

بل وذهب إلي مدرسة ابنته حياة وطلب من الإدارة أن تحضر ابنته لكي تأتِ معه ضروري.

هو لا يعرف شكلها... لا يعرف سوى اسمها ومدرستها من الجيران الذين سألهم وكفى.

وعندما حضرت حياة شعر أن الحياة قد أقبلت عليه لا ابنته... بالرغم أنه لا يعرفها ولكنه كان متأكد أنه لو رآها من بين مليون بنت في سنها سيعرف أن هذه ابنته.

هم مسرعًا معانقًا إياها بلهفة... جميلة هي كأمها... بها أنوثة أمها وبها نظرته.

ذاب الحزن الكامن في قلب حياة تجاه أبيها... نسيت مشاعرها السيئة تجاهه التي تجمعت خلال كل هذه السنين... نست كل شيء بمجرد عناق... إنها بالفعل أخذت قلب أمها الرؤوف الرحوم.

أخذها في سيارته ومن ثم مر على مدرسة المهدي وطلبه ولكن المهدي كان لا يستطيع أن ينسى حزنه من أبيه بمجرد عناق بعد كل هذه السنين.

هو بالنسبة له رجل غريب مثله مثل غيره... بل إنه يختلف عن الغرباء بأنه أذاه هو وأمه وأخته.

ركب مهدي بجوار أبيه في السيارة ولكن المهدي استمر ينظر للطريق ولم ينظر لأبيه قط.

لا يستطيع أن تقابل عينيه عيني الرجل الذي نساهما وكأنهما غلطة أو كأنهما غير أهلٍ أن يكونا أولاده لأن أمهما مصرية.

أخذهما سلطان إلى المطعم وبدء مهدي يطمئن إلى قلب أبيه سلطان... بدأ يشعر أنه رجل طيب جدًّا مثل ما كانت أمه فاتن تحكي عنه دائمًا.

بينما حياة لم تترك يد أباها قط ولم تخرج من حضنه وكأنها تعوض نفسها عن حرمان البعد كل تلك السنين.

ومن ثم ذهبا إلى المول وحضرا فيلم في السينما ومن ثم السهرة كانت في الملاهي.

وفي المساء عادا لأمهما التي انفطر قلبها عليهما ولكنهما قابلا خوفها بابتسامة من القلب وعناق كبير، ولكنها سرعان ما ابعدتهما وقالت لهما صارخة خائفة وهي تهم بمسح دموع عينها التي ورمت من شدة البكاء:

-أين كنتما...؟ أين...؟

قام المهدي باحتضان أمه... لقد صار طولها أو أطول قليلًا وبدأ يهدأ من روعها، ومن ثم بدأت حياة بتقبيل أمها... ومن ثم أردفت بلهفة:

-كنا مع أبي يا أمي... إنه أجمل أب كما كنتِ تحكي عنه... جميل شكلًا وروحًا.

ذهلت فاتن من كلام حياة، رفعت رأسها من حضن ابنها وقالت بدهشة:

-كنتم مع من...؟ مع سلطان...!

وضح لها المهدي:

-بصراحة يا أمي أنا لم اتقبله في اللحظة الأولى ولكن سرعان ما أثبت لي كل كلامك عنه... وللعلم أنه في الخارج ويريد أن يتكلم معكِ.

كان سلطان ذكي جدًّا، لعب على الوتر الحساس لفاتن... ألا وهو أطفالهما... لأنه لو كسب أولاده في صفه سوف يكسبها بسهوله.

خافت فاتن أن ترفض الخروج لمقابلته وبذلك تثبت لأولادها عكس للكلام الذي تحكيه لهما... لذا قررت الخروج لكي ترى ماذا يريد.

لم يحب سلطان أن يدخل البيت كي لا يزعج أهل أفنان... ولكن اكتفى أن يتكلم كلمتين على انفراد مع فاتن في السيارة.

وبالفعل بدأ الكلام، يحلف لها سلطان أنه لم يشعر بالأعوام تلك التي فاتت أكثر من ١٢ عام مروا ولكنه يشعر أنهما يوم فقط.

يقسم لها أن حياته من دونها ليست حياة وأن عمره يحسبه فقط عندما تكون هي معه.

ترد عليه فاتن وهي تنظر أرضًا لا تريد أن تلتقي عينيها بعيني سلطان فهي لا تستطيع أن تقاوم سحر عينيه العربيتين قط:

-سلطان كل ذلك ماضي وانتهى... أنا لا يهمني في حياتي سوى أن أهتم بأولادي وكفى.

هم سلطان ممسك يد فاتن وأردف:

-سوف نهتم بهما سويًا يا حبيبتي و...

سحبت فاتن يدها مسرعة وشعرت بالخجل، هي نست أنه زوجها حلالها، نست معنى كلمة رجل من حياتها، نست الحب، نست مشاعرها، نست قلبها، لأنها لم ترى من الحب سوى الألم وكفى.

نظر لها سلطان مستغربًا وأردف:

-فاتن... أنا زوجك... ويحق لي أن أمسك يدكِ و..

استشاطت فاتن غضبًا وأردفت وهي تتكلم بحرقة والغصة تخنقها:

-زوجي...؟ ويحق لك أن تمسك يدي...؟ وهل يحق لك يا زوجي العزيز أن تترك زوجتك الحامل من دون أي سبب...؟ تتركها وفي بطنها طفلك وعلى

ذراعها مولودك الجديد... أيحق لك يا زوجي أن لا تسأل عني ولا عن أولادك حتى ولو مرة خلال تلك السنين...؟

-أقسم لكِ يا فاتن ليس ذنبي... ولكن دعكِ من الماضي... يمكن أن نبدأ من اليوم... ارجعي لي وسوف أعوضك عن ما فاتك أنتِ وأولادنا... كما تعلمي أن عملي قد زاد وكبر "البزنس" الخاص بي... سوف أجعل مهدي وحياة يعيشان في نعيم.

-لا نريد شيء من مالك يا سلطان... أنت شخص لا يؤتمن له... صدقتك مرتين... وفي كل مرة تخذلني... سوف أكون مغفلة إن صدقتك للمرة الثالثة.

-حسنًا، اسمعيني يا فاتن... يوجد مثل عندكم في مصر يقول : "الثالثة ثابتة"... إذا لم أحسن التعامل معكِ في هذه المرة يحق لكِ أن تفعلي ما تشائين... أرجوكِ فكري في الموضوع من أجل مهدي وحياة كي ينشئا نشأة صحيحة ومن دون حرمان من شيء مادي أو معنوي.

تعالِي وسوف نعيش كلنا سويًا في القصر.

-وزوجتك...!

-إنها طيبة جدًّا سوف تحبينها.

★★★

وبالفعل عندما دخلت فاتن ورأت مهدي وحياة قد تغيرت نفسيتهما كثيرًا... وعندما رأت بسمة قد رسمت على وجههما لم ترى مثلها من قبل... قررت أن توافق على سلطان... قررت أن تعطيه فرصته الأخيرة...

هي تعلم جيدًا أنها تحبه... تحبه بجنون وإنها لن تسامحه للمرة الثالثة فقط... بل سوف تظل تسامحه لآخر يوم في حياتها.

حب سلطان قد طغى على قلبها وسيطر عليه... مهما أخذت قرارات بعقلها لا تستطيع أن تنفذها لأن قلبها هو الذي لديه السلطة... هو وحده وكفى.

★★★

وبالفعل اشترى سلطان أثاث غرفة النوم هو وفاتن وأثاث غرفة حياة وغرفة مهدي.

ومن ثم سافرا في رحلة لمدة شهر لأربع بلدان أسبوع في فرنسا وأسبوع في بريطانيا وأسبوع في لبنان وختامها مسك أسبوع في أم الدنيا، أسبوع كي يتذكران شهر عسلهما... أسبوع ذكرهما بحبهما البريء... يشعر كل منهما أن شهر العسل كان بالأمس لا منذ ١٤عام.

قامت فاتن بزيارة أمها فاطمة وأبيها عبدالحفيظ... بكت بحرقة من شوقها لهما... تضمهما بقوة وكأنها تريد أن تقوى من بعد ضعفها كل تلك السنين... تريد أن تقوى بهما، هما سندها في الحياة حتى وإن اشتعل شعرهما شيبًا... سيظلان سندها حتى ولو صارت أجسادهما هزيلة كساها الوهن والمرض والعجز... عانقتهما بشدة وكأنها تريد أن يلمس قلبها قلبهما... كي يحكي قلبها لهما ما عانى منه خلال تلك السنين.

اشترى سلطان لهما شقتين متجاورتين على البحر كي يعيشا بها هما وسلوى أخت فاتن الصغرى التي رفضت الزواج تمامًا وقررت أن تعيش لذاتها وتحقق أهدافها وطموحاتها العلمية... صارت طبيبة معروفة... شعرت فاتن أن هذا قرار صائب أفضل من أن تتزوج زواج غير كامل يعطلها عن تحقيق أهدافها وتميزها في المجتمع.

والشقة الثانية لكي تكون عيادة سلوى.

وتركوا الشقة القديمة للإيجار.

★★★

بعد شهر العسل مر سلطان وفاتن على بيت أفنان لأخذ أولادهما للعيش معهما في القصر، ذهبا كل من مهدي وحياة إلى القصر للعيش مع والديهما بدلًا من العيش مع أفنان التي أحسنت مؤاهما كل تلك السنين.

★★★

عندما دخل سلطان القصر هللت وأقبلت عليه بلقيس معانقة إياه ومن ثم قالت له بلهفة:

-عندي لك خبر حلو يا سلطاني.

نظر لها سلطان مستغربًا لا يفهم شيئًا ولكنها قطعت تفكيره وقالت بلهفة طفلة صغيرة لا تتناسب مع سنها قط:

-أنا حامل يا سلطاني... حامل.

للحق سعد سلطان بهذا الخبر وقال لها بلين ورفق:

-اهدئي يا عزيزتي... عليكِ أن ترتاحي ولا تجهدي نفسك وإذا احتجتِ شيء رني الجرس للخدم... لا تجهدي نفسكِ قط ولا حتى تنادي.

كان مهدي ينظر بكُره وغيظ لعدنان الموجود في نهاية غرفة الجلوس... يجلس متكبرًا ويبادل المهدي نظرات استحقار وانتقاص ومن ثم عندما حول نظره إلى حياة فتح فاه من جمالها... فنظر لها نظرة غزل... فنظرت له نظرة اشمئزاز.

طلبت فاتن من سلطان أن تصعد هي وأولادها لكي يرتاح كل منهم في غرفته وبالمرة تتركه هو وزوجته على انفراد.

★★★

تمر الأيام وها هو مهدي يتجاهل عدنان وسخافته كي لا يقوم بمشكلة معه.

وها هي حياة تتهرب من عيون عدنان التي لا ترحمها... ينظر لها نظرات فتحت تفكيرها على أشياء لم تكن منتبهة لها في سنها ذا... تبلغ من العمر ١٢ عام فقط ولكن جسمها بلغ واكتمل نموها ولكنها لا تفكر في شيء، لازال تفكيرها طفولي... ولكن عدنان جعلها تنتبه لجسمها الذي لم تكن تنتبه له من قبل.

بعد مرور شهرين من شهر العسل أيّ في شهر يونيو عام٢٠١٠ حملت فاتن للمرة الثالثة من سلطان... صارت فاتن تتشاءم من فكرة حملها من سلطان... في كل مرة تحمل بها تحدث لها مصيبة بعدها.

ولكن ها هي الشهور تمر ولم يحدث لها ما كانت تتوقعه قط.

★★★

في شهر فبراير عام ٢٠١١ وضعت فاتن مولودها الثالث فهد إنه أجمل من المهدي بكثير لا يوجد في حسنه... شعره الذهبي وعينيه الفيروزيتين وشفتاه القرمزيتين وبشرته الفاتحة المشبعة بالحمرة، كان من يراه بالفعل يفتن بجماله وجمال ضحكته.

وقبلها بشهرين وضعت بلقيس بنتًا... ولكن بنتها كوثر أخذت ملامحها لم تكن جميلة قط.

صراحة إن الجمال ليس أهم شيء، المهم الروح... ولكن كيف تكون روحها حلوة وأمها بلقيس... كيف...؟

طبعًا عدنان بدأ يشعر بالغيظ لأن اهتمام سلطان الأكبر صار مسلط على فاتن وأولادها... لذا قرر أن ينتقم.

في يوم نزلت فاتن من غرفتها ذاهبة للحديقة وذلك بعد أن أرضعت صغيرها فهد وتركته نائمًا.

استغل عدنان عدم وجود فاتن وأولادها في الدور العلوي وقرر أن يدخل الغرفة لكي يسحب شيء من ملابس فاتن لكي يسحر لها.

ولكن بمجرد أن دخل الغرفة بكى فهد الطفل الصغير، توتر عدنان من صوت بكاء فهد، حاول أن يكتم نفسه ولكنه خاف أن يقتله... لذا قام بوضعه في الدولاب المفتوح وراءه وأغلقه، وهرع من دون أن يأخذ شيء... لأنه يعلم جيدًا أن فاتن معها جهاز متابعة الرضيع... يعلم أنها سوف تأتي حالًا وأن عليه أن يرحل وبسرعة.

★★★

بمجرد أن أصدر الجهاز صوت لفاتن، طلبت من حياة أن تصعد وتحضر أخيها... ظلت حياة تبحث عن مصدر صوت أخيها إلى أن وصلت الدولاب وقامت بفتحه... ولكن بمجرد أن فتحت الدولاب سقط فهد أرضًا على رأسه.

صرخت حياة صرخة سمعها كل من في البيت بعد أن رأت جرح في رأس أخيها حديث الولادة بسبب هذه السقطة.

اتصلت فاتن بسلطان كي يأتِ لها مسرعًا وبالفعل ذهبا إلى المشفى ولكن كانت تلك السقطة كفيلة أن تغير مصير ابنها تمامًا... لقد تحول إلى طفل معاق غير قادر على الحراك... وقالوا لها الأطباء أنه سوف ينمو ويكبر ولكنه لن يقدر على الحركة أو الكلام.

صدمت فاتن لأنها ابتلت في ابنها الجميل فهد.

حياة صارت في حالة صدمة وشعرت بالذنب لأنها من تسببت بذلك.

تمر الأيام وفاتن راضية بحكمة وتدابير الله لها.

وشعر عدنان بالراحة عندما رأي أن الحزن قد خيم على فاتن وأولادها.

ولكن بعد سنة أيّ في عام ٢٠١٢ حينها صار المهدي شاب يعتمد عليه، صار عمره الآن ١٥ عام فقرر أبوه أن يأخذه أثناء العطلة لكي يعلمه بعض الأمور في العمل.

هنا عدنان الذي يبلغ من العمر أكثر من ٢٢عام شعر بالغيظ... مع أن سلطان حاول كثيرًا أن يجعل منه شخص متحمل المسؤولية ولكنه رفض.

لذا قرر أن ينتقم من مهدي.

في المساء ذهب لغرفة المهدي وقال له:

-هاايّ يا أنت... يا ابن المصرية... انزل... أبوك يريدك في الأسفل.

كان المهدي يجلس مع أمه لأنه كان يحكي لها ما فهمه من أبيه وهي كانت تحفزه وتشجعه كي يمضى قدمًا... ولكن بعد أن سمع المهدي هذا الكلام من عدنان استشاط غضبًا وأحمر وجهه القمحي وكان يريد أن يرد ولكن أمه أمسكت بيده كي لا ينزل لمستوى عدنان.

ومن ثم قالت له:

-هيا يا صغيري ننزل لوالدك في الأسفل.

حينها سعد عدنان كثيرًا لأن ما سيحدث لم يكن يتوقعه ولكنه قال في قرارة نفسه:

-زيادة الخير بركة... سوف أضرب عصفورين بحجر واحد.

ومن ثم ضحك لهما ساخرًا منهما ورحل.

ولكن المهدي لأنه شاب مهذب جعل أمه تتقدم أمامه وقال لها وهو يخرج من الغرفة:

-لا يصح يا أمي... يجب أن تمشي أمامي... كما يقولون السيدات أولًا... وأمي هي ملكة السيدات.

صارت فاتن تمشي وهي تضحك وتنظر للمهدي، ونظرة الفخر والفرحة تشع من عينها بابنها الذي كبر أمام عينها وصار رجل (چنتل) كما يقولون...

ولكن بسبب نظرتها تلك لابنها جعلها لا تنظر لما موجود على الدرجة الثانية من السلم من الأعلى... تلك المادة اللزجة كانت كفيلة أن تسقطها... حاول مهدي أن يمسك يدها ولكن سرعة الانزلاق جعلته لا يتمكن من الامساك بها... ها هو يقف شارد الذهن مصدوم من منظر أمه التي تسقط على الدرج الرخامي العالي وانتهت السقطة بارتطام رأسها في العمود الرخامي الضخم الموجود على جانب السلم بجنب الحائط.

تجاوز المهدي ذاك الدرج الذي يحتوى على هذه المادة اللزجة وهَمَّ ممسكًا بأمه الغارقة في دمها الفاقدة للوعي.

يعلم المهدي أن عدنان هو السبب... عدنان الذي يقف أعلى السلم يضحك ضحكة تهكم على مهدي وأمه.

ولكن سرعان ما جاءا سلطان وبلقيس، صدم سلطان لِمَا رأى... بينما بلقيس لم تشغل بالها لأنها ليس لها علاقة بفاتن لا كره ولا حب.

حملا سلطان والمهدي فاتن إلى المشفى وهناك كانت الصدمة...

إن الصدمة كانت كفيلة أن تجعل فاتن مصابة بشلل كلي بسبب ضرر لحق بعمودها الفقري والمصيبة الأكبر أن فاتن فقدت بصرها وذلك بسبب ارتطام رأسها.

كانت الصدمة قوية على الجميع.

بعد أسبوع خرجت فاتن من المشفى ولكنها صامتة لا تحكي ولا تريد أن تتكلم... إن حياتها تغيرت للأسوأ... ولكنها صابرة وراضية وتحتسب أجرها عند الله.

تعلم جيدًا أن عليها أن ترضى بالشر كما ترضى بالخير من الله.

إن الله يبتلي عباده بالخير والشر... ويجب على العبد أن يقابل عطاء الله سواء خيره أو شره بالحمد والشكر والثقة في مراده وكفى.

تمر الأيام القليلة وفي يوم يدخل المهدي البيت وهو يستخدم الهاتف المحمول الخاص به فتعمد عدنان أن يمر بجواره وأن يرتطم به ومن ثم صاح وأردف:

-هاايّ... ألا ترى يا أعمى يا ابن العمياء...!

هنا لم يستطع مهدي أن يتحمل أكثر، فهم على عدنان ضاربًا إياه بكل قوة ولم يقاوم عدنان حتى... فجاء سلطان مسرعًا على صوت الشجار وقام بسحب مهدي من فوق عدنان.

وعنف مهدي على فعلته تلك وطلب منه أن يعتذر لعدنان ولكن مهدي رفض... فقرر سلطان أن لا يتكلم كلاهما مع الأخر لتفادي المشاكل.

تمر الأيام بعد حادثة فاتن... في يوم كان فيه المهدي مع أبوه لكي يتعلم أكثر في أمور العمل "البزنس" وقد تأخرت رجعتهما للبيت ولا يوجد في البيت سوى فاتن وحياة، وبلقيس نائمة في غرفتها... لا يوجد مستيقظ سوى العاطل عدنان، سمع باب غرفة قد فُتح... نظر في الخارج وجدها حياة... فهم خارجًا من غرفته مناديًا لها هامسًا... التفتت له ولكنها لم تشغل بالها به ونزلت للأسفل... لقد اعتادت إذا رغبت في شيء أن تجلبه لنفسها من دون الاعتماد على الخدم... هكذا علمتها أمها... إن الخدم بشر مثلنا ويجب أن نرأف بهم... وفي نفس الوقت كي تتعلم الاعتماد على الذات.

نزلت لكي تجلب لنفسها ماء لكي تشرب... نزل وراءها عدنان... يمشي وراءها مثل الأسد الذي يترقب فريسته ببطيء منتظر اللحظة التي سوف يهجم بها على فريسته.

بعد أن خرجت من المطبخ نادى عليها لم تعيره انتباهها كعادتها سوى أنها نظرت له نظرة احتقار وهمت محددة هدفها ألا وهو الصعود لغرفتها ولكنه سحبها بقوة لغرفة المكتب المجاورة، امتلأ قلبها خوفًا منه ومن

نظرته المتعطشة لها... هرعت مسرعة هاربةً... فهمت ما يريد أن يهم به فهي قد تجاوزت ١٣ عام ... همت مسرعة للدور الثاني وغيرت هدفها عندما رأته خلفها قررت أن تدخل تحتمي في غرفة أمها...

كانت تظن أنه لن يستطيع أن يدخل غرفة أمها... ولكن رغبته في هذه الليلة قد عمت بصره... وجعله شيطانه مصر أن يأخذ ما يريده منها... مستغلًا شلل أمها وعدم إبصارها وعدم وجود أبيها وأخوها.

وبالفعل فتح الغرفة فصرخت حياة... صرخت خائفة مستنجدة بأمها... ولكنه سرعان ما همَّ بها وضربها وحاول كتم أنفاسها.

صارت فاتن تتساءل:

-حياة... لمَ تصرخي يا ابنتي... ماذا يحدث...؟

لا تستطيع حياة أن ترد عليها... ولا تسمع منها فاتن سوى همهمات ونحيب من وراء صوتها المكتوم بيدي عدنان الغليظتين.

حاولت فاتن أن تكذب ظنونها ولكن سرعان ما فهمت ما يجري... لعنت عجزها وما جرى لها.

إن الباب كان مغلق والبيت مصمم أنه عازل للصوت أيّ لن يسمعها أحد إن صرخت.

ومن ثم توقفت عن سماع همهمات بنتها نتيجة دفاعها عن ذاتها... توقفت عن النحيب لأنها فقدت الوعي... إن جسمها الهزيل لا يتحمل ما حدث له في تلك اللحظة.

صارت فاتن تنادي: "يا رب ساعدني".

وكلمة يا رب لم تؤثر قط في عدنان ولم توقفه حتى عن ما يفعله في حياة... إن شيطانه قد سيطر عليه تمامًا... وتحول إلى حيوان يريد أن يشبع شهوته وكفى.

ظهر لها ميمون وقال لها:

-آمريني أنا يا فاتن وأنا سوف ارجعك كما كنتِ بل وأفضل وسوف أنتقم لكِ من عدنان... وسوف أغير ما حدث وسوف ترجع ابنتك كما كانت وهذا الحدث سوف يزال من ذاكرتها تمامًا...

تعالِي معي يا فاتن وسوف أجعل أولادك يعيشون بسعادة وسوف تري أمام عينك فهد وهو يتحرك ويتكلم ويضحك من جديد.

أرجوكِ وافقي عليّ... طلبتِ العون من الله... وها أنا جئت لكي أصلح لكِ كل شيء... أرجوكِ يا فاتن لا ترفضي... وافقي من أجلكِ ومن أجل أولادكِ... أرجوكِ.

في هذه اللحظة قالت فاتن وهي تبكي منهارة من عجزها:

-موافقة يا ميمون... موافقة...

واجهشت بالبكاء...

استغرب عدنان من كلامها ولكنه كان لا يهمه جنانها... ولكن فجأة رأى شيء أوقفه عن ما كان يفعل...

رأى جسد فاتن يهيم في الهواء مرتفعًا ببطيء... وها هو جسدها يختفى تدريجيًا... يتبخر جسدها الهائم في الهواء... ومن ثم يتحرك ذاك الشيء الذي أشبه بالدخان الأبيض أو البخار... يتحرك مسرعًا اتجاه المرآة... تاركًا شرخ وراءه...

ظل عدنان على الأرض لا يحرك ساكنًا من هول المشهد... فمه لا يستطيع أن يغلقه حتى... ذهلت عينه من هول الموقف... لا يرى أمامه سوى ملابس فاتن على السرير... ولا كأن كان لها وجود في الغرفة من الأساس...

قام عدنان بمسح عينيه... أتهم ذاته بأنه يتوهم له... إن ما حدث ليس واقعي ولا يخطر على بال بشر...

قرر أن يقف ويعدل من ملابسه على عجل... ومن ثم قرر أن يخرج من تلك الغرفة مسرعًا... ولكن قبل أن يخرج نظر للمرآة... وقرر أن يتحسس الشرخ الذي حدث بها منذ قليل... يريد أن يكذب عينيه... يريد أن يقنع نفسه أن ما رآه ليس حقيقي... ولا يمت للواقع بصِلة.

بمجرد أن اقترب وقام بلمس الشرخ... جرح إصبعه وكُسرت قطعه متوسطة الحجم من المرآة... قطعة تشبه إلى حد ما شكل السكين...

بمجرد أن نظر للجرح الذي أصاب به... وبمجرد أن وضع إصبعه في فمه كي يمتص الدم الذي ينزف منه...

فجأة طار جسم عدنان من بداية الغرفة إلى أقصى الغرفة مصطدما بجدار الغرفة بقوة... من شدة الصدمة شعر أنه شل تمامًا...

رفع نظره للأعلى فوجد أمامه فاتن ولكن جسمها أشبه بالدخان، جسمها الضخم يتطاير وشعرها البني الذهبي الدخاني يتطاير... عيونها الفيروزية تحولت إلى حمراء... ابتسامتها الدائمة تحولت لغضب... في نفس اللحظة سمع صرخة منها...

معروف أن المرأة تتحمل أي أذى في نفسها... ولكن لا يمكن أن تتحمل أن يلحق الأذى في أي من أولادها مهما كان...

صرخت به فاتن بغضب وبحرقه لما فعله بابنتها:

-لمَ فعلت ذلك... لمَ؟

خرجت (لمَ) بصرخة كانت كفيلة أن تفقده السمع ويفقد الوعي تمامًا من هول المشهد...

من ثم ظهر ميمون على هيئة سلطان وقال لفاتن برفق:

-هل تسمحي لي أن انتقم ممن ظلمك الآن...؟

ردت عليه فاتن وهي تمسح بيدها على شعر ابنتها حياة... التي بسببها ومن أجلها فقط قررت أن تضحي بحياتها من أجل أن تعيش "حياة" حياة صحيحة... أردفت فاتن بوهن:

-انتقم من عدنان وكفى...

أخذت فاتن جسد ابنتها حياة ومن ثم وضعتها في غرفتها وعلى سريرها... وقام ميمون بالمسح على جسدها وعلى رأسها وقال لفاتن بهدوء:

-عندما تستيقظ لن تتذكر شيء وكأن لم يصبها أيّ مكروه... لقد رَجعْت بالزمن لها قبل الموقف... لا تقلقِ على بنتك يا فاتن... لا تقلقِ على أحد من أولادك وأنتِ معي يا فاتن يا حبيبتي.

ومن ثم عادا إلى غرفة فاتن من جديد ومن ثم نظر لها ميمون بحنو وقال لها بلين:

-يمكنني أن أفعل شيء الآن يجعلك سعيدة يا فاتن يا حبيبتي.

-أفعل ما تشاء... فها أنا صرت لك.

-سوف أجعلك تشعرين أن قرارك ذا أفضل قرار اتخذتِه في حياتك.

ومن ثم هم ميمون اتجاه سرير فهد الذي بجوار فاتن... وقام بالمسح على جسد ورأس فهد.

حينها سمعت فاتن همهمة مفهومة من ابنها... أمسكت بيده محاولة أن تعلمه المشي بالفعل صار قادر على النطق والحركة.

بذلك اطمأنت فاتن على ابنتها حياة وصغيرها فهد.

حينها بدأت فاتن تنظر لميمون نظرة امتنان بعينيها التي قد امتلأت بالدموع من شدة سعادتها.

ومن ثم تَلَبْسَ ميمون جسد عدنان ومن ثم بإشارة واحدة عادت الغرفة كما كانت قبل الحادثة... وتمثل كذلك بجسد فاتن النائمة على السرير كذلك.

تصنع أن عدنان دخل غرفة فاتن ومعه كتاب قديم... كتاب عن السحر... ومن ثم بدأ برسم نجمة خماسية على أرضية الغرفة بدم غراب ميت... ومن ثم أشعل شموع وخفت إضاءة الغرفة وها هو بدأ يردد تعويذات ومن ثم التفت إلى المرآة وقام بضرب يده بها كي تكسر وكي يجرح يده.

ومن ثم أخذ دمه وصار يرسم به على النجمة من جديد... وها هو صوته يعلُ بتعويذات جديدة... تعويذات وكأنه يتوسل لأحدهم... ومن ثم بدأ ضوء الشموع في التحرك إلى أن انطفأ تمامًا ومن ثم اهتزت الغرفة... ومن شدة الرجفة سقط عدنان أرضًا.

ظهر أمام عدنان كائن ضخم جدًّا لا يظهر له ملامح... هو عبارة عن دخان أسود كئيب هائم له كيان شبه أدمي... بمجرد أن نظر له عدنان خر له ساجدًا.

ومن ثم التفت الكيان إلى فاتن التي لا ترى ولا تسطيع أن تحرك ساكنًا ولا أن تهرب مما تسمعه.

فجاءة رأى عدنان فاتن ترتفع في الهواء هائمة ومن ثم تلاشى جسدها تمامًا... ولم يبقى منها سوى ملابسها.

هنا قهقه عدنان ضاحكًا ضحكة شر... ضحكة انتصار... ولكن فجأة وهو يقهقه ويرفع رأسه من شدة التفاخر بذاته لأنه استحضر أحد الجان وقام بمعاهدة الدم معه وتمكن من التخلص من فاتن تمامًا... في لحظة وهو فاتح فاه ضاحكًا تسرب إليه الكيان الشيطاني.

بل وغيّر تصرفات عدنان تمامًا... وعين عدنان تحولت... صارت عين عدنان سوداء تمامًا... ها هو ينزل أرضًا يلتقط قطعة المرآة التي تشبه السكين.

ها هو عدنان يتقدم فاتح باب الغرفة... قاصدًا غرفة أمه بلقيس.

ها هو بمجرد أن رآها قام برفعها في الهواء... أمه تصرخ وتقول له باكية:

-يا عدنان... انزلني يا عدنان... أنا أمك يا ولدي.

وها هي تستمر في الحركة برجلها ولكن بلا جدوى.

ومن ثم هام عدنان في الهواء أمامها مرتفعًا عن الأرض وأمسك قطعة المرآة وقام بذبح نفسه أمام عينها... ومن ثم سقط أرضًا.

حينها صرخت بلقيس صرخة هزت البيت من حرقة قلبها على ابنها الذي فقدته أمام عينها.

ولكن حزنها لم يدم طويلًا لأن الكيان خرج من جسد عدنان وتلبس جسدها... وتحولت عينها بالكامل وصارت سوداء تمامًا... وها هي بحركة من يدها جذبت قطعة المرآة ذاتها وقامت بذبح نفسها... وخر جسدها ساقطًا بجوار ابنها.

★★★

كان ميمون يرغب في قتل الطفلة الصغيرة ابنة بلقيس... ولكن فاتن منعته وقالت له: "ليس لها ذنب، اتركها وشأنها".

★★★

في قصر سلطان كل الغرف مراقبة بكاميرات للأمان فبلمسة واحدة صارت تسجيلات الكاميرا لا تحمل بداخلها سوى ما حدث الآن فقط منذ بدأ ميمون بتلبس عدنان... ولكن تم إلغاء كل ما حدث قبلها.

★★★

رجع كل من سلطان والمهدي إلى البيت... صعد المهدي كالعادة إلى أمه كي يحكي لها ما حدث معه... وصعد سلطان غرفة بلقيس كي يغير ملابسه ويرتاح قليلًا.

ولكن بمجرد أن أوشك سلطان أن يفتح غرفته سمع صوت المهدي صارخًا... وبمجرد أن أتى إليه أبيه وجد أن الغرفة غير مرتبة وأغراضها تغيرت أماكنها وكأن حدث زلزال... استغرب من الدم والنجمة الخماسية وكتاب السحر الملقى على الأرض والزجاج المرمي على الأرضية... والأهم أن فاتن غير موجودة ولم يتبقى منها سوى ملابسها فقط.

قطع تفكيرهما في تلك المصيبة صوت فهد الذي يتمسك في قضبان سريره واقفًا ناظرًا لهما.

هم سلطان مسرعًا وأخذه في حضنه غير مصدقًا نفسه... ابنه الجميل فهد يتحرك ويهمهم.

حاول سلطان أن يهدأ من روع ابنه المهدي وخرجا من الغرفة يبحثان عن فاتن.

فتحا الباب على حياة، كانت نائمة وكأن لم يحدث شيء في الغرفة التي بجوارها.

ولكن بمجرد أن شعرت بأن هناك أحد ما في غرفتها استيقظت وسألتهما بصوت ناعس:

-متى عدتما...!؟ لقد اشتقت لكما كثيرًا.

ومن ثم همت معانقةً أبيها.

ولكنها استغربت أن أباها شارد الذهن وتركها هو والمهدي وخرجا من الغرفة بعد أن أعطاها أباها فهد كي تحمله.

وكي تأخذ دورها في أن تتفاجأ بتحسن حاله.

هم سلطان إلى غرفة بلقيس ولكن بمجرد أن دخل خر واقعًا على ركبته... نظر المهدي إلى المشهد الذي جعله يفقد الوعي مباشرةً.

هم سلطان بأخذ ابنته كوثر وأخرجها من تلك الغرفة.

ومن ثم حمل المهدي ووضعه في سريره في غرفته وحاول أن يجعله يفيق من أغمائه.

وفي ذلك الوقت اتصل بالشرطة... وبالفعل رفعت الشرطة البصمات وقامت بالتحقيق مع الجميع إلى أن وصلوا إلى تسجيلات الكاميرات.

وهنا قالت الشرطة إن عدنان استعان بالشيطان كي يتخلص من ضرة أمه بطريقة أمنة... أيّ أنه لم يرغب بالقتل... بينما استعان بالشيطان كي لا تجد الشرطة شيء يدينه.

ولكن كما تعلم الشيطان لا يؤتمن له... وانقلب السحر على الساحر... لقد تمكن منه الشيطان وجعله يقتل نفسه ويقتل أمه... لا ندري لمَ لم يقتل كل من في البيت...؟

علميًا هذا شيء لا يصدق... ولكن هذا ما سجلته الكاميرات... ولولا تلك التسجيلات لما كنا وصلنا لنتيجة أبدًا.

★★★

أخذ سلطان أولاده ورجع إلى بيته القديم... وسرعان مع فلق النهار ذاع الخبر... وسمى قصر سلطان بقصر الأشباح.

★★★

في صباح اليوم التالي جاءوا معارف سلطان جميعهم كي يواسونه على ما حدث له... وكان من ضمن الحاضرين أفنان الصديقة المقربة لفاتن والتي ربت حياة والمهدي.

وطلبت من سلطان أن تأخذ الأولاد معها بيتها كي تهتم بهم في تلك الظروف.

وكذلك كان من ضمن الحاضرين منال وزوجها عدنان وفي نهاية اليوم طلبت منال من سلطان أن تأخذ كوثر كي تهتم بها.

وبالفعل وافق سلطان... سلطان لم يعد به حيل أن يتحمل مسؤولية أحد... إن الصدمة التي مر بها قوية جدًّا.

★★★

ظل سلطان في حالة اكتئاب دامت ثلاثة شهور... يزوره أولاده يوميًا ولكن الصدمة أثرت على نفسيته كثيرًا.

كانوا أولاده في كل مرة يزورونه، يكونوا عندهم أمل أن يكون في أفضل حال كي يستمدون منه القوة... لأنهم ضعفاء على تحمل تلك الصدمة.

★★★

بعد أن انتهت فترة اكتئاب سلطان شكر سلطان أفنان على وقفته بجواره لأنها هي التي كانت مسؤوله عنه وعن أولاده وعن اطعامه وتنظيف بيته... لأنه لم يكن يتحمل أن يرى الخدم في بيته.

شكرها على مجهودها واهتمامها به وبأولاده، ولكنها قالت:

-إن ما أفعله ليس مجهود أبدًا... إنهم أولادي وأنت زوج أختي الغالية.

★★★

بعد سنة...

فاتن... يا حبيبتي... يا جميلتي... ما زلتِ جميلة كما أنتِ... اشتقت إليكِ يا حبيبتي.

ها هي فاتن الجميلة ذات الشعر البني الذهبي الطويل... قادمة إليه وهي ترتدي فستان أبيض فضفاض... ولكن بجانبها شخص أشبه ب... سلطان.

نظرت له فاتن وأردفت:

-اشتقت لكما جميعًا... ولكني مطمئنة عليكم، وإن حياتكم ستكون أفضل... ولكن لا تقلقوا... أنا معكم وبجواركم.. وأعلم كل ما تمرون به...

-ولكن من ذا الذي بجوارك... إنه أنا...! هل هذا معناه أني سأموت وتأخذيني لكِ...! أنا موافق... خذي روحي معكِ الآن يا فاتن.

-لا يا سلطان... بل لك العمر الطويل... إنه زوجي... قرينك صار زوجي الأبدي يا سلطان.

-لا أفهم شيء يا فاتن... ماذا تقولين؟

-لا يوجد داعٍ للشرح يا سلطان... ولكن جئت أوصيك بأن تتزوج أفنان... لن تجد أفضل منها.

-ولكني لا أرغب في الزواج بغيرك.

-إنها نعم شريكة الحياة ونعم السند لك... لن تجد خير منها لك ولأولادك.

-ولكن...

★★★

استيقظ سلطان وهو يشعر بالسعادة لأنه رأى فاتن ولكن سرعان ما تغيرت سعادته إلى استغراب عندما تذكر أن عليه أن يتزوج أفنان...

★★★

بعد الإفطار طلب من المهدي وحياة أن يأتيا كي يتكلم معهما.

وبالفعل حكى لهما الحلم.

هللت حياة وقالت: "موافقة أكيد".

والمهدي لم يجد داعٍ للرفض، ولكن بداخله إحساس إنه لن يجد امرأة تحل محل أمه في قلبه مهما كان.

هو يحب أفنان ولكن ليس مثل ما يحب أمه الذي ليس لها مثيل في نظره.

★★★

وبالفعل أفنان لم تفكر أن ترفض قط... ولكنها وافقت بحجة أن هذه وصية فاتن وهي لا ترفض لفاتن طلب...

شعرت أفنان أن عوض الله جاء لها بعد كل هذه السنين.

وسلطان لم يكن يكرهها بل بالعكس صار يحب قلبها الطيب.

★★★

قرر سلطان أن يترك الإمارات... لأن الناس لم يرحموه خلال ذلك العام بالكلام عنه وعن بيته وأولاده.

قرر أن يستقر في الاسكندرية حيث مسقط رأس فاتن.

وأسس "بزنس" خاص به في مصر... أسس مجمع شاليهات على البحر مباشرة وكان له به فيلا كبيرة عاش بها هو وأسرته إلا ابنته كوثر لأنها أخذتها منال كي تقوم بتربيتها لأنها لا تنجب... ولم يحب سلطان أن يرفض لأخت فاتن طلب أبدًا.

★★★

كان المهدي يقضي أغلب يومه على البحر أو في قراءة الكتب.

كان فقده لأمه ترك به فراغ كبير.

تعب في طفولته من التنمر من أصدقائه بالتنمر عليه... والتعامل معه بعنصرية لأنه ابن المصرية.

عاش طفولة صعبة من دون أبوه... عاش الكثير من عمره يشعر أنه غير أهل لكي يعترف به أبيه حتى.

ومن ثم تعب من معاملة عدنان له ومن ثم مرض أمه وفقده إياها.

★★★

(١٣)

ذاك المهدي هو أنا يا ريحانة... بعد كل ذلك... بعد بعدي عن الناس أجمع لأني لا أثق في أحد... وعندما سلمتكِ قلبي... كسرتِني وتركتِني يا ريحانة.

خافت ريحانة من ملامح الغضب التي رسمت على وجه المهدي ومن ثم قالت له:

-ولكني لم...

لم تكمل ريحانة كلامها لأن المهدي أسقطها من على السرير بعنف ومن ثم رفعها من شعرها وبدأ بضرب رأسها في الجدار بعنف، تصرخ ريحانة من شدة الألم ومن ثم قال لها هامسًا في أذنها:

-سوف أنتقم منكِ يا ريحانة و...

لم يكمل كلامه لأنه سمع صوت من يحاول فتح الباب ولكن ريحانة كانت قد أغلقته بالمفتاح وتركت المفتاح على المكتب الخاص بها... ولكن سرعان ما سمع صوت المفتاح يلج في قفل الباب.

★★★

دخلت فيروز الغرفة، رأت ابنتها ملقاة أرضًا... والدم على الجدار أثر ارتطام رأسها به.

تحاول أن تجعل بنتها تفيق ولكن بلا جدوى.

لأن ريحانة فقدت الوعي من أثر الضرب.

اتصلت فيروز بالإسعاف وبالفعل سرعان ما انتقلت ريحانة إلى المشفى.

★★★

-إن حالتها تسوء أكثر، يجب أن يتم حجزها في أقرب فرصة كي لا يتفاقم مرضها و...

★★★

ها هي ريحانة تفتح عينها... تشعر بدوار رهيب وألم فظيع في رأسها... نظرت حولها... رأت أمها تتكلم في الهاتف مع أحد ما... ولكنها لم تفهم ما تقصده أمها قط...

سرعان ما انتبهت لها أمها فالتفتت لها مسرعة مقبلة يدها ومن ثم أردفت بلهفة وعينها قد امتلأت بالدموع:

-حمدً لله على سلامتك يا حبيبتي...

نظرت لها ريحانة بشرود واستغراب ومن ثم قالت متسائلة:

-ماذا حدث يا أمي...؟ وكيف أتيت إلى هنا...؟

-سمعتك تصرخين يا حبيبتي... وعندما وصلت لكِ كنتِ فاقدة الوعي... ورأسك ينزف... كيف حدث ذلك يا صغيرتي...؟

أبعدت ريحانة نظرها عن أمها... لأنها لا ترغب أن تعرف أمها ما حدث معها ومن ثم أردفت:

-لا أدري يا أمي ما حدث... يمكن أنا أمشي أثناء نومي...

ومن ثم رسمت ضحكة ساخرة مغيرة مجرى الموضوع.

ولكن أمها أخذت الموضوع على محمل الجد وحولت مزحتها لجد وأردفت:

-تصدقي يا ريحانة... يمكن أن يكون ظنك صحيح... بأنك تسيرين ليلًا... ما رأيك تتابعي مع الطبيبة التي أعرفها...؟

-أتظنين أني مجنونة يا أمي...؟

-لا يا حبيبتي لم أقصد ذلك... اهدئي يا عزيزتي... اهدئي... كل ما في الأمر أني أحتاج أن أطمئن عليكِ و...

-قلت لكِ مرارًا وتكرارًا لن أذهب لأولئك المجانين الذين يطلقون على أنفسهم أطباء نفسيين.

-حسنًا، اهدئي يا ريحانة... ما رأيك أن بمجرد أن نخرج من المشفى أن نسافر إلى "ذهب" نغير جو...

-حسنًا يا أمي... موافقة... إن نفسيتي تحتاج البحر كثيرًا.

★★★

بمجرد أن خرجت ريحانة من المشفى ووصلت إلى بيتها كي تعد حقيبة السفر... أخذت هاتفها وحاولت أن تتصل بالمهدي... ولكن لا يوجد أي رد.

★★★

طوال الطريق ريحانة شاردة الذهن تتذكر ما حدث بالأمس، لا تستطيع أن تعرف إن كان ما حدث حقيقي وبالفعل المهدي جاءها البيت، أم كل ما حدث كان مجرد حلم...! ولكن إذا كان حلم كيف جرح رأسها... هل يمكن أنها تسير بالفعل أثناء نومها...؟ أم إن كل ما حدث كان من خلال الإسقاط النجمي وروحها قابلت روح المهدي وروحه ترغب في الانتقام منها...!

صارت مشتتة...

تكلمها أمها وتنادي عليها ولكنها سارحة في تفكيرها... لا تنصت لما يحدث حولها...

★★★

وصلا قبيل المغرب، استأذنت ريحانة أمها كي تذهب للشاطئ.

جلست ريحانة قليلًا أمام البحر سارحة في جمال البحر الذي تحكي له ما يجول في خاطرها... ولكن سرعان ما سمعت صوت هاتفها يرن... فقطع شرودها اتصال من المهدي... لم تصدق نفسها... همت مسرعة كي ترد على

الاتصال ولكن قُطع الاتصال سريعًا... حاولت أن تعيد الاتصال ولكن الهاتف صار مغلق...

توترت ريحانة فقررت أن تزيل العباءة الفضفاضة البيضاء الشفافة ونزلت البحر ب "المايوه" ملابس السباحة...

تحب البحر في ذلك الوقت كثيرًا لأن القليل من الناس يقبلون في ذلك الوقت.

وها هي تطفُ على سطح الماء سارحة في السماء التي اختلطت بدماء الغروب التي تشبه كثيرًا دمائها التي نزفتها جروحها العديدة التي مرت بها في حياتها.

ولكن سرعان ما قطع شرودها صوت المهدي الذي يطفُ على الماء بجوارها... ناظرًا للسماء كذلك... ولكن سرعان ما التفتت إلي الصوت ودهشت عندما رأت المهدي... عدلت من وضعها وصارت تعوم واقفة في الماء ولكن المهدي ظل كما هو... ينظر للسماء ويتكلم بمنتهي اللامبالاة وعلى وجهه ابتسامة ساذجة لا تدري ريحانة ما سببها.

سألته ريحانة مستغربة:

-كيف... كيف أتيت إلى هنا...؟

نظر لها المهدي ببرود وأجاب ضاحكًا ساخرًا:

-جئت بسيارتي... ما هذا السؤال الغبي...!

-ولكن كيف عرفت أني هنا يا مهدي...؟ أنا لم أقل لك... حاولت أن أصل إليك، ولكن هاتفك كان مغلق...

-ما هذا السؤال يا ريحانة في أي عصر أنتِ...! لقد اتبعت موقعك من هاتفكِ...

أمسكت ريحانة بيده... مما جعل مهدي يسلط نظره عليها وهو يطفُ على الماء... نظرت له ريحانة بتوسل متسائلة:

-كنت معي بالأمس يا مهدي أليس كذلك...؟

-أكيد كنت معكِ يا ريحانة وسأظل معكِ إلى الأبد... وقد جئت اليوم كي أكمل ما لم تنته بالأمس.

رسمت ملامح الذعر على وجه ريحانة من طريقة كلام المهدي... الذي سرعان ما غير وضعيته ووقف عائمًا في الماء ومن ثم أمسك شعر ريحانة بقوة وقام بإغراقها... تحاول ريحانة جاهدة أن تخلص نفسها من قبضته... وبالفعل ها هي تستطع أن ترفع رأسها وتأخذ نفسها وتسأله وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة:

-لمَ تفعل بي هذا يا مهدي ل...؟

لم تكمل كلامها... لأن المهدي قام بإغراقها من جديد في الماء بلا رحمة... تحاول ريحانة كي تحرر نفسها من قبضته وبالفعل ها هي تمكنت من ذلك ومن ثم قال لها المهدي:

-أنتِ لم تحبيني يا ريحانة لذلك هنت عليكِ فتركتِني... بينما أنا كنت صادق في حبي لكِ وبسبب تركك لي قررت أن أترك كل شيء... قررت أن أترك الحياة... لأنكِ كنتِ بالنسبة لي آخر أمل لي في الحياة... وباستغنائك عني حياتي بالفعل ليست حياة كي استمر بها... لذا انتحرت... ولكن روحي هائمة من دونك... وأريد أن تأت روحكِ معي...

نظر لها بلين وهو ممسك يدها... وأردف هامسًا:

-إن كنتِ تحبينني حقًا يا ريحانة فلتأتي معي ونعيش حبنا الأبدي سويًا.

نظرت له ريحانة نظرة ملأها الحزن والأسى وقالت له مصدومة:

-ماذا تقول يا مهدي...؟ أنت تمزح معي! أليس كذلك...؟ أنت لم تَمُت... ها أنت ذا معي... ألمسك... أشعر بك... الأموات ليس لهم أجساد مادية... كف عن مزاحك يا مهدي و...

قاطعها مهدي ومن ثم أردف:

-أنا لم أمت موت طبيعي... بل متت منتحرًا... لذا لدي قدرات فائقة لا تتوقعينها حتى، وها هي روحي ستظل هائمة في الدنيا حتى أحصل على ما أريد... وما أريده هو... أنتِ فقط.

تنظر له ريحانة باكية لا تصدق نفسها وهي تلمس ملامحه بلين وتقول:

-ولكن لا يمكنني أن أتِ معك يا مهدي... لا يمكن أن أنتحر... لا يمكنني أن أخسر الدنيا والآخرة...

يكفيني أني خسرت الدنيا بفراقك... استحالة أنتحر وأخسرك في الآخرة... بل سأظل حياتي كلها أدعو الله أن يغفر لك ذنب انتحارك وأن يجمعني بك في الجنة...

لا أريد أن أفقدك في الآخرة كذلك...

تغيرت ملامح المهدي... ونظرة اللطف واللين تحولت إلى غضب وإصرار ومن ثم قال صارخًا:

-إن لم تأتِ معي بإرادتك يا ريحانة سوف أخذكِ معي بالغصب...

ومن ثم أمسك رأسها بكامل قوته وحاول اغراقها... ولكن في هذه المرة لم تستطع ريحانة أن تحل قبضة المهدي عن شعرها...

ها هي ريحانة تحاول الصراخ ولكن صرختها مكتومة تحت الماء... ها هي تشعر أنها أوشكت على مفارقة الحياة... لقد فقدت القدرة على المقاومة أو الحركة...

آخر ما شعرت به أنها أحست أن أحد ما يرفع رأسها للأعلى... ولكنها لا تتذكر شيء...

★★★

ها هي تفتح عينها، ترى أمامها طبيب يحاول أن يسعفها وها هي تسمع صوت أمها الباكية هللت بمجرد أن رأت عيني ريحانة قد فتحت... ولكن ريحانة لا تفهم شيء... وسرعان ما نامت بمجرد افاقتها.

★★★

إن الحالة تزداد سوءًا، يجب أن تنقل إلى المصحة حالًا...

★★★

استيقظت ريحانة في صباح اليوم التالي... في الصباح استغربت كيف جاءت إلى الغرفة... ومن ثم بدأت تتذكر ما حدث لها بالأمس...

نادت ريحانة على أمها النائمة بجوارها... يبدو أنها نامت وهي تمسح على شعر ريحانة باكية كعادتها:

-أمي... فيروز استيقظي...

فتحت أمها عينها بلهفة ومن ثم قبلت رأس ريحانة ومن ثم أردفت:

-متى استيقظتِ يا جميلتي؟

-استيقظت الآن يا أمي... ولكن كيف أتيت إلى هنا...؟ لا أتذكر ما حدث... يتهيأ لي أنه كان هناك إسعاف وأنتِ تبكين و...

-نعم يا عزيزتي... بالأمس قد تعرضتِ للغرق... وكما تعلمي في ذلك الوقت لا يوجد أحد تقريبًا في الشاطئ... ولكن أنا جاءني تحذير على الجهاز الخاص بي... جاءني إشعار من سوارِك الخاص بكِ أن نبضك ليس على ما يرام... لذا جئت إليكِ مسرعة وأخذتكِ ومن ثم طلبت الإسعاف مباشرة وها أنتِ معي...

أرجوكِ ابقِ معي يا ريحانة... أنا لا أتحمل أن يصيبكِ شيئًا.

سرحت ريحانة وحاولت أن تتذكر ما فعله بها المهدي... وتتسأل هل ما يحدث معها هذا حقيقي أم لا...؟ هل يمكن أثناء نومها على الماء والتأمل في السماء أن تكون قامت بطقوس الإسقاط النجمي وروحها تقابلت مع روح المهدي من جديد... تقول ريحانة في قرارة نفسها:

-لا يوجد تفسير آخر... إن حبي للمهدي مختلف... أرواحنا متعلقة ببعض بشدة... لذا التواصل بيننا ما زال مستمرًا..

★★★

أغلب اليوم ريحانة سارحة والدموع تملأ عينها حزنًا على رحيل المهدي... عقلها مشتت، ماذا عليها أن تفعل... تشعر ريحانة من شدة حزنها أنها تريد أن تصرخ بكامل قوتها... تريد أن تبكي أمام الجميع... تريد أن تحزن على المهدي... ولكن أمها لا تدري عنه شيئًا لذا اكتفت بحزنها داخل نفسها... الحزن تسلل وران على قلبها... تشعر أن قلبها ينغص عليها ألمًا على فراق المهدي... حتى عقلها يؤلمها من كثرة التفكير في رفض فكرة موت المهدي... عقلها لا يريد أن يصدق أبدًا.

★★★

قررت ريحانة أن تذهب للتسلق... هنالك تلة تنوي تسلقها... وفي أسفل ذلك الارتفاع يوجد عين ماء كبيرة... بعد أن تتأمل قليلًا جمال الطبيعة من علٍ... سوف تبدأ في السباحة.

ولكن أمها لم تفارقها قط وجاءت معها.. وصارتا يتأملان سويًا... إلى أن جاء وقت الغداء ووصل فتى التوصيل ولكن اضطرت فيروز أن تعود إلى البيت لأنها نست نقودها بسبب لهفتها للخروج مسرعة خلف ريحانة...

قالت فيروز وهي تهم مسرعة بالرحيل:

-ريحانة... حبيبتي... لن أتأخر يا عزيزتي... لا تتحركِ من مكانك.

-لا تقلقِ يا أمي أنا لست طفلة كي تخافِ عليّ هكذا...

ولكن تلك التمتمة لم تسمعها أمها أكيد.

★★★

ها هي ريحانة سارحة في جمال الطبيعة ولكن عقلها غير مشغول بالطبيعة أبدًا بل سارحة في المهدي.

تعبت ريحانة من كثرة الجلوس على حافة التل لذا قررت أن تمدد ظهرها وتتأمل السماء إلى حين مجيء أمها.

لم يمر الكثير من الوقت وسمعت صوت هامس:

-إن الطبيعة هنا خلابة وجميلة مثلكِ تمامًا يا ريحانة... يا من أتيتِ لي من الجنة يا قطعة من الجنة... كي تجعلي تلك الحياة القاسية جنة.

التفتت ريحانة وجدت المهدي نائم بجوارها وينظر لها بحب ولكن سرعان ما تحولت نظرته إلى نظرة انتقام ومن ثم أردف:

-هذا ما ظننته منكِ يا ريحانة... ظننت أنكِ سوف تجعلين حياتي جنة لأنكِ ملاك... ولكن اكتشفت أنكِ مثلكِ مثل غيركِ شيطانة وقد حولتِ حياتي جحيم.

قامت ريحانة من مكانها خائفة منه... فقام المهدي مسرعًا كذلك... ومن ثم سحبها من يدها بقوة إلى الهاوية ومن ثم نظر لها بحب يتناقض مع سحبه لها بقوة ومن ثم أردف:

-هيا تعالِي معي... سوف نسقط من هنا وسوف أجعلك تنتحري بنفس الطريقة التي انتحرت بها...

تبكي ريحانة وهي تحاول أن تحل قبضته عن يدها وتقول له متوسلة:

-أرجوك اتركني يا مهدي... لا أريد أن أنتحر...

ها هو يسحبها أكثر ناحية الهاوية وينظر لها بحنو ويقول:

-لن أتركِ يا ريحانة... أنا أريدكِ معي... أريدكِ أن تتخلِ عن الجسد المادي الضعيف الهزيل... وتعالِي معي نهيم سويًا بأرواحنا ولا يقيدنا شيء ونعيش حبنا الأبدي.

تبكي له ريحانة تتوسل له وقد أوشكت على الوقوف على حافة الارتفاع... تقول له راجية:

-دعني يا مهدي... لا أريد أن أموت... دعني أعيش مع طيفك... صدقني وأوعدك أنا لك أنت فقط... لن أحب غيرك... سوف أظل مخلصة لك إلى أن يكتب الله أن أتِ إليك.

ترك المهدي يدها ومن ثم مشى خطوات تاركًا إياها وقال وهو يهم بالرحيل:

-أنتِ تكذبين يا ريحانة... دائمًا تكذبين...

في المرة السابقة تركتكِ تفعلي ما تشائين وتركتِني وصدمتِني...

فجأة تحولت نظرة المهدي إلى نظرة شر وأردف وهو يمشي تجاهها ببطء:

-ولكن في هذه المرة لن أتركك كي تتركيني كعادتك...

بل سوف تكوني لي وتأتي معي والآن...

ومن ثم هم مسرعًا وعانقها بقوة وسقطا سويًا من ذاك الارتفاع.

ارتطمت اجسادهما المتعانقة في الماء.

★★★

(١٤)

فتحت ريحانة عينها بوهن... ها هي ترى كل ما حولها قد اكتسب اللون الأبيض... وها هي أمها تقف مع امرأة أوشكت على الأربعين من العمر وسيمة ذات شعر أسود مموج فاحم مع بشرتها البيضاء، شعرها مثل الإطار الذى يبرز ملامح وجهها الذي يشبه اللوحة الفنية.

نادت ريحانة بوهن وهي تشعر بالدوار:

-ماذا حدث... كيف جئت إلى هنا يا أمي...؟

همت تجاهها أمها تاركة وراءها الطبيبة التي كانت معها... همت مسرعة على صوت ابنتها... وهمت بمسح شعرها مهدئة إياها ومن ثم أردفت هامسة بلين:

-عندما عدت إليكِ يا جميلتي لم أجدكِ... ظننت إنكِ نزلتِ للسباحة... أنا أعرف إنك عنيدة جدًّا... ولكن نظرت إليكِ من علٍ لم أجد لكِ أثر في الماء...

نزلت أبلغت عن فقدكِ... بحثوا حول آخر مكان كنا به على البر وفي الماء... إلى أن وجدوكِ غارقة في القاع...

وتم انقاذك ولله الحمد.

-لا أدري يا أمي... لا أدري لمَ يحدث معي ذلك...؟ ولكن بما أني بخير الآن و...

ومن ثم زاد شعورها بالتعب والوهن ولكنها تحاملت على نفسها وأردفت:

-بما أني بخير يا أمي... دعيني أخرج من هنا... أنا لم آتِ إلى هنا كي أقضِ وقتي في المشفى...

نظرت لها أمها نظرة تردد ولم ترد عليها ومن ثم نظرت الطبيبة التي تهم مقتربة لهما ومن ثم أردفت:

-أهلًا يا ريحانة... أنا الدكتورة سلوى عبدالحفيظ.
-تشرفت بحضرتك... ولكن هل تسمحي لي بالخروج.
نظرت الطبيبة لفيروز فخرجت فيروز من الغرفة.
تنظر لها ريحانة باستغراب وتسألها وهي تهم بالخروج تاركة إياها خلف ظهرها:
-إلى أين أنتِ ذاهبة يا أمي...؟ لمَ تتركيني...؟
امتلأت عيني فيروز بالدموع وهمت خارجةً وأغلقت الباب وراءها..
ومن ثم نظرت الطبيبة سلوى إلى ريحانة وبرفق عرفتها على نفسها من جديد:
-أنا الدكتورة سلوى عبد الحفيظ... دكتورة نفسية و...
تعصبت ريحانة وأردفت غاضبة:
-أنا لست مجنونة... لا أريد مستشفيات ولا أطباء مجانين...
بدأت الطبيبة تهدأ من روع ريحانة ومن ثم أردفت:
-أنتِ لستِ مجنونة ولا الأطباء النفسيين مجانين يا ريحانة يا حبيبتي.
-أنا لست حبيبتك... أنتِ لا تعرفيني...
-بل أعرفكِ جيدًا منذ سنوات كثيرة ولكن هذا ليس موضوعنا... دعينا نتكلم سويًا... وصدقيني هذا الكلام لن يخرج من بيننا أبدًا.
-وما الذي يدفعني أن أحكي لكِ... ماذا سوف استفاد...؟
-يجب أن تحكي لي من أجل أن أشخص حالتك بشكل صحيح وأعطيكِ العلاج المناسب.
غضبت ريحانة أكثر وأردفت:
-أنا بخير، أنا لا أحتاج لعلاج... دعيني أرحل من هنا...
-حسنًا... اهدئي يا ريحانة... ولكن دعيني أريكِ فيديو كي تقولي بنفسكِ هل تحتاجين إلى علاج أم لا...؟

ها هي الطبيبة قامت بتشغيل الفيديو ولكن بسرعة مضاعفة... الفيديو تظهر به ريحانة... ها هي تقوم من سريرها وتقف عند النافذة... ومن ثم تقف عند باب شرفتها ومن ثم ترتدي الشال كي تخرج لرؤية القمر من الشرفة... ها هي تتحدث مع ذاتها... ومن ثم تغلق الباب بالمفتاح.

ها هي تجلس على السرير وتمسك بالغطاء على الهواء وكأن أمامها أحد ما... ولكن استمر وضعها على السرير من دون حركة... ظلت جالسة لمدة طويلة ومن ثم همت واقفة... ومن ثم ظهرت على وجهها ملامح الاستغراب ومن ثم الخوف... ومن ثم بدأت تمسك شعرها وتقوم بضرب رأسها في الجدار...

ومن ثم تدخل فيروز بعد أن فتحت الباب بالمفتاح الخاص بها و... توترت ريحانة وقالت:

-كيف حصلتِ على هذا الفيديو...!

-أنا طلبت من فيروز أن تفعل ذلك...

-ولكن بأي حق تسمحا لنفسكما أن تتجسسا علي...

-إن الصدمة التي تعرضتِ إليها منذ سبعة أشهر كان يجب من وقتها أن تتابعي معي كي لا يتفاقم الأمر ولكنك رفضتي... لذا طلبت من والدتك أن تتابعك كي نقيم حالتك...

-أنا بخير... أنا على ما يرام... لا أحتاج إلى أحد... لا أحتاج لعلاج... دعيني أرحل من هنا...

-اهدئي يا ريحانة... وبكل هدوء... أريدكِ أن تجيبيني... هل ترين أن ما رأيته في الفيديو هذا شيء طبيعي...؟

-نعم طبيعي أنتما لا تعلمان ما أعلمه...

-وهل يمكنك أن تقولي لي ما لا أعلمه كي أفهم أفكارك أكثر... وصدقيني كل كلمة تقولينها لمصلحتك ولن يعرفها أحد مهما كان.

هدأت ريحانة وتنفست الصعداء ومن ثم استسلمت لعيني الطبيبة سلوى الآسرة ومن ثم قالت هامسة وهي تنظر للأسفل:

-إن ما سوف أقوله لن تصدقيه يا دكتورة.

-لا... بالعكس أنا هنا كي أسمع لكِ وكفى... يمكن أن أطرح سؤال من حين لآخر... ولكن كل ما أرغب به هو الاستماع لكِ يا عزيزتي...

-أنا كنت أحب شاب اسمه المهدي ولكن حدث بيننا مشكلة فتركته... يومها كنت أرغب أن أراه بأي طريقة كي أعتذر عن ما صدر مني... وجربت طريقة التخاطر ومن ثم الإسقاط النجمي... ويومها قابلت روحه وصار يحكي معي ومن ثم صرت في زمن غير الزمن وعشت أحداث على مدار سنين كثيرة... عشت معه مغامرة لا يمكن أن يصدقها أحد... ولكن في النهاية هجم علي ومن ثم لا أتذكر شيء.

-يعني أنتِ تظني أن ما حدث حقيقي بناء على فكرة الإسقاط النجمي فتمكنتِ من مقابلة روحه...!

-صحيح يا دكتورة... لذلك أنتِ لا ترين المهدي الذي كان يتكلم معي... لأنه مجرد روح...

-حسنًا يا ريحانة، ولكنكِ تعلمي جيدًا أن الإسقاط النجمي يعتمد على خروج الجسد الأثيري من الجسد المادي... أي الذي سوف ينتقل ويقابل الأرواح الأخرى هي روحك فقط وسيظل جسدك المادي ممدد على السرير في حالة استرخاء... ولكنكِ كما ترين في الفيديو أنتِ التي كنتِ تتحركين ولا يوجد أي جسد مادي ممد على السرير.

ذهلت ريحانة مما تسمع ومن ثم سألت مستغربة:

-ولكن أقسم لكِ أن ما حدث كان حقيقي... لا أستطيع أن أجزم أنه عن طريق الإسقاط النجمي... يمكن ما حدث معي يسمى أمر خارق آخر... إن حبنا ليس له مثيل يا دكتورة.

تدرين يا دكتورة أنا كنت أظن يومها أن الذي معي هو المهدي ليس روحه فقط...

-أنتِ مميزة يا ريحانة في كل شيء... وأنا أتفهم ما تقولينه جيدًا... وسوف أدعكِ ترتاحين الآن وسوف آتِ إليكِ في الغد لكي نكمل حديثنا يا صديقتي.

★★★

خرجت الدكتورة سلوى وطلبت من فيروز أن تعود لبيتها كي ترتاح وسمحت لها بزيارة قصيرة كل يوم وطمأنتها إن هناك ممرضة سوف تظل مع ريحانة لا تتركها أبدًا وسوف تعطيها الأدوية المناسبة في الأوقات المحددة.

★★★

في المساء الممرضة شعرت بالتعب وعندما رأت أن ريحانة نائمة قررت أن تأخذ غفوة...

استيقظت ريحانة وشعرت بحاجة الذهاب للحمام... وبالفعل قامت ودخلت الحمام الموجود بداخل الجناح الذي تقيم به في المشفى... بمجرد أن دخلت شعرت ريحانة أنها لا ترى بوضوح صورتها في المرآة... لذا قررت أن تفتح صنبور المياه وتغسل وجهها...

بعد أن غسلت وجهها تمكنت من رؤية وجهها جيدًا... ولكن الصورة المنعكسة في المرآة لم تكن هي فقط... بل كان يقف خلفها المهدي...

يقف مبتسمًا لها...

هي خائفة منه لا ترى أين تذهب... ولا تستطيع أن تصرخ كي ينقذها أحد لأن الفيديو أثبت أنه غير موجود.

لن يصدقها أحد... بل سوف يصفونها بالجنون... ولكنها تعلم جيدًا أن ما تمر به حقيقي...

لا تدري كيف تهرب حتى لأن المهدي يقف عند الباب.

ها هي ريحانة ممسكة بالحوض وتنظر للمهدي في المرآة نظرة توسل وخوف وتقول في قرارة نفسها:

-أرجوك لا تؤذني يا مهدي...

ولكنه ها هو يقترب منها أكثر وأكثر بهدوء تام... إلى أن عانقها من الخلف وهو ينظر إلى المرآة معها ويقول لها هامسًا في أذنها:

-تعالِي... تعالِي معي يا ريحانة...

وها هي دموعها الدافئة تسقط من عينها متوسلة له متمتمة خائفة:

-أرجوك لا تؤذني يا مهدي... أنا أحبك.

لف ذراعه حول وسطها النحيل وباليد الأخرى قام بوضع سدادة الحوض وشغل صنبور المياه.

ريحانة تبكي بحرقة وتحاول أن تتحرر من قبضته القوية حول جسمها ولكن بلا جدوى... ها هو ينظر لها مبتسمًا ومسح بيده الأخرى على شعرها وهو يهمس لها:

-لم أؤذيكِ ولن أؤذيكِ أبدًا يا حبيبتي... بل كل ما في الأمر إنك سوف تأتي معي الآن...

ومع آخر كلمة وهو يمسح على شعرها برفق... قبض على شعرها بكل قوته وأمسك برأسها ووضعه في الحوض الذي امتلأ بالماء... تقاوم ريحانة ولكن لا تستطيع أن ترفع رأسها...

ولكن فجأة رفعت رأسها قبل أن تفقد وعيها...

همهمت مختنقة وهي مغلقة عينها:

-أرجوك يا مهدي لا...

لم تكمل كلامها بمجرد أن فتحت عينها لأنها رأت أمامها الممرضة نسرين...

شعرت ريحانة بالخجل منها بالإضافة إلى شعور الخوف الذي تملكها بسبب ما حدث لها الآن...

قامت الممرضة بتغيير ملابس ريحانة المبللة وأعطتها دواء مهدأ كي تنام...

نامت ريحانة وهي شاردة الذهن ودمعها على خدها حزنًا على حالها وعلى ما يجري لها... لا يوجد أحد يصدقها لأنها ترى ما لا يراه غيرها...

في الصباح أبلغت نسرين الدكتورة سلوى بما حدث ليلة أمس... وبختها الدكتورة لأنها قصرت في عملها... ولولا صوت الماء لما كانت استيقظت.

★★★

قررت الدكتورة سلوى أن يكون هناك ممرضتان في كل فترة لمتابعة ريحانة...

★★★

دخلت الدكتورة سلوى غرفة ريحانة وجلست على كرسي أمامها ولكن ريحانة كانت تنظر عكس اتجاهها وكأنها لا تريد أن تتكلم معها في شيء لأنها لن تشعر بما تشعر به.

قالت لها دكتورة سلوى برفق:

-انظري لي يا ريحانة يا عزيزتي... أنا هنا كي أساعدك وأسمع لكِ... وصدقيني أنا أصدقك... بل أنا أشعر بما تشعري به أيضًا.

-أنتِ تقولين ذلك كي تعرفي مني كل شيء كي تقولي عني مجنونة... أي شيء يحدث في الحياة وليس له أي أساس علمي تضعونه تحت بند الجنون.

-بالعكس يا عزيزتي... أنا لست من هذا النوع من الأطباء... أنا فقط أريد أن أعرف منكِ كل التفاصيل كي أعرف الأسباب وأجد حل...

التفتت لها ريحانة وقالت لها بحزن:

-إنه يريد أن يقتلني...

ومن ثم بكت...

-لن يستطيع أن يؤذيكِ أبدًا... أنا جعلت نسرين ومريم معكِ في النهار وفاطمة وحليمة في المساء...

أنا أعلم أنه لن يؤذيكِ أبدًا ما دام معكِ أحد...

كل ما عليكِ إذا رأيته لا تنظري له أبدًا ولا تستمعي لما يقول...

قالت ريحانة وهي منكسة الرأس:

-سوف أفعل ذلك...

ومن ثم أمسكت الدكتورة يد ريحانة برفق وقالت لها بهدوء:

-الآن اعتبريني صديقتك... وأحكي لي كل شيء عنكِ منذ الطفولة...

★★★

مر أسبوع على وجود ريحانة في المشفى... وخلال ذلك الأسبوع داومت ريحانة على الجلسات مع الدكتورة... وبالفعل صارحتها بكل شيء.

★★★

ها هي الدكتورة سلوى قد فهمت حالة ريحانة...

ها هي تقوم بتشغيل مسجل الجلسات الخاصة بريحانة كي تقوم بعمل تحليل شامل لحالتها.

إنها فتاة عانت من طفولة قاسية مبنية على المشاكل الأسرية ومن ثم انفصال أبيها عن أمها شكل لها فراغ كبير جدًّا وترك أثر وأذى نفسي

بداخلها... يشعرها بأنها غير مؤهلة بأن يكون لها أب مثل من حولها... سبب ذلك لها شعور وإحساس بالنقص والدونية...

وعيشها في مكان هادئ منعزل عن الناس... قد جعلها تعتاد على الوحدة وقلة الأصدقاء لذا تقضي أغلب وقتها في التأمل والتكلم بداخل ذاتها...

بسبب طبعها الغريب وحذرها الشديد ممن حولها لم يقترب منها أحد... كانوا يقولون عنها غريبة الأطوار لأنها غير اجتماعية ولا تقبل على أحد.

إلا هيكل الذي قابلها صدفة... عندما تعطلت سيارتها في طريقها بعد خروجها من الجامعة...

وقف أمامها بسيارته وعرض عليها المساعدة وهو بداخل سيارته... ولكنها لم ترد عليه وظلت تنظر إلى هاتفها لا مبالية.

إن ريحانة رغم أن كل ما بها بسيط جدًّا ألا إنها تسحر من يراها ولكن الكل يبتعد بسبب عدم رغبتها ووحدتها وحزنها.

خرج هيكل ووقف أمامها... إنه شاب متوسط الطول ذا بشرة بيضاء وشعر أشقر وعيون خضراء ولحية محددة تزين وجهه البيضاوي... نظر لها ومن ثم أصر أن يعرض عليها المساعدة... وافقت ريحانة في النهاية لأنها أعجبها إصراره...

ومهما كانت البنت عنيدة فبالإصرار تلين مهما كانت تتصنع صلابة الحديد.

أخذ رقمها كي يطمئن عليها... ومن حينها استمرت الاتصالات ومن ثم تعددت المقابلات بعد الجامعة... ومن ثم بدأت ريحانة تسهر خارج المنزل... ولأول مرة تجرب الذهاب إلى النادي الليلي... غيّرها هيكل كثيرًا... ولكن مازالت بعيده عن الكل... ولكن تغيرت له ومن أجله هو فقط...

صارت ترجع في وقت متأخر لذا صارت تتغيب عن الجامعة كثيرًا...

مرت الشهور وتعلقت ريحانة بهيكل ولكن هيكل شاب مستهتر ليس له في الارتباط ولا الحب... هو يريد أن يعيش ويستمتع فقط... لا يريد أن يقيد نفسه عن حريته بسبب كلمة الحب.

حتى ريحانة لم تحبه ولكنها تعلقت به... أحبت يومها معه وما يشاركها به.

كثيرًا كانت تفكر إن كانت تحبه أم لا...!

ولكنه ليس به أي من الصفات التي تحبها في الرجل... لا يوجد به ما تحبه في ظاهر الرجل... فكم هي تمقت الرجال ذو البشرة البيضاء والشعر الأشقر...

وحتى شخصيته مستهتر جدًّا... مدمن كحول... ولكن كل ما يهون ذلك إنه مهتم بها بجنون... وهذا ما تحتاجه...

هيكل يعلم جيدًا إن ريحانة أمها سيدة أعمال...

عرض هيكل فكرة مشروع على ريحانة وأن يكونا شركاء... رفضت ريحانة كثيرًا لأنها لا تفهم في هذه الأمور ولكنه أصر... إلى أن قررت أن تسحب المبلغ من حسابها وكان حينها مليون جنية مصري...

جلس معها وقدم لها الخطة من حيث مكان المشروع والتكلفة وكل شيء...

وهي أمنته على مالها...

في المساء تحاول أن تتصل عليه ولكن لا يوجد رد...

ومصيبة ريحانة أن خلال هذه السنة لم تعرف حتى مكان لهيكل... كل الكلام كان سطحي وكله مزح... كلام لا يحمل محمل الجد أبدًا... وكان أغلب الكلام الجد منها هي... تحكي عن نفسها طفولتها وعقدتها... فاستغل هيكل كل ذلك لصالحه...

ها هي ريحانة تتردد على الأماكن التي كانا يذهبا إليها سويًا ولكنها لم تصل لشيء... وكأن هيكل فص ملح وذاب...

عادت ريحانة إلى حياتها الكئيبة من جديد ها هي وحيدة في فيلتها وكالعادة... أمها مشغولة في عملها وأبيها لا يعترف بوجودها من الأساس... ومن جاء كي يؤنس وحدتها ها هو استغلها ورحل...

وحتى جامعتها ودراستها ها هي نجحت بصعوبة في تلك السنة...

وفي بداية السنة الجديدة أخذت صدمة بُعْد هيكل عنها من دون سابق إنذار... مما جعلها في حالة صدمة وشرود مستمر حتى في المحاضرات التي كانت دائمًا تهتم بها.

انتبه دكتور كرم الدسوقي وعرض عليها المساعدة وذلك عندما قابلها ورأى أنها شاردة في الممر.

دكتور كرم في الأربعين من العمر، طويل ذا جسم متوسط وله كرش بسيط... إنه رجل متزوج ولا تسألوني ما علاقة الكرش بالزواج... ها هو حليق الذقن تمامًا مما يجعله أصغر سنًا... شعره أسود فاحم يبدو أنه يصبغه كي يخبئ شيبه الذي غزا شعره.

أوقفها د. كرم وسألها بلين:

-ماذا بكِ يا ريحانة...؟ لمَ صرتِ لا تشاركي معي كما كنتِ من قبل... ! هل حدث شيء ما...؟

-مجرد ظروف يا دكتور...

نظر لها د. كرم نظرة طمع ومن ثم رسم ابتسامة على وجهه الأسمر وأردف:

-هذا الكارت الخاص بي... إن احتجتِ لأى مساعدة اتصلي بي ولا تترددي.

ومن ثم هم بالرحيل... ظلت ريحانة تنظر له بشرود...

وفي المساء ترددت هل تكلمه أم لا... وإن كلمته ماذا تقول له؟
ولكن فجأة وجدت نفسها تقول بخجل غلبه الخوف:
-الو... د. كرم... أنا ري...
قاطعها د. كرم ضاحكًا:
-أهلًا ريحانة... كيف حالك...؟
تلعثمت ريحانة في الكلام ومن ثم أردفت:
-سامحني يا د. كرم إن ازعجتك.
-لا يوجد إزعاج ولا شيء... أنا أعيش بمفردي وها كنت أقرأ كتاب...
-أليس حضرتك متزوج...؟
-نعم متزوج ولكنه زواج غير صحيح أبدًا...إنها ابنة عمتي... زواج مبني على رضى الأهل لا الحب...
من هنا بدأ الكلام واستغربت ريحانة من عدم وضعه لأي حواجز ودخوله في الخصوصيات مباشرة، ولكنها أعجبها الوضع فأكملت كلامها:
-ولكن إن كنت لا تحبها أو ليس بينكم حب لمَ هي على ذمتك إلى الآن يا دكتور.
-أولًا أنا اسمي كرم... دكتور في الجامعة بينما أنا الآن صديقك إن أحببتِ...
-هذا شرف لي يا دكتور و..
-ها... ماذا قلت لكِ الآن...؟
-آوه اسفة حقًا... حسنًا سوف أقول كرم...
-إذا قلتِ لي دكتور سوف أجعلك ترسبين في المادة هههه..
-لا أرجوك، لن أقولها أبدًا...
-هههه، لا ليس لهذه الدرجة... إذا قلتِ لي كرم في الجامعة سوف أتعرض لفضيحة...

ريحانة في قرارة نفسها تقول متهكمة:

-إن سمعتك تسبقك يا دكتور يا محترم...

ومن ثم فاقت من شرودها وأكملت كلامها مؤكدة:

-نعم، أكيد يا كرم أكيد... ولكن لمَ تعيش بمفردك...؟

-قلت لكِ أني لم أحب زوجتي قط... وحجة عملي كانت لصالحي أن أتركها في البلد وأعيش هنا من غيرها...

-ولكن ما ذنب أولادك كيّ يُحرَمون منك وأنت موجود...

-ليس لدي أولاد إلى الآن...

-آوه... اسفة لم أقصد...

-لا يهمكِ... أتفهم ما تعنيه جيدًا... تزوجت منذ ثمان سنوات ولكن الله لا يريد أن يتوج ذلك الزواج البأس بأطفال يأتون للدنيا وأمامهم أب وأم لا يكنا لبعضهما البعض الحب...

ردت ريحانة بصوت غلبه الحزن:

-أعرف ذلك الشعور القاسي... إن أبي وأمي لم يُحبا بعضهما قط... والدي انفصل عن أمي منذ ١٣عام ولم يسأل عني حتى إلى الآن...

رد عليها مواسيً ليها بصوته الرخيم:

-لا تحزني يا ريحانة... ها أنا ذا معكِ... وبجانبك متى رغبتي أن أكون معكِ... اعتبريني ما تريدين... أخ أو أب أو صديق أو حتى حبيب أنا موافق...

ذهلت ريحانة وسرحت في كلامه وكأنه أمامها مثل طوق النجاة... كلمة أكون لكِ أب أحيت قلبها من جديد.

ومنذ حينها كثر الكلام، ويطول إلى أن ينام أحدهما...

ولأول مرة تشعر ريحانة أن هنالك من يهتم بها بجنون.

إن أمها بالرغم انشغالها... مهتمة بها وتحبها كثيرًا ولكن ريحانة بحاجة إلى اهتمام الجنس الآخر في حياتها... ذلك الجنس الذي كتب عليها الحرمان منه منذ الصغر.

تمر الأيام وتكتفي ريحانة بالنظر إليه فقط في الجامعة

والتحدث معه في الهاتف وكفى... ولكنها بدأت تشعر بالجوع أكثر، تريد أن تجرع أكثر من هذا الكأس الذي يجعلها تنسى تعاستها ويزيد من سعادتها...

تريد القرب يزيد أكثر كي يزيد فرحتها أكثر وتداوي جرحها تمامًا...

سألت كرم في مرة:

-هل يمكن أن نتقابل في أي مكان بعد الجامعة...؟

-آوه يا ريحانة هذه تصرفات صبيانية... لقد كبرت على هذه الأمور... وغير ذلك أنا معروف ولي سمعتي... لا يمكن أن أفعل ذلك...

-يعني سأظل هكذا أتكلم معك في الهاتف وكفى... وفي الجامعة نكون غرباء.

-أنا عندي حل لهذا الموضوع يا ريحانة.

سألته ريحانة بلهفة وكأنها مثل المدمن الذي يحتاج الجرعة بأي طريقة وبأي ثمن:

-كيف...؟ قل لي وأنا معك يا كرم...

-تأتين لي شقتي...

صدمت ريحانة من اقتراح كرم لها... شعرت بالخوف... من صدمتها حل الصمت لوهلة...

فقطع كرم هذا الصمت وقال لها:

-هل أفهم من صمتك أن السكوت علامة الرضا أم إنك لا ترغبي...!

ومن ثم قال برغبة تهديد متزنة:

-بصراحة أنا ليس بيدي أي طريقة أخرى سوى هذه.

تمتمت ريحانة بصوت غلبه الخوف:

-ولكن توعدني أن لا تفعل شيء يؤذيني...!

-لن أؤذيك أبدًا... إن المقابلة سوف تكون في الشقة من أجل راحتنا فقط... وإن كنتِ تريدين وعد... فأنا أوعدك لن أؤذيك أبدًا لا بقول ولا بفعل...

★★★

مرت سنة والمقابلة تكون في الشقة الصغيرة التي يعيش بها الدكتور كرم... شقة بها غرفة واحدة وحمام ومطبخ صغير وصالة بها صالون قديم الطراز ومكتبة بها الكثير من الكتب...

وبالفعل كان كرم صادق في وعده... لم يتعدى على ريحانة حتى بنظرة خادشة، بالفعل لم يؤذها لا بقول ولا حتى بفعل... مما جعلها تشعر معه بالأمان... بدأت ترى به الصفات التي تحبها في الرجل... أحبت شكله لأنها أحبت شخصيته وتصرفاته معها.

كان معها رجل... رجل يعتمد عليه... لأنه مهتم بها... سندها وقت ضعفها... وعدها وصدق في وعده... وصار لها الأخ والصديق والأب... ولكن الأدهى أن قلب ريحانة نبض ولأول مرة لكرم...

وفي مرة عندما كان يشرح لها كرم شيء في الكتاب... لم تكن ريحانة منتبهة حتى... ولكنها كانت سارحة في ملامح كرم... كرم يكلمها ولكنها لا تسمعه... فنظر لها... فالتقت عيناهما سويًا... وهنا فهم مطلب عينيها منه... فتوتر كرم ونزل نظره مسرعًا ومن ثم تشتت وقال لريحانة أنه سوف يقوم كي يشرب ماء... ولكنها أمسكت بيده وقالت له بنظرة ترجي واستعطاف:

-سوف آتِ معك...

هنا شعر كرم بدفيء يد ريحانة... فَحَوَل نظره عنها... فسألته ريحانة وهي تقف بجانبه:

-لمَ تهرب من عيوني يا كرم...؟

-بصراحة... إن عينيكِ يجعلوني أذوب وأفقد صوابي... ولا أريد أن أفقد صوابي كي لا يصدر مني فعل لا يرضيكِ...

اقتربت منه ريحانة ووضعت يدها على وجه كرم وصارت تلمس ملامحه برفق وأردفت:

-ولكنك لا تفعل إلا ما يرضيني وكفى ... وأي شيء يصدر منك أنا راضية به...

-يعني أفعل أي شيء ولن...

قاطعته ريحانة واضعة سبابتها على شفاه كرم وقالت له وهي تهمس في أذنه:

-أفعل ما تشاء وأنا...

لم تكمل كلامها وقاطعها كرم وقبلها قبلة جعلتها تذوب بين يديه و.....

★★★

بالرغم أن ريحانة وهبت نفسها لكرم ألا أن كرم لم يستغلها ولم يأخذ منها كما يقولون (أعز ما تملك).

مما جعل ريحانة تحبه أكثر... تعلقت به أكثر... لن تجد من يخاف عليها مثله أبدًا...

★★★

تمر سنة ولكن على الوضع الجديد... سنة بها اهتمام فقط والسنة الثانية بها حب وقرب وشوق... وها هي امتحانات سنة التخرج...

قال لها كرم ووعدها:

-سوف أنزل البلد في الإجازة أطلق زوجتي وسوف أعود إلى هنا وأتزوجكِ وذلك إذا وافقتي...

-أنت الرجل الذي أتمناه يا كرم...

-ولكن هل سوف توافق والدتك علي...؟

-أمي لا تريد سوى سعادتي... وأنا حرة... أختار من أشاء... أنا مَن سوف أتزوج...

انتهت فترة الامتحانات وفي العطلة سافر كرم للبلد وكالعادة وهو في البلد لا يتكلم مع ريحانة...

ولكنه كان متفق معها أنه سوف يكلمها ويخبرها بالطلاق.

ولكن مر شهر ولا يوجد اتصال منه قط...

بدأت تذبل ريحانة من شوقها لكرم... تشعر أن يومها فارغ من دونه... رجعت وحدتها وحزنها يحومان حولها من جديد...

لا ترد على أمها إلا بالقليل وتكتفي بالتأمل في الحديقة أو السماء فقط...

بعد شهرين جاءتها رسالة صوتية من كرم على تطبيق الواتساب يقول بها:

-أولًا يجب أن تعرفي أني بالفعل احببتكِ يا ريحانة... ثانيًا إن ما حدث ليس بيدي... وغدًا تكبرين وتعرفين أننا أحيانًا نمر بأشياء تجعلنا مجبورين على أشياء لا نريدها... إنه القدر والنصيب يا ريحانة...

إن أب زوجتي توفى ولن أستطيع أن أطلقها وتعيش مكسورة وحيدة من دون أب ولا زوج ولا ولد.

آه يا ريحانة سوف أشتاق إليكِ كثيرًا... ولكن رقمي ذا سوف أغلقه لأني الآن في المطار ومعي زوجتي لأني جاءت لي فرصة عمل في دوله الكويت...

لا أدري إلى متى سأظل هناك... ولكن أتمنى أن تكون تدابير الله تلك تكون في صفكِ... أنتِ تستحقين من هو أفضل مني مليون مرة... أتمنى لكِ السعادة يا ريحانتي.

صدمت ريحانة مما سمعته وقالت في نفسها:

-إنه كاذب... إنه لم يحبني... هو يحب زوجته... إن لم يكن يحبها لما كانت صعبت عليه...! لما كان خاف عليها أن يتركها بمفردها...

إنه كاذب ومازال يكذب...

هو كان يعرف أمر سفره أكيد ولم يقل لي عنه شيء...

دبر كل شيء من أجل أن يستغلني...

ولكن أنا التي وهبت نفسي له...

لا أدري... هل هو الذي ظلمني... أم أنا التي ظلمت نفسي...؟

ظلمت نفسي... صحيح أنا التي ظلمت نفسي... ضحيت بنفسي مقابل الحب والاهتمام التي حُرمت منهما في حياتي الخاطئة وجدت نفسي بها... ليس لي ذنب بها... ما ذنبي أنا أتحمل فشل اثنين لم يحترما قداسة الزواج... اثنين لم يكن بينهما مودة ورحمة... أب لم يعتبر أني زينة الحياة الدنيا.

إنه لا يعترف بي من الأساس... تخلى عني... جعلني محرومة من حبه واهتمامه... لذا ضيعت نفسي مقابل رشفة من الحب والاهتمام حتى ولو كانوا أشخاص غير مناسبين لي...

كل ما كنت أريده أن يشغل أحدهم المكان الذي تركه أبي... أي أحد يعوضني مما حرمني منه...

حسنًا، الآن أنا من ظلمت نفسي أم الدنيا التي ظلمتني...

سحقًا لحياتي... سحقًا لكل من حولي...

حزينة وأنا بمفردي... وحزينة بسبب أني أدخلت أشخاص حياتي... آاااه ماذا عليّ أن أفعل...

وفي نفس اللحظة خرت ريحانة ساقطة على الأرض... وبالصدفة أمها تدخل الغرفة كي تنادي عليها لتناول العشاء سويًا وجدت ريحانة فاقدة الوعي...

لذا منذ تلك الوعكة ترتدي ريحانة ذلك السوار الذي يتتبع حالتها...

ومنذ ذلك الحين كان يجب أن توضع ريحانة تحت المراقبة...

تمر الشهور ومعروف الوقت يجعل المرء يتعافى بالنسيان...

ولكن ريحانة لم تنسى...

بل صارت لامبالية...

وصار شعورها الداخلي أن لا أمان لأحد...

وأنها لن تجد من يحبها أبدًا... تقول في قرارة نفسها متهكمة:

-كيف يحبني الغريب الذي أطلق على نفسه حبيبي... والقريب الذي هو أبي الذي أنا من صلبه ولحمه ودمه لم يحبني...

لا ألوم الغريب لأن القريب طعني قبله...

★★★

ها هي فيروز تحاول معها أن تكون صديقتها كما طلبت منها أنا... لأني شَككت أن حالتها بسبب آذى نفسي...

ولكن ريحانة رفضت تودد أمها لها...

عرضت عليها أمها أن تبدأ ريحانة بالعمل معها ولكنها رفضت ورفضت العديد من فرص العمل الأخرى ولكن مع مرور الأيام ملت من البيت وقررت أن تخرج من صومعتها وجاءت لها وظيفة التوظيف في بنك وبالفعل ارتاحت في هذه الوظيفة الرتيبة المملة التي تشبه شخصيتها...

اليوم مثل الأمس والغد مثل اليوم...

إلى أن جاء اليوم الذي قابلت به المهدي...

طلب منها أن تفتح حساب باسمه... كانت ريحانة سارحة تقوم بالإجراءات بطريقة آلية ولكن عقلها مع المهدي... سارحة في ملامحه... جسمه... طريقة كلامه... قرصت ريحانة يدها خلسة كي تفيق... تقول ريحانة في قرارة نفسها:

-أنتِ تتوهمين يا ريحانة... استحالة يكون حقيقي... إنه هو... هو فارس أحلامي... الذي أتى إليّ كثيرًا في منامي...

هو الفارس ذا الملامح العربية الأصيلة الخلابة الجذابة بقوامة الطويل...نعم إنه هو... نفس النظرة التي ينظر لي إياها وهو يمتطي حصانه البني...

قطع شرودها صوت طقطقة أصابع المهدي أمام عينها...

رسمت ريحانة ابتسامة ساذجة على وجهها ومن ثم أكملت الإجراءات ومن ثم رحل المهدي.

أخذت ريحانة رقم الهاتف الخاص بالمهدي من بياناته وقامت بالاتصال به ولكنها أغلقت الاتصال قبل أن يرن...

لم تدري حينها ماذا تقول له إذا رد عليها...

ولكن بعد ثواني رأت هاتفها يضيء باتصال منه... هنا قلبها كان يتراقص مع صوت نغمة الهاتف... هنا استجمعت قواها كي ترد عليه قبل أن يغلق...

تكلم المهدي برزانة:

-الو...

-الو...

-من معي...؟

-أنسيتني...؟

-أنا لا أعرفك كي انساكِ.

شعرت ريحانة بالخجل ولكنها أكملت كلامها ولم يهمها بروده:

-أنا موظفة البنك التي كنت أقوم بإجراءات الحساب لحضرتك يا أستاذ مهدي.

-نعم وما المشكلة الآن التي سببت الاتصال.

هذه الكلمة أعطت لريحانة حجة لاتصالها به ومن ثم قالت:

-بالفعل حضرتك واجهت مشكلة في حسابك ولكن تم حل المشكلة في ذات الوقت لذا لم أكمل الاتصال... أعتذر عن الإزعاج... كل...

في هذه اللحظة سمعت صوت إغلاق الخط في وجهها...

صدمت ريحانة من ردة فعله... هذه أول مرة تقبل على أحد ويرفضها... دائمًا هي رافضة قرب الناس منها... ومن دخلوا حياتها هم من أقبلوا عليها لا هي...

في المساء وهي تستخدم هاتفها بلا جدوى رأت اسمه على الشاشة... هنا نست حزنها والموقف الذي حدث في الصباح... وبدأ المهدي المحادثة بالاعتذار لأنه أغلق الهاتف لأنه كان مشغول جدًّا...ومن ثم أخذهما الكلام إلى أن غلبهما النعاس...

تعددت المكالمات والمقابلات وكان مكانهما دائمًا على البحر... يجلسان مثلهما مثل من هم ذو مستوى بسيط... الذين ليس لديهم المال الذي يؤمن لهم الجلوس في مكان يرحمهم من نظرات المارين... ولكن ريحانة كانت تحب البساطة، إنها ترتاح بالجلوس على صخور البحر... لا تحب حتى أن تجلس على الكورنيش... تحب البُعد أقصى البعد عن الناس.

وتكرر ذلك إلى أن حدث ذاك الموقف المشؤوم الذي بسببه تم الانفصال ومن ثم انتحار المهدي وذلك بعد ستة شهور فقط من التعارف.

أوقفت د. سلوى جهاز مسجل الجلسات الخاصة بريحانة ودونت أهم الملاحظات...

ولكنها تمتمت وهي تخلع نظارتها الطبية:

-ولكن يجب أن أتأكد من شيء... شيء واحد فقط.

(١٥)

في صباح اليوم التالي سمعت ريحانة صوت أحد ما يطرق باب غرفتها... استغربت لأن هذا ليس الوقت التي تأتي به أمها لزيارتها، لأن أمها تزورها بعد الظهر...

ومن ثم رأت الباب يفتح وفي نفس ذات الوقت جاء اتصال على الهاتف الأرضي الموجود في غرفتها... تلقت الممرضة تعليمات فخرجت هي والأخرى خارج الغرفة... وفي تلك اللحظة ظهر رجل في الخمسين من العمر... رجل طويل جدًّا... كان يسد الباب من طوله وهيبته... وقد اشتعل رأسه شيبًا... حتى شاربه الكث صار أبيض تمامًا... نظرت له فتذكرته وبكت...ونظرت ناحية النافذة... تقول في قرارة نفسها:

-استحالة يسأل عليكِ... أنتِ تتوهمين... يبدو أني مجنونة حقًا كما يقولون عني...

في تلك اللحظة شعرت أنه اقترب منها لأنها تسمع صدى خطواته اتجاهها ومن ثم شعرت بوضع يد على كتفها.

التفتت فنظرت إليه بعينيها الباكية... رأته برغم هيبته عينيه قد امتلأ بالدموع...

هم معانقًا أيها بقوة... بينما هي من هول الصدمة لا تحرك ساكنًا... لا تستطيع أن ترفع يدها وتعانقه... تضمه بقوة كي يقوي قلبها الذي تألم كثيرًا... ولكنها بين احتمالين هل ما تمر به حقيقي أم لا...!

ولكن سرعان ما قطع تفكيرها الدكتورة سلوى التي تقف عند باب الحجرة...

أبعدته ريحانه عنها وأقبلت على د. سلوى وسألتها:

-هل هو موجود حقًا أم أنا يتوهم لي...؟

-إنه أباكِ... وإنه اشتاق إليكِ كثيرًا ويريد أن يتكلم معكِ ضروري... لذا سوف أترككما بمفردكما.

أخذها أبيها من يدها برفق... وكأنه خائف عليها من أن تنكسر...

وجلسا على الأريكة المرفقة في الجناح الخاص بريحانة.

أمسك أبيها بيدها وها هو يلمس يدها من فوق باليد الأخرى برفق وينظر لها نظرة حنو وقال لها والدمع يتلألأ في عينيه:

-كبرتِ يا ريحانة وصرتِ عروس.

ببرود وقوة تصطنعهما ريحانة يوحيان بالضعف والانكسار الكامن بداخلها سألته:

-لمَ تركتني كل هذه السنين...؟

أمسك أبيها يدها ومن ثم قام بتقبيلها ومن ثم قال موضحًا لها:

-سوف أحكي لكِ كل شيء يا صغيرتي... سوف أحكي كل شيء...

إن الدكتورة سلوى هي من طلبت مني الحضور إلى هنا كي أشرح لكِ الحقيقة من وجهة نظري...

-مهما تحكي لا يوجد مبرر أن تترك ابنتك من دون أن تسأل عليها طوال تلك السنين...

ومهما تقول لا يوجد شيء يشفع لك يا من دمرتِ حياتي... لا أتذكر لك سوى القسوة والصوت العالي وضرب أمي.

-لم أضربها قط صدقيني...

-أعلم أني حينها كنت طفلة في السادسة من العمر ولكني أتذكر... لقد رأيتك بأم عيني وأنت تصفعها على وجهها وعندما رأيتني أخذتها للغرفة وأكملت ضربها بعيدًا عني.

كل تلك الأصوات أثرت بي وفي نفسيتي... لقد صرت غير سوية... بسببك.

ومن ثم همت واقفة عند النافذة وأعطته ظهرها.

ولكنه ظل مكانه ومن ثم تنفس الصعداء وأردف:

-لن ألومك يا ريحانة فهذا هو الواضح لكِ من الظاهر ولكن الحقيقة عكس ذلك تمامًا... وتلك نفس المشكلة التي مررت بها أنا أيضًا خُدِعت بالظاهر ولم أفهم السبب والمكنون... ودكتورة سلوى أوضحت لي أن أمك مخدوعة فيما كانت تظنه... كلنا مخدوعين يا ريحانة.

نظرت له ريحانة باستغراب وأردفت:

-كلنا مخدوعين... كيف؟

ومن ثم وقف واقترب منها ووضع يده على كتفها وأكمل كلامه:

-سوف أقول لكي ولكن تمددي على السرير وأنا سوف أشرح لكِ.

الموضوع يا بنيتي أني من البداية منذ أن رأيت أمكِ لأول مرة وقعت في حبها... كم هي مميزة عن الجميع... عندما سألت عنها... البعض مدح بها لحسبها ونسبها... ولكن البعض حذرني منها ومن طبعها... أهلها يشتكون من تصرفاتها وتحكمها... ولكن ما كان يجعلها تتمادى أكثر هو حب أبيها لها بجنون.

على العموم معروف جدًّا عندما يحب المرء أحدًا ما يحاول أن يتجنب السلبيات التي يراها أو يسمعها عن من يحب كي يقنع نفسه أن حبيبه ليس له مثيل... لذلك يقولون "الحب أعمى"... بل إن الحب يجعل الحبيب أعمى وأطرش وفاقد كل الحواس التي يمكن أن تجعل حبه يقل تجاه محبوبه.

معروف عندما يبدأ المرء بالحب تتوقف جميع الأعضاء والجوارح ولكن يظل عضو واحد هو المسيطر، يظل هو وحده على قيد العمل، ألا وهو "القلب"...

قلبي الذي أحب فيروز كثيرًا جعلني لا أفكر بعقل ومن دون تريث، لذا قررت الزواج منها في أسرع وقت ممكن.

وبالفعل تم الزواج... ومن ثم ذهبنا إلى شهر العسل وهنا كانت المشكلة الأولى.

بعد الزفاف سافرنا في ذات الليلة إلى لبنان ولكن ما حدث هنالك لم يكن متوقع... ولا أدري أيصح أن أحكي لكِ شيء كهذا أم لا...!

ولكن الذى أعلمه أن عليّ أن أقول كي تضعي نفسك مكاني...

إن فيروز لم تكن عذراء...

رسمت ملامح الصدمة على وجه ريحانة ولكن أباها أكمل حديثه وهو ينظر للأرض خجلًا حزينًا:

-عندما سألتها كيف حدث ذلك...؟

ظهرت ملامح الاستغراب على وجه فيروز وأردفت:

-أنت الذي فعلت بي هكذا يا أحمد.

قمت من السرير في انفعال وقُلت غاضبًا:

-لا تكذبي علي... إذا كنت أنا من فعل ذلك لما كنت سألت.

نظرت لي فيروز ورسم على وجهها ملامح الحزن:

-أتشك بي يا أحمد...! ألا تصدقني يا أحمد...؟

ومن ثم بدأت تبكي بحرقة...

لم أدري حينها ماذا أفعل... إن طريقة كلامها صادقة... ولكن هذا الأمر لا يمكن أن يمر مرور الكرام... أنا أحبها ولكن كرامتي لا تسمح لي بمثل هذه الإهانة لرجولتي.

خرجت للشرفة وصرت أدخن كثيرًا وأفكر أكثر... وما زلت أسمع نحيبها.

قررت أن أدخل وفي عصبية قلت:

-ألن تكفي عن النحيب...؟

قالت وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها وهي تجهش بالبكاء:

-أنت جرحتني... وأتهمتنِ... م... ما... ما ذنبي أني صدقتك ووهبتك نفسي...

انفعلت وقمت بضرب الجدار بدلًا من أن أضربها من شدة غضبي... فخلفت تلك الضربة شرخ في الجدار ومن ثم قلت:

-متى حدث ذلك...؟ أتريدين أن تصيبيني بالجنون...؟
-وأنت تريد أن تطعنني في شرفي...
-أنتِ شرفي... وإذا طعنتك في شرفكِ أنا أطعن نفسي قبل أن أطعنكِ...
-ولكن ما قلته لك الحقيقة...
ومن ثم حاولت أن أهدأ من روعي وجلست بجوارها على السرير... تنفست الصعداء ومن ثم أردفت:
-حسنًا، هل يمكنك أن تذكريني بما حدث ومتى صار ذلك...؟
-حدث ذلك منذ اسبوعين عندما ذهبنا إلى شقتنا لكي نرى آخر الترتيبات.
-ولكن أنا لم أذهب معكِ إلى الشقة سوى من شهر وكان معنا أباكِ وزوجته.
-نعم ويومها أعطيتني نسخة من مفتاح الشقة، ولكن منذ أسبوعين اتصلت بي وقلت لي أنك ترغب بمقابلتي على انفراد... وحدث ما حدث...
انفعلت ثانية وصرخت بها:
-لم يحدث شيء... لم يحدث...
ومن ثم ارتديت ملابسي ونزلت كي أمشي قليلًا وأفكر ماذا عليّ أن أقرر... عندما عدت للبيت رأيتها صارت شاحبة ذابلة... عينها صارت حمراء جدًّا من شدة البكاء... لذا قررت أن أتجاوز عن الأمر وقلت في قرارة نفسي عفا الله عما سلف...
ومن ثم تجاوزنا الأمر...
ولكن بعد هذه المشكلة دخلنا في مشكلة أخرى...
لم يمر سوى يومين على أول مشكلة إلا وبدأنا في مشكلة جديدة.
كنت إذا نظرت في أي اتجاه تقول لي:
-أنت تنظر لغيري... أنت لا تحبني... أنت غير معجب بشكلي، وغيرها من مشاكل الغيرة المفرطة النابعة من فقد الثقة بالنفس...

في كل مرة أضغط على نفسي وأراضيها لأني أعلم أنها تفعل ذلك من فرط حبها لي... وكذلك أنا من شدة حبي لها كنت أتجنب كل مشاكل الغيرة.

عندما رجعنا من شهر العسل جاءنا خبر وفاة أبيها... مات قبل أن نرجع إلى مصر بأسبوع ولكنهم لم يرغبوا أن يقولوا لنا كي لا يخرب شهر العسل.

ذلك الخبر أثر على فيروز كثيرًا... ظلت صامتة لا تتحدث مع أحد ولا تخرج من غرفتها...

بعد مرور شهر على وفاة والد فيروز قررت أن تذهب إلى بيت أبيها كي تتكلم مع زوجة أبيها بأنها تريد نصيبها في ورث أبيها كاملًا... وأنها تريد أن تبيع كل شيء كي تأخذ حقها...

قلت لها:

-ولكن هذه خسارة لكِ يا فيروز... عندما تقرري بيع ممتلكات والدكِ كي تقومي بتوزيع المال بينك وبين أخوتك...

عليكِ أن تجمعي أخوتك وأن تستمري في تجارة والدك وتزيدي أكثر في ممتلكات والدك... وتكوني أنتِ وأخوتك قوة واحدة ولا تتفرقوا.

ولكنها أردفت غاضبة:

-إن أبي كتب لي نصف ممتلكاته وإذا تركت حقي معهم سوف يسرقونني.

سألتها مستغربًا من كلامها:

-من يسرقكِ...؟ إن إخوتك أصغر منكِ... أنتِ أكبر إخوتكِ... ومن ذا الذي يمكنه أن يؤذيكِ أو يسرقكِ وأنا معكِ... أنسيتِ أني رائد.

قالت غاضبة وهي تهم بالرحيل:

-أنت لا تعلم شيء عن زوجة أ...

أمسكت بيدها وقلت لها وأنا أهدأ من روعها وجعلتها تجلس على الأريكة بجواري ومن ثم قلت لها:

-يمكنكِ أن تقومي بعمل توكيل لي... وحينها أنا أصير مسؤول عن كل شيء... لا أريدكِ أن تخسري شيء يا

حبيبتي... ولا أريدكِ أن تتعبي عقلك بالتفكير.

همت واقفة غاضبة وأردفت:

-حتى أنت طامع بمالي وتريد أن تأخذه لنفسك...!

وقفت أمامها مصدومًا وقلت لها:

-أنا... أنا طامع بمالك... أنا أريد أن أفعل ذلك فقط كي لا تتسرعي في قرارات خاطئة... ولا أريد أن أراكِ متعبة وسوف أتعب أنا من أجل راحتك.

نظرت لي فيروز نظرة غير نظرتها الجميلة التي تبعث بالحب كلما نظرت إليها... نظرت لي نظرة ازدراء وقالت:

-أنا لا أثق في أحد و...

قاطعتها مصدومًا وقلت:

-أنا أحد...!

أكملت كلامها بنبرة قاسية:

-أنا أعلم جيدًا ما تخطط له يا أحمد... الآن فهمت كل شيء... إن زوجة أبي هي من جعلتك تظهر في حياتي... كي تضمن نصف الورث المكتوب باسمي... وعندما ضَمَنت أني تزوجت قررت أن تقتل أبي... أكيد هي من قتلته... ومن ثم تأتي أنت كي تقنعني أن أقوم بعمل توكيل لك فتسحب كل أموالي وتتم الخطة التي دبرتها أنت وزوجة أبي...

وليس ببعيد أن يكون بينكم شيء فهي في آخر الثلاثين من العمر... هي تكبرك ولكنكما طامعان مثل بعض و...

لم أتمالك نفسي بسبب كلامها فقمت بصفعها على وجهها كي ترجع لعقلها ومن ثم قلت لها بغضب:

-هاايّ... أفيقِ لنفسك يا فيروز وانتبهي لما تقولين.

صدمت فيروز من شدة الصفعة وأردفت قائلة باكية:

-طلقني... لا أريد أن أكمل معكِ بعد اهانتك لي.

-أهذه إهانة...؟ وما قلتيه لي ليس بإهانة...!

-قلت لك طلقني...

ومن ثم ابتسمت ابتسامة سخرية على وجهها وأردفت:

-بل إنك لا تريد أن تطلقني كي لا تدفع المؤخر الكبير الذي كتبته على نفسك.

نظرت إليها بدهشة بسبب الاسلوب الغريب الذي تكلمني به بعد شهر من الصمت ومن ثم قلت: أنا لا أريد أن أطلقك لأني أحبك...

نظرت لي بسخرية وأردفت:

-كاذب... أنت لا تحبني... لا يوجد من يحبني... أنت طامع في جمالي ومالي.

-أنا احببت روحك... وإذا تغيرت روحك وفقدتِ جمال طبعك لن أحبك حينها... ومن المعروف أن المال يذهب في لحظة والجمال يضيع مع الوقت ولكن الروح تظل كما هي إلى الأبد...

-كف عن كلام الأفلام ذا... وهيا... لا أريد أحد في حياتي... طلقني.

شعرت أن كرامتي سقطت تحت قدمي... لذا بعد أن رأيت إصرارها قررت أن أطلقها... إن كرامتي لا تسمح لي أن أظل مع أحد لا يرغب بي.

نظرت وقلت لها:

-أنتِ طا...

لم أكمل كلامي حتى لأنها قد فقدت الوعي...

أخذتها إلى المشفى بسرعة وهناك كانت المفاجأة أنها حامل... وعندما استيقظت كانت تتكلم ببراءتها المعتادة... وكأن من كانت تتكلم منذ قليل أحد غيرها... ولكني لم أكترث للأمر لأني أحبها وقلت في قرارة نفسي:

-أنا علمتها خطئها فلا داعِ لأن أكبر الأمر.

تمر الشهور وغيرتها المفرطة ما زالت تجعل حياتنا جحيم... إنها تفتش كل شيء يخصني... تشم ملابسي... تفتشها جيدًا... وأحيانًا كانت تراقبني

أثناء ذهابي إلى العمل... وإذا تحدثت في الهاتف بجوارها كانت تحاول أن تتفرس ملامحي...

كانت مراقبتها لي تشعرني أني أعيش في جحيم ولكني صبرت لأني أحبها.

تمر الأيام إلى أن جاء يوم رجعت فيه مبكرًا على غير عادتي ولكن بمجرد أن دخلت الشقة سمعت صوت فيروز في غرفة النوم وكانت تتكلم مع أحد... تتكلم مع رجل وتضحك معه ضحكة مائعة... لم أتمالك نفسي وفتحت الباب... رأيتها في سريرها ترتدي قميص نوم ذهبي قصير ومغمضة العين وتهمس ولكن بمجرد أن سمعت صوت الباب قامت مفزوعة ونظرت لي بدهشة وقالت:

-أحمد... أنت... كيف تقف هنا...؟

لم أستمع لكلامها وصرت أبحث مثل المجنون في كل مكان عن من كان معها... أبحث أسفل السرير وفي الدولاب أو الشرفة ولكن لا أثر لأحد...

هي تدور حولي وتسألني في خوف:

-علما تبحث يا أحمد؟

-أبحث عن الرجل الذي كان معكِ... لقد سمعتكِ تهمسين وتضحكين لأحد لا تنكري...

-أنت من كنت معي يا أحمد ولكن كيف حدث ذلك؟ كيف تكون معي ومن ثم في نفس اللحظة تأتي من الخارج ترتدي ملابس العمل.

أمسكت بمفرقها وقلت لها بحزم:

-لا تتصنعي الجنون يا فيروز... أين الذي كان معكِ...؟

-أنا لا أكذب عليك... كل ما في الأمر أنك تريد أن تقنعني بأنني مجنونة أليس كذلك...!

-فيروز لا تقلبي الأمر عليّ... مع من كنتِ تتكلمي...!؟

-لم أكن أتكلم مع أحد... أنت كنت معي أقسم لك بذلك.

فبدأت تبكي متألمة من شكي بها ومن قوة قبضتي على مرفقها.

كانت نقطة ضعفي بكائها... لم أكن أتحمل أن أرى دمعة من عينها.

تركت مرفقها ومن ثم جلست على الشيز لونج الموجود في الغرفة وبدأت أدخن وأفكر فيما يجري...

صرت أفكر وقُلت أن ظنوني خطأ... بالتأكيد لم يكن معها أحد... لأني لم أجد أثر لأحد... ولكن يمكن أن تكون كانت تتحدث مع أحد في الهاتف... ولكنها قالت أني أنا من كنت معها...!

أنا لا أفهم شيء...

من منا قد فقد عقله أنا أم هي...؟

عندما حدث ذلك الموقف كانت فيروز أوشكت على الولادة...

ولكن علاقتنا صارت فاترة جدًّا كلانا نشك في بعضنا البعض... والمشاكل تحدث بيننا على أتفه سبب... بسبب شكها بي وغيرتها عليّ..

عندما رزقت بكِ احببتكِ كثيرًا وبالرغم أنك أخذتِ ملامحي أكثر من ملامح أمكِ ألا أني صرت استمع لوساوس الشيطان الذي يشككني أنكِ لستِ بنتي من الأساس...

في يوم أخذتك معي ولم تكملي الشهر حتى إلى المشفى كي أتأكد أنك بنتي أم لا...!

في ذلك الشهر من أول ما ولدتِ كنت أعيش في عذاب الشك... أريد أن أطمئن كي أسكت ذلك الصوت الذي يفقدني طعم الراحة.

من كثرة الشك صرت لا أعرف أكل وإذا أكلت لا استسيغ شيئًا... وفقدت معنى الراحة فلم أذق طعم النوم حتى... وفي كل مرة تبكين بها تصرخ بداخلي الظنون ((إنها ليست ابنتك)).

وفي المشفى قمت بفحص

DNA

وهنا كانت الصدمة أن المسحة لم تكن متطابقة...

هنا صرخت ريحانة مصدومة وقالت وعينها قد امتلأت بالدموع:

-يعني أنا لست ابنتك...!؟

-اهدئي يا ابنتي اسمعي لي أولًا ومن ثم تكلمي... سوف تفهمين كل شيء.

-أنا فهمت كل شيء... لا تكمل... لقد فهمت لمَ لم تسأل عني... لمَ لم تهتم بي...؟ لأني لست من لحمك ودمك... أنا لن ألومك... بل اللوم على أمي التي عيشتني في وهم كل هذه السنين...

أمسك أباها يدها وقال لها برفق:

-اهدئي يا ريحانة... لا تتسرعي... لقد أخذتِ طبع التسرع من أمك... اسمعيني للنهاية وسوف تفهمين... لا تحكمي على أحد الآن.

بعد أن عرفت أنكِ لست ابنتي... طول الطريق كنت أنظر لكِ... كم أنا أحبك... ولكن في كل مرة أراكِ بها أرى خيانة فيروز لي.

ذهبت للبيت وصارحت فيروز بما عرفت... دارت بيننا مشكلة رهيبة... أنا أدينها وهي تنكر وتبكي تدافع عن شرفها، وأنا في نظرها أني أشك به من أول ليلة لي معها.

انتهى الخلاف بأنها انهارت من البكاء وهي تضمك بعد أن أخذت حقيبتها وطلبت مني الطلاق.

لم أتمسك بها هذه المرة وتركتها ترحل... وهي تنظر لي باكية عندما كانت على الباب لديها أمل أن أتمسك بها... ولكني لم أرغب في النظر لها كي لا أضعف أمام نظرتها الباكية... لقد سامحتها كثيرًا لأني أحبها... في المرتين السابقتين قلت يمكن الأول حدث منها عن طريق الخطأ والموقف الثاني لم أفهمه ولكني ظننت أنها تتكلم مع ذاتها... كذبت على نفسي مرتين... ولكن في المرة الثالثة كان الدليل بين يدي لم استطع أن أكمل مع من تستغل حبي وتخونني.

تمر الأيام وكنت أعلم أنها تراقبني وهي تظن أني لم أنتبه لما تفعل ولكن في مرة خلعت نظارتي فجاءت عيني في عينها فانتبهت أني رأيتها فهمت مسرعة كي تعبر الطريق كي تركب سيارتها... ولكنها عبرت الطريق مسرعة

تريد أن تختفي من المكان بسرعة... كانت تعبر وهي ملتفته تنظر لي... تراقب نظراتي هل ما زلت اتابعها بنظراتي أم لا...؟ ولكني نظرت إليها نظرة خوف وأنا أجري من آخر الشارع اتجاهها... ولكنها عندما التفتت كانت السيارة صدمتها... سقطت أرضًا ولكن لم تنزف قط... نقلتها إلى المشفى... لم يصبها أي مكروه الحمد لله مجرد أنها فقدت الوعي من الصدمة والخوف... من ثم اطمئن قلبي عليها بمجرد أن أفاقت من أغمائها فقررت الرحيل... نادت عليّ هامسة بوهن:

-أحمد...

التفتتُ إليها وأنا لا أرغب أن تلتقي عيني بعينها التي لا استطيع مقاومتها... وأردفت ببرود:

-نعم...

قالت لي بنظرة حزن:

-لمَ لم تطلقني إلى الآن...؟

-أحتاج وقت لكيّ أنفذ هذا القرار... ولمَ أنتِ متعجلة على الطلاق...؟ أتريدين أن تكوني مع من خنتني معه أليس كذلك...!

بكت بحرقة وهي تضع يدها على قلبها الذي أوشك على أن يتوقف عن العمل من شدة كلماتي التي سقطت على مسامعها وطعنت قلبها مثل الخنجر وأردفت باكيةً:

-أنا... أنا لا أريد غيرك يا أحمد... كيف تظن بي هذا الظن...؟

قاطعتها وأعطيتها ظهري خارجًا:

-يا ليته كان ظن... بل للأسف الدليل يثبت إنه حقيقة.

قالت بصوت عالي غاضبة باكية كي لا أذهب:

-إذا كنت أنا خائنة وسلبية إلى هذه الدرجة لمَ لم تطلقني...؟ من أجل المال أليس كذلك...؟

التفتت إليها في غضب وقلت لها:

-هل كل شيء عندك المال وكفى... ألا يوجد عندك تفكير أني ما زلت لم آخذ القرار لأني أحب...

لم أكمل كلامي والتفتت لا أريد أن أقول لها هذه الكلمة بعد إصرارها على إهانتها لي...

نادت عليّ بلهفة وهي تمسك بيدي وسحبت يدي كي أنظر لها:

-أحمد... أنا أحبك... ولم أحب قبلك ولا أريد أن أحب بعدك... اتبع قلبك يا أحمد وصدقني أنا...

نظرت لعينها الحزينة وكأني أصبت بلعنة حبها من جديد... نسيت كل شيء... نسيت كرامتي... نسيت رجولتي بأني لم استغنى عنها عندما لم تصن شرفي... كله ضاع أمام نظرة عينها.

أخذتها من المشفى وعدت بها إلى شقتي واتصلت برقم الهاتف

الأرضي الموجود في شقة فيروز كي تأتي المربية الخاصة بكِ كي تأتي بكِ إلى شقتي.

بالفعل فيروز ظلت معي أسبوع من دون أن تفتعل أي مشاكل بسبب الغيرة المفرطة.

ولكن في يوم ذهبت ليلًا لكي أشرب... رأيتها خلفي مباشرة... لدرجة أني فزعت.

ومن ثم قالت لي عندما رأت ملامح الفزع رسمت على وجهي:

-لمَ أنت خائف هكذا وكأنك ذاهب لكي تفعل شيء خطأ... التقطت أنفاسي وقلت لها بتهكم:

-هل شرب الماء صار حرام يا فيروز...؟

ألا يكفيكِ مراقبتي في الخارج... صرتِ الآن تراقبي تحركاتي في البيت...

-إذا كنت ذاهب لكي تشرب ماء حقًا لمَ فُزِعت...؟ بل الحقيقة إنك كنت سوف تذهب إلى غرفة المربية.

شعرت بضجر وقلت لها وأنا أهم عائدًا إلى الغرفة:

-إن حالتك تزداد سوءًا... سوف أذهب كي أنام لدي عمل باكرًا...

-هذا أكبر دليل على أن ظني بك صحيح... لأنك لا تريد المواجهة.

-لا، الحقيقة أن الأمر تافه ولن أضيع وقتي في الدفاع عن نفسي... إذا كنتِ تشكين بي بسبب هذه المربية فلتجعليها ترحل من الغد لا يفرق معي شيء سوى أن أنام.

وبالفعل جعلت المربية ترحل...

تمر السنين وهي ما زالت على نفس الحال أحيانًا تكون طبيعية فتنسيني ما تقترفه عندما تغِير.

إن أمكِ عندما تغِير تفقد صوابها تمامًا.

وها أنتِ صار عمرك أربع سنوات هنا بدأت مشكلة جديدة مع فيروز...

كانت عندما تراني ألعب بكِ... لأني أحبك كثيرًا... كانت تهم مسرعة وتأخذكِ مني...

وإذا رأتني أداعبك كي تضحكين تسحبك مني وتقول لي بحزم:

-لا تلمس البنت هكذا...

صارت فيروز غريبة جدًّا...

تمر سنتان وصار عمرك ست سنوات قررت في يوم أن نخرج ولكن فيروز رفضت لأنها متعبة فقلت لها:

-إذًا سوف أخذ ريحانة ونذهب للملاهي..

حينها همت مسرعة وأخذتكِ في حضنها وكأنها تريد أن تنقذها من الوحش... وقالت بغضب:

-لا لن تذهب معك ريحانة إلى أي مكان بمفردكما...

نظرت لها نظرة استغراب... كنت من أجل حبي لها اتغاضى عن تصرفاتها ولم أكن أرغب في قول أي شيء كي لا أزيد النار بنزين ولكني يومها سألتها:

-نعم...! كيف لا تذهب معي ريحانة... إنها ابنتي...؟!

تصنعت فيروز ضحكة زائفة تحاول أن تتمالك الموضوع:

-كل ما في الأمر أنك لن تكون منتبه لها جيدًا... لذا دعنا نذهب مرة أخرى سويًا...

شعرت بغضب كبير ولكني أسرته في نفسي وتركت البيت... ولم أعد إلا في وقت متأخر... قررت أن أسهر مع أصدقائي... لكي أهرب من الجحيم الذي لا أستطيع أن أخرج نفسي منه لأني لا أتخيل حياتي دونها.

عندما عدت إلى البيت رأيتها جالسة تنتظرني وبمجرد أن رأتني أمامها همت مسرعة إتجاهي وقامت بخلع جاكت البدلة الذي ارتديه... ومن ثم عانقتني من الخلف وقبلتني عند أذني وهي ترفع رجلها كي تطولني.

ومن ثم قلت في قرارة نفسي لا يوجد داعٍ أن أتذكر ما حدث في الصباح... كان أبسط شيء تفعله فيروز لي يشفع لها حماقتها الكثيرة التي ترتكبها.

ولكن بمجرد أن دخلنا الغرفة وهي تقوم بخلع ملابسي عني رأت على ياقة القميص قبلة...

صرخت بي غاضبة:

-ما هذا يا أحمد...؟ ما هذا...؟

قلت لها وأنا لا أدري ماذا أقول:

-لا أدري ما هذا...!

ولكن سرعان ما تذكرت وأردفت:

-آوه أنسيتِ يا فيروز...! أنتِ من فعلتِ ذلك... فعلتِ ذلك الآن...

نظرت لي بغضب وحنق وهي ترمي القميص أرضًا وصاحت بي:

-لا تكذب عليّ... أنا لم اتحرك من السرير... لم أقم إلا عندما رأيتك دخلت الغرفة مقبل عليّ وعلى وجهك ابتسامة، فقررت أن أساعدك في خلع ملابسك... وها أنا ذا وجدت دليل على خيانتك لي...

غضبت وأخذت قميص آخر وارتديته وأنا أهم خارجًا من الغرفة...

وهي ما زالت تصرخ وتصيح وتقول:

-كنت تخونني يا أحمد... لذلك صرت على أتفه الأسباب تترك البيت كي تذهب لها...

قلت لها بضجر:

-أنا كرهت حياتي... لم أعد أرغب في شيء... أنا لا أخونك وإذ كنت... أنا لست بهذا الغباء كي أترك دليل يدينني...

-ها أنت ذا لا تنكر الخيانة... أنت عديم الشرف و...

لم استطع أن أتمالك غضبي أكثر من ذلك... فقمت بصفعها على وجهها... لم أقصد أن أهينها... بل كنت أرغب بأن أجعلها تفوق لنفسها وتنتبه لِمَا تقوله... في هذه اللحظة التفتت عندما سمعت صوت همهمتك باكية لأنك استيقظتِ من صوت شجارنا... فأقبلت عليكِ مسرعًا كي أعانقكِ وأهدأ من روعك... ولكن وأنا في طريقي لكِ... صرخت بي فيروز وصاحت:

-لا تلمسها... أنت لا يمكن تكون زوج صالح، أنت زوج خائن ولا يمكن أن تكون أب لأنك لا يؤتمن لك.

صدمت مما قالته لأن وأخيرًا صرحت بظنونها بي تجاهكِ.

حينها شعرت أني تحملت فيروز بما يكفي لذا قررت أن أرحل.

رحلت لأني لم أعد أتحمل فيروز وهي متذبذبة متغيرة الطباع من لحظة لأخرى... كنت أتحمل لأني أعلم أن النساء مجانين ولكن أمك وصلت لأقصى مراحل الجنون...

أخذت عطلة من العمل لأني وصلت لمرحلة لم أرغب في التحدث مع أحد ولا أن أرى أحد... وأغلقت هاتفي تمامًا... وبالفعل استمرت اجازتي لمدة ثلاث شهور في شرم الشيخ... أنا والبحر وكفى... كنت أريد أن أصفي ذهني وأغسل روحي مما مررت به من آلام...

وبمجرد أن رجعت إلى العمل وجدت فيروز آتت إلى مكتبي... يبدو أنها وصت أحد من الأمناء كي يخبرها في حالة رجوعي...

دخلت مكتبي منكسرة ضعيفة... وأنا عندما رأيتها وقفت مكاني وذهبت إلى النافذة ودخنت سيجارتي وقلت لها ببرود وأنا أعطيها ظهري:

-لمَ آتيتِ إلى هنا...؟ إنه مكان عملي لا...

قاطعتني بصوت نحيبها وهي تتكلم بهدوء منكسر:

-أهُنت عليك أن تتركني كل تلك الفترة...؟ كيف كنت تنام وأنا بعيدة عنك... كيف كنت تنام من دون أن تطمئن عليّ... أنا كنت أموت من غيرك...

التفتتُ إليها موضحًا لها برفق:

-إن ما أتهمتِني به في آخر مرة لم يكن هين يا فيروز و...

قاطعتني بلهفة وهي تهم معانقة إياي بقوة:

-أعرف إن ما حدث ليس هين عليّ وعليك... ولكن مهما كان ومهما يحدث بيننا يجب أن لا نتخلى عن بعضنا البعض... أنا لا يمكنني أن أعيش دونك يا أحمد... أنت لي الدنيا... من دونك أموت أقسم لك... لقد عانيت دونك... أتوسل إليك يا أحمد ظل معي... لا تتركني أبدًا مهما كانت الظروف...

صارت تبكي بهستيريا رهيبة وهي متمسكة بي بقوة لم أستطع أن أفعل شيء سوى أني عانقتها كي أهدأ من روعها وهمست لها:

-أهدئي يا فيروز... أنا هنا معكِ... أنا أحبكِ... وسأظل معكِ إلى الأبد... لن أتخلى عنكِ لحظة...

نظرت لي وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها وأنا كنت أمسح دمعها الساقط على خديها الحمراوان ومن ثم قالت:

-اوعدني يا أحمد...

أخذتها في حضني ثانية كأنها ابنتي الخائفة وأريد أن اطمئنها ومن همست لها وأنا أمسح بيدي الأخرى على شعرها الأشقر:

-أعدكِ يا فيروز... أعدكِ يا حبيبتي.

ومن ثم عادت حياتنا إلى طبيعتها ولأول مرة استمر شهر من دون أي مشاكل بيننا... أخيرًا توقفت عن الغيرة والشك ولكني كنت استغرب كثيرًا من حال فيروز أغلب الوقت شاردة الذهن وإذ سألتها:

-ما بكِ يا حبيبتي...؟

ترسم على وجهها ابتسامة أدري أنها لا تنبع من قلبها... ابتسامة وراءها شيء وسوف أعرفه...

لم يمضي كثيرًا من الوقت وبالفعل في يوم خرجت للعشاء مع أصدقائي... كنا في مطعم أنا وصديقي هاشم وصديقي مراد... يومها جاءت فيروز إلى المطعم وعندما دخلت شعرت بالصدمة لأني استغربت من قدومها لأني لو كنت أعلم أنها تود أن تأتي لكنت أخذتها معي... ولكن بمجرد أن نظرت لي أردفت بتهكم والدمع في عينها:

-لِمَ أنت مصدوم هكذا...؟ لا داعِ أن تكذب عليّ أكثر من ذلك...

لقد سألت كثيرًا وتأكدت أنك متزوج عليّ...

قمت من مكاني وامسكتها من ذراعها وأنا أنظر لها وقُلت لها بهمس:

-ماذا تقولين يا فيروز...؟ من هذه التي تزوجتها...؟

-تلك التي تجلس بجانبك...

لم يكن معي أحد سوى صديقي هاشم لأن مراد قام لكي يجري مكالمة هاتفية.

نظر لها صديقي هاشم باستغراب ومن ثم قُلت لها موضحًا كي اتفادى ذلك الموقف المحرج:

-توقفي عن المزاح يا فيروز... من هي تلك التي معي... إنه هاشم صديقي... ألا تري شاربه الكث...! كفِ عن المزاح.

من ثم نظر لها هاشم وقال متسائلًا:

-هل هذه مزحة يا أحمد أليس كذلك...؟ ولكنها مزحة سخيفة للحق.

اعتذرت من هاشم على هذا الموقف وأمسكت بفيروز ولكنها سحبت يدها من يدي وقالت لي وهو تتحداني:

-أنت تريد أن تقنعني أني مجنونة يا أحمد... رأيت خيانتك لي بأم عيني... وما زلت تنكر.

-أنتِ جننتِ يا فيروز... يعني إذا كنت متزوج في السر سوف أخذها في العلن ما هذا التفكير الغبي...

حينها خرجنا من المطعم وقفنا أمام المطعم الذي يطل على البحر مباشرة ومن ثم نظرت لي فيروز وأردفت:

-أعلم جيدًا أن آخر فترة عندما بدأت علاقتنا في الفتور تأكدت أن هناك امرأة أخرى في حياتك.

وعندما تركت البيت ثلاث شهور كان كل ذلك الوقت تقضيه مع السنيورة... وعندما عدت إلى عملك أتيت إليك كي أتأكد من ظنوني... وعندما عانقتك شممت عطر نسائي على بدلتك...

وطوال هذا الشهر رأيتك أكثر من مرة تتردد على نفس العمارة... واليوم عندما سألت قال لي البواب إنك متزوج من الأستاذة كريمة التي تعيش في الدور الخامس والليلة ها أنا تأكدت بنفسي من ذلك...

أمسكت ذراعها وأنا أنظر لعينها وأسألها:

-أتتكلمين جد يا فيروز أم تمزحي...؟ غيرتك وفهمتها، وشكك تأقلمت عليه، ولكنك جنونك ذا لا أصدقه...

-اتركني... أنا لست مجنونة... أنت خائن ولك عين تتهمني بالجنون...

-كفي عن الجنون يا فيروز كي لا تخربي العلاقة التي تربطنا...

ضحكت ضحكة هستيرية وسقط من عينها الدمع:

-هههه أنا أخرب العلاقة... هي خربة يا أحمد... وقد انتهت بما رأيته الآن... أنا تحملت نظراتك الزائغة وخيانتك لي وميولك الشاذة كل ذلك

تحملته ولكن أن تتزوج عليّ هذا لن أسكت عليه أبدًا... أنا اتفقت مع المحامي الخاص بي أن يرفع عليك قضية خلع...

حينها صدمت وتركت ذراعها وذهلت مما سمعته... وقد أوشكت قدمي أن تفقد اتزانها... وقُلت:

-خلع... تخلعيني يا فيروز...! بعد ما تحملته منكِ طوال تلك السنين... من أجل حبي لكِ...!

قالت وهي تتكلم بقوة تتناقض مع دمعها النابع من حرقة قلبها:

-لا لم تتحملني من أجل الحب... لا يوجد حب... الحب مجرد كذبة... أنت لم تطلقني من أجل المال الملزوم أن تدفعه في حالة أن طلقتني... وها أنا احررك من ذلك القيد... عيش حياتك... حب من تشاء... خون كما تريد... أنا لم أعد لك...

ومن ثم تركتني خلف ظهرها... تركتني مصدوم من قرارها التي اتخذته بمفردها... قرار صعب أتخذته بمنتهى السرعة بالرغم أني لم أستطع أن أفعل ذلك معها... لم تهن عليّ فيروز ولكني هنت عليها بسهولة...

حاولت أن أنادي عليها وما زال بداخلي أمل أن تلتفت لي ونتكلم ولكنها ركبت سيارتها باكية وتركتني وحيد والدمع يسقط من عيني... أنا مع الجميع قوي جدًّا ولكني مع فيروز ضعيف... ضعيف أمام حبها... ولكن أين هي وأين حبها...

رجعت لشقتي على أمل أن أجدها...

ولكنها لم تكن موجودة... يبدو أنها ذهبت إلى شقتها وأخذتكِ معها... حاولت أن أتصل بها ولكن هاتفها كان مغلق.

قلت أتركها الليلة تهدأ وفي الغد أحاول أن أصل لها.

وفي أثناء وجودي في العمل تفاجأت بقدوم المحامي الخاص بها وقال لي أن إجراءات الخلع قد بدأت...

حينها صدمت ولكن هذه كانت أشد صدمة مريت بها في حياتي... كنت أظنها تقول ذلك فقط ويومين وسوف نعود لبعض... قد أعتد على حياتنا يومين حلو ويومين مر ولكن لم أتوقع الفراق أبدًا.

حينها قررت أن أبتعد عن كل شيء يذكرني بها... لا أريد أن أتذكر من تخلت عني... لا أريد أن أتذكر من أحببتها التي استغلت حبي لها وطيبتي فخانتني... لا أريد أن أتذكر من تخيلت حياتي معها ستكون نعيم ولكن بسبب غيرتها وشكها كانت حياتي معها مثل الجحيم... ولكن حبي جعلني أستمر... وفي النهاية باعتني وتخلت عني...

ولم تكتفي بالخلع فقط بل جعلت المحامي يعمل لي محضر بعدم التعرض لها أو ابنتها بحجة أنكما كنتما تتعرضان للعنف على يدي...

وكذلك أنا كنت أظنك لستِ ابنتي...

ريحانة تقول بحزن بسبب ما تسمعه:

-تقول كنت تظن أني لست ابنتك...؟ ماذا تقصد أنا ابنتك أم لا...؟

-هذا ما عرفته منذ بضعة أيام... اتصلت بي د. سلوى وقالت لي أنها وصلت لي بصعوبة و...

-لمَ وصلت لك بصعوبة... أين كنت...؟

-لقد سافرت إلى دبي بمجرد انفصالي عن فيروز... رغبت أن أبدأ حياة جديدة عكس الحياة التي كنت أعيشها... حياة لا تجعلني أتذكر ما عشته...

وفتحت مشروع هناك وقررت العيش والاستقرار هناك إلى الأبد... هذا كان قراري إلى أن وصلت لي د. سلوى... سَأَلَتْ عني أصدقاء عملي ودلها عليّ مراد...

واتصلت بي وقالت بلهفة:

-أستاذ أحمد... أنا د. سلوى المسؤولة عن حالة ابنتك ريحانة.

حينها نبض قلبي وكأن بمجرد أن سمعت اسمك حيا من جديد... أفاق قلبي من بعد سباته كل تلك السنين ولكني تذكرت ما فعلته بي فيروز وأردفت موضحًا لها:

-إنها ليست ابنتي يا دكتورة و...

قاطعتني وترجتني:

-بلى إنها ابنتك... وسوف أثبت لك ذلك... أرجوك تعال مصر في أقرب فرصة إن ابنتك في مصحة نفسية وتحتاجك بشدة... أنت علاجها الوحيد صدقني...

حينها عندما سمعت إنكِ في مصحة لم أتمالك نفسي... جئت إليكِ وكأني كنت أنتظر أول فرصة تجعلني قريب منكِ... حتى وإن لم تكوني ابنتي... كنت أشعر اتجاهك بشيء يربطني بكِ.

ولكن بمجرد أن قابلت د. سلوى وضحت لي أمور كثيرة عن فيروز... كلانا مظلوم... لا يوجد أحد منا ظالم يا ريحانة... كلانا ظلمتنا الدنيا وأنتِ من سُحقتِ في المنتصف بسبب ظلم الدنيا لي ولفيروز...

-ولكن ماذا حدث...؟ أنا لا أفهم شيء... ما هي الحقيقة التي عرفتها جعلتك تقول ذلك...

حينها دخلت فيروز الغرفة لزيارة ريحانة... ولكنها صدمت عندما رأت أحمد جالس بجوارها... ومن ثم نظرت إلى د. سلوى وسألتها بدهشة:

-كيف أتى إلى هنا...؟

نظرت لها د. سلوى مهدئةً إياها:

-اهدئي يا سلوى سوف أشرح لكي كل شيء... ولكن أرجوكِ لا تخربي ما أحاول أن أصلحه... أنا أصلح ثلاث أمور وليس أمر واحد...

هم أحمد واقفًا لا يستطيع أن يغلق عينيه لا يصدق ما يراه ومن ثم أردف وهو يمشي اتجاه فيروز ويمد يده للسلام:

-يااه... لم أكن أظن أن الله سوف يجمعني بكِ بعد كل تلك السنين... ١٥سنة فراق وما زلت جميلة كما أنتِ... وكأني آخر مرة أراكِ بها كانت الأمس يا فيروز.

سرحت فيروز مع كلام أحمد تاركة يدها تذوب بين يديه.

قاطعتهما د. سلوى قائلة:

-احم... احم... أنا هنا... وهيا نتكلم في مكتبي ونترك ريحانة ترتاح...

في تلك اللحظة كانت ريحانة شاردة الذهن محتارة مما تراه أمامها... أمها وأبيها مثل السمن على العسل كما يقولون... تسأل نفسها وتقول هل هذه أمي التي كانت دائمًا ترسم لي صورة سيئة عن أبي... إنها لم تقل لي عنه شيء إيجابي... وظلت سنين كثيرة لا تتكلم عنه لا بالخير ولا بالشر...

وها هي تبتسم له و...

ومن ثم ما قطع شرودها عندما سمعت أنهم سوف يخرجون من غرفتها...

نادت على أبيها بلهفة كي تمنعه من الخروج:

-هاااايّ...

التفتوا إليها جميعًا... ولكنها وجهت كلامها لأبيها:

-ماذا عليّ أن أقول لك الآن...! أبي أم أستاذ أحمد...؟

كان أحمد سوف ينطق ولكن قاطعته د. سلوى موضحة وهي تنظر نظرة رأفة لريحانة:

-سوف أشرح لكِ كل شيء في جلسة الغد... عليكِ أن ترتاحي وكفى...

★★★

(١٦)

عندما خرجوا من الغرفة نظر أحمد باستغراب وحزن لدكتورة سلوى وكأنه يود أن يدخل من جديد إلى ريحانة لكي يطمئن قلبها الحزين... سألها:

-لمَ لم تدعيني أقول لها الحقيقة الآن... البنت محت...

قاطعته د. سلوى وعلى وجهها ابتسامة لكي تطمئنه:

-لا تقلق... أنا خططت لكل شيء، تبقى أمر واحد فقط أتأكد منه.

★★★

ظلت ريحانة شاردة الذهن إلى أن سمعت صوت لم تسمعه منذ أسبوع... صوت كانت تعلم أنها سوف تسمعه في أي وقت وسوف يعود للانتقام... سمعت صوت يهمس لها:

-يجب أن تتحممي يا ريحانة... هل ستظلين طول عمرك لا تقتربي من الماء... وإذا دخلتِ للحمام لقضاء حاجتك تأخذين أحد لحمايتك...

أتظنين أن تلك الممرضتين الغبيتين يمنعاني من أن أقترب منكِ... أتظنين...؟

تحولت نظرات ريحانة إلى نظرات خوف عندما رأت جسد المهدي يتجسد أمامها وبطقطقة واحدة من أصابعه دخلتا الممرضتان في حالة من الثبات في موضوعهما.

نظر لها وضحك ضحكة تهكمية ومن ثم قال:

-إذ كنت أريد أن اقتلك لكنت قتلتك يا ريحانة منذ أول لحظة... بل أردتكِ أن تعيشي في تعب نفسي كي تستسلمي من الحياة وتختاري أن تأتي معي...

ومن ثم تغيرت نبرته إلى اللطف واللين واقترب يلمس شعرها ونظر لها بعينيه المكحلتين وأردف:

-لن أجبركِ يا ريحانة... أنا أريدكِ أن تأخذي قرار وأن تأتي معي بإرادتكِ وبقناعتكِ... لا أريدكِ ان تكوني مجبرة عليّ...

نظرت له ريحانة والدموع بدأت تنهار من عينها بل وشعرت أنها كلها سوف تنهار فانهارت في حضن المهدي وبكت بحرقة وقالت وهي تجهش بالبكاء وهي تتمسك به بقوة:

-حياتي كلها كذبة يا مهدي... أبي قال كلام عكس التي تقوله لي أمي... وبسبب كلام أمي جعلت من المواقف القليلة التي أتذكرها من طفولتي أن حياتي كانت جحيم معه...

لا أفهم مَن السبب في دماري... أمي...؟ أبي...؟ أم أنا من دمرت نفسي... لا أدري... لا أدري... لا أدري ما هي الحقيقة يا مهدي...

بدأ يمسح على شعرها مهدئًا إياها... وقال لها هامسًا في أذنها:

-تريدين أن تعرفي الحقيقة...؟

خرجت من حضنه ونظرت له بلهفة وهي تمسح دمعها:

-نعم أريد أن أعرف الحقيقة ولكن كيف...؟

قام المهدي وأمسك بيدها وقال لها وعلى وجهه ابتسامة تبعث الاطمئنان:

-تعالِي معي في رحلة أخرى... ولكن هذه المرة لكي تعرفي الحقيقة كاملة لحياتكِ يا ريحانة...

قامت ريحانة من مكانها وعانقت المهدي وقالت له بلهفة وهي تختبئ به من عالمها الذي هو عبارة عن كذبة كبيرة:

-أنا معك يا مهدي... خذني معك إلى حيث تشاء... فلم أعد أرغب في البقاء هنا أكثر من ذلك...

-تعالِي وسوف تعرفين الحقيقة الآن...

★★★

في أحدى الأحياء في الإسكندرية عام ١٩٧٤ تمشي بنت حسناء في السابع عشر من عمرها... تمشي بدلال أمام محل للأثاث يجلس أمامه شاب في السادس والعشرين من العمر... جالسًا على كرسيه ويدخن النرجيلة وعندما رآها ضيق عينيه التي تشبه عيني النمر وأخذ يغازلها وهو يبرم شاربه الكث... وها هي تبادله النظرات والضحكات إلى أن جاء أمامها عبد الحفيظ ابن خالها... شاب في الخامس والعشرين من العمر مجرد مدرس تاريخ... طويل هو نحيف جدًا وشعره خفيف إلى حد كبير وفي بداية الصلع... عندما رآها تبتسم لعاصم ابن المعلم الملواني شاط من شدة الغضب وأخذ يتشاجر مع عاصم ولكن عاصم أبعد يده عنه ومن ثم نظر لفاطمة وهو مازال يغازلها ويبرم شاربه مبتسمًا:

-لن أمد يدي عليه من أجلك أنتِ فقط يا حب الحب...

هجم عليه عبدالحفيظ... وقال وهو يسدد له لكمة:

-أنت لا تعرف الحياء يا قليل الحياء... ألست أنا بمالئ عينك...؟

صد عاصم لكمة عبدالحفيظ بقبضته القوية وقام بدفعه بقوة فسقط أرضًا...

ولكنه وقف من جديد وأمسك بيد فاطمة المصدومة مما يحدث أمامها... الموقف جعلها تتسمر مكانها ولكنها فجاءة وجدت عبد الحفيظ يسحبها ونظر لعاصم وهو يؤشر له بسبابته مهددًا:

-إياك أن تقترب منها مرة أخرى... إنها تخصني أنا... إنها خطيبتي...

وقعت تلك الكلمة مثل الصاعقة على مسمع فاطمة... نزعت يدها بقوة من يده وقالت بغضب واشمئزاز منه:

-أنت لست خطيبي... على جثتي تكون خطيبي... أنت لو آخر رجل في العالم لن أكون لك...

ومن ثم نظرت له بتهكم مستحقرة إياه... وقالت:

-أصوم أصوم ومن ثم أفطر عليك أنت يا بصلة...

ومن ثم أكملت مشيها بدلال ولا كأن أي شيء جرى... وما زالت النظرات تتابعها أينما ذهبت... فهي شديدة الحسن بشعرها الناعم الطويل الذي يصل إلى آخر ظهرها... لقد فتنت رجال الحي بشعرها الذهبي...

فتنتهم بجسمها الملفوف الذي تزينه بفستانها القصير المنفوش الذي يجعلها أميرة من أميرات القصص الخيالية... بالرغم إنها من عائلة متوسطة الحال ألا أنها شكلها يوحي إنها من طبقة عالية وذلك لأنها وحيدة أهلها... فكانت هي مدللتهم.

بالرغم صغر سنها ألا أن جاءها الكثير ممن طلبوها للزواج من الشباب ورجال كبار السن... وهناك البسيط وهناك من قرر أن يعطيها مهرها مثل وزنها ذهب... ولكنها كانت طماعة... لا تريد من يعرض عليها الحب وحده فتخسر المال... ولا تريد من يعرض عليها المال وحده فتخسر الحب أو الجمال...

إن فاطمة كانت طماعة جدًّا... تريد أن تحصل على كل شيء في آن واحد... وكل شيء قد تجمع في عاصم... إنه شاب وسيم وثري وكذلك معجب بها...

تقدم ابن خالها أكثر من مرة لخطبتها ولكنها دائمًا كان ردها الرفض له ولغيره... هي لا تريد سوى عاصم وسوف توقعه في شباكها...

كانت فاطمة تتدلل أمام عاصم... تبتسم له... تبادله نظرات الحب والشوق... ولكنها لم تكلمه قد... لم تمكنه من نفسها كي لا يظنها فريسة سهلة المنال...

هي تفهم تفكير من هم مثل عاصم جيدًا...

لذا كانت فاطمة تمشي بمبدأ "شوق ولا تدوق".

في النهاية بعد أن تعب عاصم من أن يحصل على شيء من فاطمة بعد ملاحقته إياها قرر أن يطلبها للزواج في عام ١٩٧٥

وبالفعل وافقت فاطمة مباشرة... وافقت على من تخيلت حياتها معه... سوف يجعلها تعيش حياة مرفهة ويشتري لها ما تشاء... سوف تسافر معه و....إلخ.

تم الزواج بعد شهر واحد فقط من الخطبة وكان الزفاف كبير جدًّا... حينها شعرت فاطمة أن الدنيا بدأت تضحك لها.

ولكنها عندما تزوجت اكتشفت أن الدنيا ضحكت عليها وجدت نفسها حبيسة شقتها ذات الأثاث الفاخر وكفى... وحرمت فاطمة من الخروج من شقتها تمامًا... حتى التليفون لم يكن في بيتها... منعها عاصم من كل شيء لأنه يحبها ومن فرط حبه يغير عليها بشدة وصار يعتبرها جزء من ممتلكاته الخاصة التي لا يحق لأحد أن يراها أو أن يكون له الحق بها سواه هو وكفى.

★★★

بالنسبة لعبدالحفيظ الذي بمجرد أن علم أن فاطمة وافقت على عاصم ظل حبيس غرفته لا يتكلم مع أحد لمدة شهرين ولكن بمجرد أن خرج قال لأمه بمنتهى القوة التي تتناقض مع انكساره الذي كان عليه بالأمس:

-أمي... أنا موافق على من تختاريها لي...

وبالفعل تزوج عبد الحفيظ بحليمة... التي لم تكن حليمة قط... كانت خبيثة... تستغل طيبته... كل صفات اللؤم بها.

حليمة حملت مباشرة وها هي مرت الشهور ولكنها ماتت أثناء ولادتها... أخذ ابنته منال وها هو يعاني لأن فاطمة ليست له وعندما قرر أن يعيش حياته رزق بحليمة القاسية وعندما حمد الله وقرر أن يرى الإيجابيات التي بها ذهبت حليمة وتركته مسؤول عن هذه الصغيرة منال...

إن حياته لا تتحسن أبدًا بل تزداد سوءًا...

وذلك جزاء من يحاول أن يعالج خطأ بخطأ... نحن لسنا في تحدي... وخاصة في أمر الزواج يجب على المرء أن يتمهل ويفكر كثيرًا.

خلال تلك السنة مازالت فاطمة لا تدري شيئًا عن أهلها ما زالت حبيسة شقتها التي بدأت تمل منها... وعندما كانت تشتكي لعاصم وتطلب منه أن تزور أمها يفتعل المشاكل معها وإذا أصرت يضربها... ولكن عندما يعود لها يأتي لها بهدية ما... في البداية كانت الهدية تهون عليها ما تمر به... ولكنها مع الوقت بدأت تشعر أنها مقيدة... يأتي هو لإشباع رغبته بحسنها ومن ثم يذهب لعمله... وفي مرة حاولت أن تخرج من دون علمه ولكنه كان يضع أحد لمراقبتها وعندما علم بخبر نزولها من دون علمه ضربها كالعادة... كان يحرمها من أبسط حقوقها... يحرمها من الحرية... ولا يوجد حق لأحد أن يقيد الآخر.

كان أبوها يتردد على محل عاصم من حين لآخر ويطلب منه أن يرى ابنته وكان عاصم في كل مرة يوافق على كلامه... ولكن لا ينفذ وعده أبدًا...

بعد مرور أكثر من سنتين على زواجها جاء يوم ذهبا به كل من أبيها وعبدالحفيظ ابن خالها إلى شقة فاطمة كي يخبرونها بأمر عاجل...

إن أمها مريضة جدًّا ويجب أن تأتي لزيارتها... لم تمر على زيارتهما خمس دقائق وكان أمامهما عاصم يستشيط غضبًا لأنهما أتيا إلى بيته من دون علمه... وعندما عرف السبب أن الأمر طارئ لم يعذرهما وطردهما.

حلف أب فاطمة إنه لن يخاطب عاصم ثانية ولن يدخل له بيت...

أخذ عبد الحفيظ زوج عمته ورحلا مكسوران غير قادران على قول شيء...

وكذلك عنفها وضربها لأنها فتحت لهما الباب...

تمر الشهور في وحدتها وحزنها حتى من دون أن تَحْمَل إلى الآن.

فجأة سمعت الباب يطرق بجنون... استغربت كثيرًا ومن ثم سألت من خلف الباب: "من الطارق..؟".

كان عبدالحفيظ الطارق على الباب... قال لها وهو يلهث وبصوت مجهش بالبكاء:

-فاطمة... أمك يا فاطمة...

لم يكمل كلامه إلا وفتحت فاطمة الباب وعلى وجهها ملامح الصدمة وكأنها تعلم ما سوف تسمعه ولكنها تحاول أن تنكر تفكيرها:

-ماذا...؟ ما... ما بها أمي...؟

يجهش عبدالحفيظ بالبكاء وهو مسندًا رأسه على الحائط باكيًا وأردف:

-ماتت يا فاطمة... ماتت... وكانت تريد رؤياكِ.

هنا صرخت فاطمة بعلو صوتها بكلمة واحدة... هزت صرختها النابعة من حرقتها على أمها هزت الحي بأكمله...

نزلت على الدرج وهي تصرخ وتضرب وجهها كمدًا وحزنًا وندمًا على أنها لم ترى أمها في آخر أيامها.

وعندما نزلت وقف أمامها الرجل الذي يراقب تحركاتها أول ما رأته أمامها دفعته بكل قوتها...

وما زالت تجري في الشارع حافيةً باكيةً صارخةً تلطم خدها... ووراءها يتبعها عبد الحفيظ.

وصلت بيتها وضمت جثة أمها وطلبت منها السماح... عانقتها عناق يعوضها عن الحرمان السنين التي مرت من دونها... تعانقها عناق كي يكفيها إلى ما تبقى من عمرها التالي...

جاء عاصم إليها وأراد أن يأخذها بالقوة ولكن في هذه المرة وقفوا له رجال عائلتها وفهموه الأصول أن يجب على فاطمة أن تظل معهم.

في نفس اليوم بكت فاطمة لأهلها وحكت لهم أنها كانت تتعرض للتعنيف... وطلبت منهم أن تتخلص منه... طلبت منهم أن يطلقوها منه... إنه مجرم... إنه يعاملها كأنها من العبيد... إنه حرمها من أمها و...

وبما إنها مدللة أهلها ولا يفعلون شيء سوى تنفيذ رغباتها وكفى... وافقوا بالفعل وبمجرد أن مر أسبوع على الوفاة... طلبوا أهلها من عاصم أن يطلقها ولكنه رفض بشدة... لذلك قاموا بالخلع... وها هي فاطمة خسرت كل شيء ولم تكسب شيء قط...

ولكن فجاءة ظهرت عليها أعراض الحمل ومع الوقت علم عاصم أنها حامل فهدد أهلها بأنه يريد الطفل الذي في بطنها... وإذا حرموه من طِفله سوف يحرمهم من ابنتهم فاطمة إلى الأبد بطريقته...

ها هي الشهور قد مرت في عام ١٩٧٨ جاء موعد الولادة... ولدت فاطمة في بيت أمها... وعندما علم عاصم أن زوجته تلد... جاء إليها مباشرة ولكن عبد الحفيظ ووالدها منعاه من الدخول لأن المكان كله حريم بالداخل ولكنه أصر وأردف:

لن أمشي إلا عندما أخذ طفلي حالًا...

وبمجرد أن سمع صوت بكاء الطفل جهزته الداية وأعطته إياه.

كان يظن عاصم بأنه بهذه الطريقة سوف يلوي ذراع فاطمة وسوف ترجع له لأنها تريد طفلها.

بمجرد أن أخذ الطفل عرف أنها بنت جميلة حسناء كأمها، عينها جميلة ذات خضرة وزرقة في آن واحد لذا قرر أن يسميها فيروز...

★★★

في نفس اليوم التي ولدت به فاطمة فيروز رزقها الله بعدها بعدة دقائق بطفلة أخرى وسمتها فاتن لجمالها وحسنها الأخاذ... رزقها الله بتوأم... أخذ عاصم فيروز وأخذت هي فاتن... ولكنه لم يعلم قط بأن له بنتًا أخرى... ظلت فاتن سر لا يعلمه أحد سوى من كانوا معها يوم ولادتها...

تعجب عاصم لأنه لم يجد فاطمة آتيةً متوسلةً إليه باكيةً كي تأخذ ابنتها...

علم عاصم أن هناك من تجدد لديهم الأمل في أن يتزوجوا فاطمة... لذا قرر أن يهددها بأنها إذا قررت أن تتزوج غيره سوف يقتلها هي ومن سوف تتزوجه...

مرت على ولادتها ثلاثة شهور وكرر عبد الحفيظ طلبه من جديد أنه يريد أن يتزوجها ولكنها رفضت هذه المرة ليس لأنها تكرهه بل هذه المرة رفضت خوفًا عليه من عاصم وأذيته...

لقد تغيرت فاطمة ١٨٠°درجة بعد ما مرت به مع عاصم صار لا يغريها لا المال ولا الجمال...كل ما تريده الآن رجل يحبها ويقف بجانبها في شدتها... رجل يصر عليها رغم رفضها إياه... رجل يفعل المستحيل من أجل أن يكسب رضاها... وكان هذا الرجل هو عبد الحفيظ.

ولكن عبدالحفيظ قال لها بلهفة عندما شعر أن هناك أمل في أن توافق عليه:

-لقد رتبت لكل شيء يا فاطمة... أنا فقط رهن اشارتك أن توافقي علي... أنا جاءت لي فرصة عمل في الخارج... سوف أعمل مدرس في الإمارات... ما رأيك نتزوج ونسافر سويًا أنا وأنتِ ومنال وفاتن.

وبالفعل بعد أسبوع تفكير وافقت فاطمة وتم الزواج من دون علم أحد سوى أبوها وأعمامها وحتى المأذون أتى للبيت ببدلة كي لا يلفت الأنظار... كي لا يأتِ لهم عاصم ويصفي دمهم جميعًا...

وبالفعل تم الزواج وسافرا وعاشت فاطمة مع عبدالحفيظ حياة زوجية أساسها المودة والرحمة واللين والسكينة.

مر الوقت وعلم عاصم أن فاطمة قد سافرت... كسر قلبه لفراقها... كان يظن أنها ستكون له من جديد.

في ذات السنة قرر أن يتزوج بمن تهتم به وترعى له ابنته حبيبته فيروز... وبالفعل تزوج ابتهال شابة في العشرين من العمر جميلة هي ولكنها ليست حسناء كفاطمة... طيبة هي ولكنها ليست مدللة كفاطمة... كان ما يؤرقه كثيرًا المقارنة التي يقوم بها بينها وبين فاطمة...

تمر السنين وتجارته تتطور أكثر ومحل الأثاث صار عدة محلات... إلى أن صار اسم الملواني للأثاث معروف في أرجاء الإسكندرية...

أنجب عاصم من ابتهال بنتين أمل وحنين وفي النهاية أخيرًا ختم بالولد كريم.

كان يحب أولاده ولكن فيروز هي التي كانت تسيطر على قلبه... كانت المقربة إليه وطلباتها مجابة...

لم يكن يتحمل بها شيء ولا يرفض لها طلب... لم يقيدها كما كان يقيد أمها، لأنه خاف أن يفقدها هي كذلك كما فقد فاطمة بسبب كثرة التحكم...

كانت فيروز تعلم أن ابتهال ليست أمها... لذلك دائمًا كان بداخلها شعور أن ابتهال لا تحبها... وتفرق بينها وبين إخوتها..

تحزن إذا رأت ابتهال تهتم بأحد من أولادها... من غيرتها وحقدها على إخوتها أن لهم أم وهي لا، لأن والدها قال لها أن أمها ماتت أثناء ولادتها... كانت تفتعل المشاكل وأحيانًا كانت تجرح نفسها لكي تشتكي لأبيها أن إخوتها لا يحبونها ولا يحبون اللعب معها... وإذا حاولت أن تلعب معهم يضربونها...

تحلف لأبيها وهي تنظر بعينيها البريئتين التي لا يقاومها أحد... تقسم له أنهم لا يحبونها ولكنهم يتصنعون الطيبة أمامه وأمام ابتهال...

في مرة عندما وصلت المرحلة الإعدادية... دخلت على إخوتها وكانوا يلعبون بالدمى الخاصة بهم... حينها كانت ابتهال في المطبخ مشغولة هي في أعمال المنزل... دخلت الغرفة وأغلقت الباب خلفها وقالت لها أمل بمنتهى الطيبة والسذاجة التي أخذتها من أمها ابتهال:

-تعالِي العبي معنا يا فيروز...

قالت لها فيروز مستحقرة إياها وهي تهم بإمساك الدمية وتهشيمها:

-أنا لست طفلة مثلكم.

حينها أمل كانت تريد أن تدافع على دميتها تريد أن تأخذها من فيروز... فسحبتها من يدها وقامت بدفع فيروز وهي تصرخ كي تترك دميتها.

وبالفعل وقعت فيروز من دفعة أمل لأن أمل كان نموها سريع وطويلة هي مثل أمها على عكس فيروز القصيرة مثل أمها فاطمة.

وعندما سقطت فيروز لم يصبها شيء ولكنها ضربت رأسها في زاوية المكتب فجرح رأسها...

في تلك اللحظة أتت ابتهال مهرولة بسبب صوت شجارهم.

صارت تصرخ من خوفها ومن ثم اقتربت من فيروز كي ترى جرحها... كانت تقترب وهي تصرخ في أمل وحنين.

وها هي قد أوشكت على الوصول لفيروز سمعت فيروز صوت مفاتيح أبيها... ودخل عليهم مسرعًا عندما سمع صوت صياح ابتهال... ولكن عندما دخل رأى ابتهال وهي تقترب من فيروز... لمحت فيروز أبيها ومن ثم بدأت تتصنع حركات الدفاع عن نفسها بيدها وهي تجهش بالبكاء المتصنع:

-كفى أرجوكِ... كفى... يكفي ما يفعلوه بي إخوتي... لمَ تفعلون كل هذا...

ومن ثم تصنعت فيروز أنها لمحت أبيها لتوها فهمت مهرولة إليه باكية في حضنه:

-أبي... إنهم يعنفوني... إنهم لا يحبوني...

كانت ابتهال تعطي ظهرها للباب حينما دخل عاصم ولكنها التفتت بمجرد أن هرولت فيروز له... وقفت ابتهال مكانها لا تستطيع أن تقول شيء... سوى أنها مصدومة مما فعلته فيروز.

بدأت أمل في توضيح الموضوع وهي تقسم:

-أقسم لك يا أبي لم أفعل لها شيء هي من بدأت وهشمت دميتي، ولكني دفعتها دفعة بسيطة ولكنها تصنعت السقوط ومن ثم جرحت نفسها... و...

قاطعها والدها بحزم وهو ينظر لهم جميعًا مصوبًا لهم سبابته مهددًا وهو يضم ابنته التي ينزف رأسها فلطخ الدم قميصه الأبيض... وأردف:

-لا يوجد أي منكم له علاقة بفيروز... كنت أظن أن ما تشتكي منه فيروز مجرد غيرة بنات ولكن أن تصل غيرتكم منها بجرحها هكذا... لن أعاقبكم هذه المرة... ولكن إذا تكررت ثانية لكم مني عقاب شديد...

ومن ثم حول نظره إلى ابتهال... وأردف:

-وأنتِ بدل من أن تعنفي من فعل تلك الفعلة الشنيعة ذهبتِ تعنفي فيروز... أنا تزوجتكِ كي تكوني أمينة عليها... من اليوم لا تخالطي فيروز أبدًا كل ما عليكِ أن تقومي بواجبكِ تجاهها الذي تزوجتكِ بسببه وكفى...

لم تدافع ابتهال عن نفسها ولكن امتلأت عينها بالدمع وأردفت وهي مصدومة:

-يعني أنت تزوجتني من أجل هذا السبب فقط...؟

تأفف عاصم وأخذ ابنته فيروز وأردف متمتمًا وهو يهم بترك البيت:

-هذا ليس وقت مناسب لتلك الأسئلة التافهة ومن ثم نزل هو وفيروز للمشفى كي تخيط جرحها الموجود في أعلى جبهتها...

كانت فيروز تفتعل الكثير من المشاكل لأخوتها مثل أن تسرق كراساتهم... أو تقوم بقطعها لهم... وأحيانًا تقوم بإضافة الكثير من الملح في الطعام وقد أوشك أبيها على الوصول... كانت ابتهال تعلم أن فيروز من تفعل ذلك ولكن لم تكن تشتكي منها قط لأنها تعلم أن أبيها يحبها...

فكانت ابتهال تحاول أن تتصرف من جديد قبل أن يعود عاصم.

ولكن أحيانًا أثناء تناول طعامها تضيف الكثير من الملح وتقول إن طعامها لا يستساغ... وتبكي لأبيها وتقول أن ابتهال لا تحبها وتريدها أن تكره حياتها...

ولكن بمنتهى الهدوء تقوم ابتهال بتحضير طبق آخر لها.

كانت ابتهال هادئة متزنة.

وكان عاصم يعلم أن فيروز تبالغ ولكنه يحبها ويدللها ولا يفعل شيء سوى مسايرتها وتدليلها أكثر...

كانت هي من تجلس بجانبه على السفرة... كان ينظر لفيروز أكثر بكثير مما ينظر لابتهال... ولكن ابتهال كانت مقدرة ذلك لأنها عاقلة ومتعلمة.

كانت فيروز تستمتع بتدمير أشياء في البيت كي ترى ابتهال وهي تحوس في إصلاحها... كانت تفعل ما تشاء لأنها تعلم أنها لن تشتكي منها... ولن تستطيع أن تترك البيت أو أن تطلق لأنها لن تجد حياة مرفهة مثل التي تعيشها مع عاصم.

ولكن للحق أن ابتهال كانت تحب عاصم وكانت تتحمل كل ذلك من أجل حبها له... وهو كذلك يحبها... يحبها فقط... ولكن حبه لها لم يصل إلى مرحلة العشق قط...

تمادت فيروز في دلالها أكثر وفي يوم قامت بضرب رأسها في الجدار وقامت بتمزيق ملابسها وجرحت يدها بأظافرها وبعد المدرسة ذهبت لمعرض أبيها وقالت له وهي تجهش بالبكاء:

-لقد ضربوني يا أبي... دائمًا يعاملوني بقسوة ويكرهوني لأني أجمل منهن... يغيرن مني ويحقدن علي... أنا لا أريد أن أذهب للمدرسة ثانيةً...

طلب منها أباها أن يعرف من فعل بها هكذا لكي يقوم بشكوى ضدهن ولكنها لم تفصح عن أسمائهن وكررت طلبها الجديد أنها لا تريد الذهاب للمدرسة... وافق أباها لأنه لا يستطيع أن يقول لا أمام عينيها الفيروزيتين... ولكنه عرض عليها أن تذهب للامتحانات فقط ويأتي لها بالمدرسين في البيت.

وافقت فيروز ولكنها لم تكن ترغب أن تدرس ثانيةً.

بمجرد أن مر شهر اختلقت سببًا آخر لأبيها بأنها لا ترغب في أن يأتوا المدرسين إلى بيتها بحجة أنهم يصفونها بالغباء... بل الحقيقة هي من كانت تعامل المدرسين بأسلوب فظ غير لائق أن يتعامل به مدرس... لذا قرر أبيها أن يوافق ولكن طلب منها أن يجب عليها أن تتعلم... لذا كان يشتري لها الامتحانات من المدرسين فاقدين الذمة والشرف... ها هي

تحفظ الصفحتين وتذهب للامتحانات وكفى وصارت من المتفوقين مرة واحدة.

ها هي فيروز المدللة... لا زالت تزيد في دلعها... ولكن بمجرد أن دخلت الثانوي... قد سئمت من المواقف الصبيانية التي تقوم بها مع ابتهال... لقد ملت منها لأنها رأت أنها لا تجدي نفعًا...

لذا صارت أغلب يومها مع أبيها في المعرض... وتعلمت من أبيها أصول العمل... كانت تحب أبيها بجنون وأبيها كان يهيم بها حبًا...

لم تسمح فيروز لأحد أن يدخل حياتها... لم تكن تحتاج من يعطيها الحب... معروف أن أغلب البنات تذهب للخارج كي تبحث عن الحب التي تحرم منه في بيتها... ولكنها تعيش معنى الحب والدلال مع أبيها لذا لم تكن تحتاج لا أحباب ولا أصدقاء... كان أبيها بالدنيا كلها بالنسبة لها...كسرت قلوب شباب أسروا بجمالها... بل ورفضها لهم جعلهم يتمسكون بها أكثر... فأغلب البشر يزيد تعلقهم بك إذ تجاهلتهم.

صار روتين يومها أنها تستيقظ باكرًا وتذهب لشرب قهوتها في النادي أمام البحر مباشرةً... تقرأ الجريدة أو إحدى الكتب ومن ثم تذهب إلى المعرض وتباشر العمل مع أبيها...

إلى أن يأتي وقت الغداء فيعود أبيها لتناول الغداء في البيت وهي تتناول الغداء بمفردها في إحدى المطاعم التي تطل على البحر وتكمل قرأتها قليلًا ومن ثم تعود لكي تكمل عملها...

لقد صارت متجاهلة ابتهال وإخوتها تمامًا... يومها بمفردها أو مع أبيها... كل ما يهمها في الحياة أن تكون مع أبيها وكفى.

ظل الحال هكذا إلى أن قابلت أحمد الذي غير تفكيرها...

شعرت أنه مميز عن البقية، إنه شاب في الثلاثين من العمر ولديه نضج رجل في الأربعين وروح مرحة لشاب في العشرين... وفي ضعفه أمام عينها

تشعر بأنه طفل في الثالثة يحتاج اهتمامها... لم تقاومه من أول لقاء... وسمحت له أن يدخل قلبها الذي لم يدخله أحد قبله سوى أبيها عاصم.

وبالفعل تمت الخطبة وكثرت اللقاءات...

ها هي فيروز تتكلم في الهاتف الموجود في غرفتها وتتفق على موعد القاء... وها هي تتحدث مع نفسها في مدخل العمارة وكأن هناك من بجوارها... ها هي تصعد في مصعد العمارة وهي تنظر بجانبها رافعة رأسها وكأنها تنظر إلى من هو أطول منها... تنظر له نظرة فرحة وتضحك من قلبها من فرط السعادة...

وها هي تفتح الشقة... ها هي تضحك وكأن هناك من هو خلفها ويقوم بمعانقتها ويهمس لها في أذنها... ها هي تثني رقبتها اتجاه اليمين وكأن هناك من يقبلها...

وها هي تهرب ضاحكة ولكن... ها هي تمد يدها وكأن هناك من يسحبها لغرفة النوم...

ها هي تقوم بخلع ملابسها وكأن هناك من يفعل ذلك و...

★★★

قالت ريحانة خجلة خائفة للمهدي:

-يكفي... يكفي هذا يا مهدي أنا أفهم جيدًا ما حدث... إن أمي هي من فعلت ذلك في نفسها... إن أمي ليست خائنة كما ظن أبي... وأبي لم يكذب عليّ بكلمة... بل إنه رجل عظيم لأنه أكمل في علاقته بأمي بعدما ظهر بها هذا العيب الذي يرفضه مجتمعنا الشرقي بشدة...

دعنا نكمل ونرى ماذا حدث بعدها...؟

★★★

ها هي الأيام تمر وتزوجت فيروز وها هي المشاكل تحدث بسبب الغيرة، تمر الأيام حتى اليوم الذي جاء فيه أحمد ودخل على فيروز في غرفة النوم وشك أن معها أحد أو تتكلم مع أحد في الهاتف ولكن بالفعل أن فيروز وحدها في الغرفة وتتصرف كأن هناك من معها في الغرفة...

بالفعل الأحداث تمر أمام عين ريحانة وترى ما حكاه أبيها بالضبط، وبالفعل فيروز هي من تفتعل المشاكل ولكن السبب لازال مجهول...

تمر الأيام حتى حدث الانفصال... ظلت فيروز بعد الانفصال شهر لا تتكلم مع أحد... ولكن قررت في النهاية أن تذهب لطبيب نفسي كما كان يقول لها أحمد دائمًا... أحمد دائمًا كان يقول لها أن ما تراه هو ما تظنه هي فقط... كل ذلك مجرد ظنون وإنها يتوهم لها... وأنه لا يخونها... ولكنها دائمًا كانت تشعر بالإهانة عندما يقول لها هكذا.

قررت أن تذهب إلى طبيب نفسي... وحينها حكت للدكتور ما عانت منه أثناء طفولتها وزواجها...

★★★

نظرت ريحانة إلى المهدي مستغربة:

-يا مهدي... إن أمي تحكي الأمور ليس كما رأيناها... إنها تكذب و...

قاطعها المهدي موضحًا:

-لا إنها لم تكذب في شيء بل إنها تحكي ما كانت تراه هي وما كانت تشعر به... وسوف تفهمين لِمَ الآن...

بالفعل كانت فيروز صادقة في كل كلمة قالتها... لم تكن تكذب قط فيما تشعر أو فيما تراه... ولكن ذلك ما كانت تراه هي فقط...

في طفولتها كانت تعاني من الاضطراب الاضطهادي بحيث تشعر أن كل من حولها يكرهونها... ولا يتقبلونها... مع أن هذا عكس الواقع كانت

ابتهال وأمل وحنين وكريم يتحملون تصرفاتها الغريبة وكانوا يحبونها... لأن ابتهال ربتهم على الطيبة واللين وحب الجميع لا هي فقط.

كانت يخيل لها بالفعل أن المدرسين والطلاب يكرهونها ولكن الحقيقة هي من كانت تجلس بمفردها وإذا اقترب لها أحد تفتعل المشاكل وتكون ردة فعلها عدائية وتضرب من حولها ولكنها تعود للبيت وكأن هم من اعتدوا عليها.

مع المدرسين في بيتها كانت يهيئ لها أنهم يسبونها وينعتونها بالصفات السيئة ولكن في الواقع هي من كانت تفعل ذلك...

إن فيروز مصابة بإسقاط... ما تفعله هي تسقطه على غيرها...

كانت تؤذي زوجة أبيها وتظن أن زوجة أبيها من تؤذيها.

وبمجرد أن ارتبطت بأحمد تفاقم الأمر معها وصارت مصابة بالاضطراب التوهمي...

لذا تخيلت نفسها كلمت مع أحمد وتقابلت معه في الشقة... كان توهمها يقنعها أنها بالفعل مع أحمد وكأنها تراه وكأنه معها وتشعر به بالفعل وبكل حواسه..

ولكن ذلك لم يكن حقيقي إلا في نظرها هي فقط.

وبالفعل بعد الزواج كانت ترى أحمد وهو يغمز أو يتكلم مع غيرها... كل ذلك في خيالها هي وحدها... ولكن تعبها النفسي يوهمها أن ما تراه حقيقي.

كانت تحب أحمد بجنون لدرجة في أوقات غيابة في العمل يخيل لها أنه ترك العمل مبكرًا وعاد لها... لذلك شك بها أحمد... ولكنها كانت صادقة بأنه هو الذي كان معها.

وبالفعل كانت صادقة في أن ريحانة ابنته ولكن كل ما في الأمر أنه عندما ذهب لعمل فحص

DNA

قامت الممرضة باستخدام العينة الخطاء مع عينته لذا كانت النتيجة بالسلب.

تمر الأيام ومازال تعبها النفسي يأكل في روحها وكان يهدد راحتها وعلاقتها بأحمد لدرجة أنها كانت تتصنع أدلة بيدها كي تثبت أنه يخونها... كله وهم في وهم... كله في عقلها هي وحدها وهي لا تظن أنها تفعل ذلك قط.

عقلها يعمل فقط عندما يرى الأدلة ولا تتذكر أنها من كانت تفعل ذلك...

تكرر ذلك كثيرًا إلى أن جاء اليوم التي دخلت به عمارة بمفردها ووقفت في مدخل العمارة وكأنها تتحدث مع أحد وخرجت وهي منهارة بالبكاء... في المساء ذهبت المطعم وراء أحمد وهناك كان أحمد مع صديقه هاشم بالفعل... ولكنها كانت ترى أنه يجلس مع امرأة... تلك المرأة التي توهمت أن البواب أخبرها أنه متزوج منها.

كأن عقلها قرر أن يختلق هذا المشهد كي ينتهي هذا الزواج.

تكررت جلسات فيروز مع الطبيب والطبيب لا يفعل شيء سوى أنه يسمع لها أكثر مما يتكلم... واستمرت على الأدوية لعدة شهور وفي النهاية تحسنت حالتها...

★★★

بعدها استطاعت أن تكون مسؤولة عن عمل أبيها من جديد ومسؤولة هي عن إخوتها الذين صاروا يساعدونها كذلك... وأخيرًا صارت ترى الأمور على حقيقتها... صارت ترى كم هم يحبونها...

صارت مشغولة هي بعملها ولكن من وقت لآخر تحاول أن تعوض ابنتها عن انشغالها... ها هي السنين تمر وهي لا يهمها إلا أن توفر كل سبل الرفاهية لابنتها وكفى...

ولكن الحقيقة أن ابنتها كانت كل ما تحتاج إليه الجو الأسري وكفى... بدلًا من وحدتها وشرودها أغلب الوقت.

انتبهت فيروز بشدة إلى بنتها بعد أن دخلت في حالة إعياء شديدة بسبب علاقة عاطفية فاشلة ولكنها لم تكن تعرف السبب قط... ولكن صديقتها الطبيبة النفسية طلبت منها أن تراقبها جيدًا...

ولكنها بالفعل كانت ترى ابنتها تجلس على البحر أو على الكورنيش بمفردها ولكنها تتحدث وكأن هناك شخص ما.

خافت عليها أن تكون ابنتها مثلها... لديها اضطراب توهمي.

★★★

هنا صدمت ريحانة عندما رأت نفسها بالفعل لا يوجد أحد معها على الصخور... ولا يوجد من يمشي بجوارها على الكورنيش.

نظرت إلى المهدي مصدومة ولكنها صدمت أكثر عندما لم تجده... صارت تنادي بجنون:

-يا مهدي... أين أنت...؟ إلى أين ذهبت وتركتني وحدي... مهدي... مهدي...

★★★

(١٧)

ريحانة... اهدئي...

قالت ذلك الدكتورة سلوى وهي تأمر الممرضتين بالخروج لكي تكون بمفردها مع ريحانة...

في تلك اللحظة أفاقت ريحانة من نومها وقالت باكية:

-مهدي... أين المهدي...؟

قالت لها الدكتورة سلوى بهدوء:

-اهدأي يا ريحانة لا وجود للمهدي صدقيني...

نظرت لها ريحانة باكية وأردفت:

-إن المهدي حقيقي... كنت معه وعرفت منه أشياء أستطيع أن أقولها لكِ لكي أثبت لكِ أنه حقيقي...

-قولي لي وأنا كلي أذان صاغية...

★★★

وبالفعل حكت ريحانة كل ما مرت به للدكتورة سلوى.

نظرت لها الدكتورة سلوى باندهاش وأردفت:

-كل ذلك صحيح يا ريحانة و...

قاطعتها ريحانة بدهشة وأردفت:

-أقسم لكِ أن كل ما أمر به حقيقي ولكنه ليس واقعي... يمكن أنا مختلفة عن من حولي و...

قاطعتها د. سلوى وأردفت بهدوء:

- ريحانة حان الوقت كي تسمعيني... لقد سمعتك كثيرًا...

أن ما تمري به حقيقي... ولكنه حقيقي في عقلك فقط... إنما في أرض الواقع لا وجود ولا أثر له...

إنكِ مصابة باضطراب توهمي...

علاقتك بهيكل و د. كرم كانا علاقتين حقيقتين كنتِ تريدين أن تهربي بارتباطك بهما من الواقع... كنتِ ترغبين في الحصول على الاهتمام والحب من الجنس الآخر الذي حرمتي منه...

ولكن بعد أن فقدتِ د. كرم الذي كان يعني لكِ الحبيب والأب شعرتِ بفقد وفراغ كبير لذا عقلك اختلق شخصية المهدي...

صرخت ريحانة وصاحت:

-أنا لست مجنونة إن المهدي حقيقي... لا أتوهم... لا أتوهم...

ومن ثم بكت وهي تنظر إلى السقف وتجهش بالبكاء وتقول بحرقة:

-تعال يا مهدي... تعال وخذني معك... لم أعد أتحمل ذلك العالم الذي يظن أني مجنونة...

في هذه اللحظة سمعت ريحانة صوت الباب يفتح... وآتى إليها المهدي وكان يرتدي في هذه المرة ملابس مختلفة عن التي كان يرتديها في آخر لقاء وصار يأتي لها بها دائمًا... لم يهمها الملابس ولكنها قامت من سريرها وعانقت المهدي وهي تبكي له بحرقة:

-خذني معك يا مهدي أرجوك... و...

قاطعها صوت د. سلوى وهي تقول:

-تعال يا مهدي... تعالِي يا ريحانة.

خرجت ريحانة من حضن المهدي ونظرت لدكتورة سلوى وسألتها مستغربة:

-هل... هل ترين المهدي...! إنه حقيقي... صدقتِني الآن... إن المهدي حبيبي أكيد خفض ترددات جسده الأثيري لذلك رأيته... إن المهدي قد جاء لكي يثبت لكي أني لست مجنونة.

قالت د. سلوى بمنتهى الاتزان وعلى وجهها ابتسامة:

-حسنًا... تعالا واجلسا... ودعيني أكمل كلامي يا ريحانة إذا سمحتِ...

جلسا كل من المهدي وريحانة على الأريكة الملحقة في الجناح الخاص بها وكانت د. سلوى تجلس في الكرسي الذي أمامهما ومن ثم شرعت في الكلام وهي تبتسم ضاحكة:

-الآن أريدك أن تخرج يا مهدي... اعذرني اتعبتك معي...

نظر المهدي بحيرة فأنه لا يعلم شيء ومن ثم أردف مستغربًا:

-حاضر... حاضر يا خالتي... أقصد يا د. سلوى...

ضرب رأسه بكفه ضاحكًا ضحكته المتزنة الرزينة ومن ثم خرج.

بعد أن خرج المهدي من الغرفة... نظرت د. سلوى من جديد إلى ريحانة التي لم تبعد عينها عن المهدي أثناء خروجه... ولكن د. سلوى أفاقتها من شرودها بطقطقة أصابعها أمام عيني ريحانة ومن ثم قالت برزانة وهي تضع ساق فوق ساق:

-أنتِ تعلمي أني خالة المهدي أليس كذلك...؟

-نعم أعلم... أعلم ذلك من أول لحظة رأيتك بها وعرفت اسمك... لذا كنت أريد أن أرحل من هنا.

-ولكن لمَ لم تقولي لي...؟ ولمَ عندما حكيتِ مغامرتك مع المهدي لمعرفة طفولته وحياته لم تذكري الاسماء... تعرفين أنكِ كل ما كنتِ صادقة أكثر كل ما تسهلين الموضوع عليّ كي أشخص حالتك...

ولكن الحمد لله قد وصلت للحل ولكن سؤالي الآن... لمَ لم تقولي لي...؟

توترت ريحانة ونظرت أرضًا وهي تشعر بالذنب:

-لأني لم أرغب أن تشعري بأني أنا السبب في انتحار ابن أختك...

نظرت لها د. سلوى بتفهم ومن ثم أردفت مكملة كلامها:

-كنت أقول لكِ يا ريحانة قبل أن يدخل المهدي أني كنت أظن أن المهدي شخصية وهمية قد اختلقها عقلك كي تعوضي نفسك عن الفراغ

الذي شعرتِ به... وفي النهاية زاد معكِ الاضطراب التوهمي بأنه كما اختلق لكِ وجود المهدي كي يعوضك عن الحرمان الذي تشعري به... أختلق الاضطراب التوهمي انتحار المهدي كي تدخلي في مرحلة اكتئاب رهيب بسبب فقدك المهدي فتصلي في النهاية إلى الانتحار بحجة أن روحه هي التي قالت لكِ ذلك و...

قطاعتها ريحانة وهي غاضبة:

-كل ما قلته لكِ وما زلتِ تظنين أنه يخيّل لي... أتتوقعين أن من الطبيعي أني أعرف كل هذه التفاصيل عن أحد لم أقابله أبدًا... بعد كل ما حكيت لكِ عن حياة المهدي وعن حياة أمي... ألا تجدين أني مميزة عن من حولي... ألا تظنين أن حبي أنا والمهدي مختلف عن الجميع... إن روحي تعلقت بروحه لدرجة عندما جاء الموت لأحدنا تريد الروح أن تأخذ نصها الثاني معها...

إن الذي بيني أنا والمهدي ليس حب عادي بل إنه حب أبدي.

أمسكت د. سلوى بيد ريحانة كي تجلسها وبالفعل جلست ريحانة... ومن ثم قامت د. سلوى بإحضار علبة الحبوب المهدئة الخاصة بريحانة وأحضرت كوب ماء... ومن ثم مدت يدها بالماء وعلبة الدواء المفتوحة لريحانة ولكن ريحانة دفعت يدها بقوة... مما أدى إلى سقوط الكوب والحبوب أرضًا... ولكن د. سلوى تنفست الصعداء ومن ثم جلست على الكرسي وعادت تتكلم بهدوء إلى ريحانة التي صوبت نظرها إلى النافذة المطلة على الحديقة الخضراء:

-حسنًا سوف أعود لِمَا كنت أقوله يا ريحانة... أنا كنت أظن أن المهدي شخصية وهمية تمامًا وذلك لما أظهرته الفيديوهات المسجلة لكِ... حتى اليوم الذي ظننتِ أن المهدي قام بالانتحار به بسبب سوء التفاهم... يومها فيروز كانت في سيارة مختلفة متخفية تراقبك وتصوركِ لي بالكاميرا

التسجيلية ومن ثم اتصلت بكِ فرأتك تأشرين لأحد كي يسكت ولم يكن معكِ أحد.

وكذلك سألت في المكان الذي دائمًا تجلسين به عن أي امرأة تقرأ الكف ولكن كلهن يبعن الورد وكفى... كل هذا أثبت لي أنكِ تتوهمين...

ولكن بعد أن استمعت إلى التسجيلات الخاصة بكِ فكرت بأن هناك أمر يجب أن أتأكد منه ومن ثم أحكم... وبالفعل ذهبت إلى البنك وطلبت منهم أن يعرض لي تسجيلات الكاميرا الخاصة باليوم الذي قابلتي به المهدي...

وبالفعل رأيت تسجيلات الكاميرا التي تخص العملاء الذين تعاملتِ معهم يا ريحانة...

وهنا كانت الصدمة... عندما رأيت الفيديو... كان المهدي الذي تتحدثين عنه هو ابن اختي فاتن...

هنا فهمت حالتك يا ريحانة أن المهدي شخصية حقيقية ولكنكِ توهمتِ كلامه لكِ وحبه وإعجابه بكِ...

لأن في ذات اليوم عندما اتصلتِ أنتِ بالمهدي وفجأة وجدتِ أن الخط قد أغلق في وجهك... ولكنكِ ظننت أنكِ أغلقتِ الاتصال قبل أن يرد، كان في هذه اللحظة تعرض المهدي للسرقة... قد سرق هاتفه أثناء رده على الهاتف... ومن سرق الهاتف قام بكسر الخط تمامًا.

وهذا ما عرفته من المهدي عندما حاولت أن أذكره بكِ.

ولكنه أنكر أنه اتصل بك أو تعرف عليكِ حتى وكيف يتصل بكِ والهاتف الذي به رقمك عندما اتصلتِ به قد سرق...

وكل ما حدث بعد ذلك كان توهمًا يا ريحانة والدليل على ذلك سجل مكالماتك في شركة الاتصالات الخاصة بكِ... لم تذكر مكالمات لهذا الرقم سوى ما ذكرته لكِ.

نظرت ريحانة باستسلام لها وأردفت:

-أنكِ تريدين أن تثبتي أني مجنونة لأن ما أمر به لا يمكن إثباته علميًا سوى بالجنون... وأي شيء يعجز عن شرحه العلم يسمى وهم أو جنون أو لا وجود له...

وللحق لا أدري ماذا اسمي ما أمر به مع المهدي... ولكنه ارتباط روحين نشأ بسبب الحب الاسطوري مما جعلني أعيش مغامرات لا تخطر على بال بشر... مغامرات مريت بها لا يستطيع أحد أن يقوم بها... سافرت بالزمن معه... رأيت بأم عيني تاريخ عائلتنا... وأنتِ تعلمين أني صادقة وكل ما قلته صحيح.

قامت د. سلوى وجلست على الأريكة أمام ريحانة وأردفت:

-أعلم إنكِ صادقة... أنا لا أريد أن أثبت إنكِ مجنونة ولكني درست الموضوع من كافة النواحي... وبالفعل إن روحكِ لها قدر من الشفافية العالية... وذلك بسبب كثرة تأملك لسنين وسنين مما خلق مرحلة من الصفاء الذهني التي تجعل روحكِ مؤهلة على الانتقال من مكان لآخر ومن زمن لآخر... أنتِ مميزة عن من حولك يا ريحانة ولكن اختلطت موهبتك بتعبك النفسي والنتيجة التي سوف تصلين إليها هي الانتحار... إن كلامي ذا لا يصح لطبيب نفسي أن يقوله ولكني أصدق وآمن بالماورائيات والأمور الروحية وذلك بسبب ما حدث لأختي... صرت أدرس وأتوغل في علم الروح الذي يرفضه أغلب العلماء... ولكن أنا كمؤمنة بالله والرسول أصدق تلك الأمور لأن القرآن ذكر فيه عن الروح والجن... إذًا كان يجب عليّ أن أصدق وأترك لعقلي مجال لفهم هذه الأمور بدلًا من الرفض التام مثل أغلب العلماء.

نظرت لها ريحانة بحزن ومن ثم نظرت أرضًا وأردفت موضحة:

-أنا لن انتحر... أنا سوف أذهب مع المهدي صدقيني.

ابتسمت لها د. سلوى وهي تمسك يدها برفق ولين:

-كيف تذهبين إلى المهدي وهو هنا...؟

نظرت لها ريحانة باستغراب ومن ثم أردفت:

-كيف هنا...؟ إن روحه ظهرت فقط لكِ لأني طلبت منه أن يحضر... وهو أثبت لكِ أنه موجود بأنه خفض تردد...

اسكتتها د. سلوى برفق وهي تضع سبابتها أمام شفاه ريحانة:

-صه... المهدي دخل لأني أتصلت عليه... وأنا اتفقت معه أن يدخل إذا اتصلت به...

شعرت ريحانة أن عقلها قد توقف عن التفكير ومن ثم سألت بدهشة واستغراب:

-ولكن المهدي... المهدي انتحر أمام عيني أقسم لكِ و...

قاطعتها د. سلوى ضاحكة وأردفت وهي تمشي اتجاه الباب كي تفتحه:

-وإنه ابن اختي وأعلم أنه لم يصبه شيء... يعني منذ قليل كنت أقول لكِ أني سألته إن كان يعرفك أم لا... هل يمكن أني كنت أتكلم مع شبح ابن أختي...!

هذه القدرة لا يمتلكها الجميع يا ريحانة.

ومن ثم التفتت وفتحت الباب ودخلت فيروز ومن ثم دخل أحمد والمهدي ومن ثم سألت د. سلوى وعلى وجهها تلك الابتسامة البشوشة التي لا تفارقها:

-ها ماذا تريدين الآن يا ريحانة...؟ تريدين أن تتركي الحياة من أجل وهم... أم تريدين البقاء هنا مع أسرتك التي وأخيرًا جمعهم القدر... ها هو حلمك تحقق... وها هو المهدي الذي حلمتِ به قبل أن تلتقي به... إنه ما زال بخير ويمكنك أن تبدئي معه حياتك التي رغبتي بها...

وقفت ريحانة بمجرد أن رأت المهدي أمامها مستغربة واقتربت منه ومن ثم صارت تلمس ملامحه وتسأله:

-هل أنت على قيد الحياة يا مهدي...؟

ابتسم لها مستغربًا:

-إن لم أكن على قيد الحياة... كيف لي أن أكون أمامك يا روح وريحان من جنات النعيم.

ابتسمت ريحانة لابتسامة المهدي ومن سألته مستغربة:

-ماذا تقصد...؟ لا أفهم ما تقوله يا مهدي...!

أمسك المهدي يدها ومن ثم أردف موضحًا لها وعينيه المكحلتين مصوبتين لعينها لا تفارقها أبدًا:

-أقول لكِ ما كانت تقوله لي أمي في منامي... كانت تقول لي دائمًا: "سوف تقابل بنت جميلة، بنت اسمها آتى من الجنة... وسوف تشعر بأنها نقية...".

كانت تقول لي : "معها سوف تجد روحي وشكلي".

وبالفعل بمجرد أن قابلتك لأول مرة رغبت أن أقترب منكِ ولكن أنا خجول بشدة... لأني لا أفعل شيء سوى العمل ولم ارتبط قط لأني أرغب أن ارتبط بمن أشعر بروح والدتي بها.

وبمجرد أن رأيتك شعرت أن روحها بداخلك.

وعندما وجدت اتصال من رقم غريب تمنيت أن تكوني أنتِ وبالفعل كنتِ أنتِ... كنت متوتر جدًّا عندما رددت ولكن القدر منعني من أن أنطق بكلمة وسرق هاتفي...

قلت في قرارة نفسي إذا شاء القدر أن يجمعني بكِ مرة أخرى سوف ألتقي بكِ.

ولكن عندما ذهبت إلى البنك بعد شهر... وكان عندي أمل أن يتجدد اللقاء من جديد ولكن لم أجدك هناك... لم أرغب أن أسأل عليكِ لأني لم أكن أعرف اسمك قط... وأنا أخذت صفات العرب في الخوف على سمعة البنت... وهذا مكان عملك... ولكن حينها قلت في قرارة نفسي يمكن أنكِ لستِ من قالت لي عنها أمي...

لذلك القدر أبعدكِ عني... وغير ذلك لم تتحقق نبوءة أمي أن أجد شكلها بكِ.

عندما رأيتكِ وجدت روح لمست روحي فقط.

ولكن بمجرد أن جئت اليوم رأيت أن والدتكِ تشبه أمي إلى حد كبير ولكن أمي شعرها بني ذهبي ووالدتكِ شقراء.

حينها قاطعته فيروز ضاحكة:

-لمَ هذا الإحراج يا مهدي...؟ إن شعري بالفعل بني ذهبي ولكني أحب أن أصبغه أشقر...

ومن ثم أمسكت بيد أحمد وقالت له بوهن:

-يبدوا أن كلامهما سوف يطول... تعال نجلس على الأريكة.

ومن ثم نظرت لهما د. سلوى ضاحكة ومن ثم أردفت لفيروز بمنتهى الثقة:

-إن أمه ليست تشبهك فقط... بل هي أختك التوأم...

هنا صدموا الموجودين إلا ريحانة ولكن سرعان ما تصنعت فيروز الضحك وأردفت:

-أنتِ تقصدين أن من كثرة الشبه أننا مثل التوأم...!

ردت عليها د. سلوى موضحة بابتسامتها:

-لا... بل أقصد أنها أختك التوأم بالفعل...

بمنتهى الاستغراب تقول فيروز:

-ولكني ليس لدي إخوة توأم... إن أمي ماتت وهي تلدني... ولدتني أنا فقط...

حكت د. سلوى كل ما عرفته من ريحانة...

بكت فيروز من المفاجأة... لا تصدق أنها لها أم على قيد الحياة وأخيرًا سوف ترى أمها وتشبع من حبها الذي حرمت منه... ولكن بعد أن هدأت فيروز من تلك المفاجأة تسألت هي وكل من في الغرفة كيف لريحانة أن تعرف ذلك...

قالت لهم د. سلوى مبسطة الأمر:

-أسمعتم عن بعض الأشخاص الذين يطلقون عليهم بأنهم أهل الخطوة... أولئك الأشخاص الذين يمكن أن يكونوا في مكان وفي مكان آخر في نفس الوقت...

أن أولئك الناس قلة قليلة ووصلوا لمرحلة متقدمة جدًّا من ارتقاء الروح والنقاء الروحي والذهني... إنه أمر يصعب شرحه ويصعب تصديقه ولكن كل ذلك تجمع في ريحانة... سبحان الله، ظروفها أثرت في روحها بالسلب والإيجاب في نفس الوقت... ولكن السلب ساهم في العلاج وبجودكم جانبها ستكون بخير.

وبالنسبة لقدرتها الخارقة أكيد مع المهدئات سوف تريح عقلها وتفكيرها لأن هذه الحالة طرأت عليها بعد ظهور المهدي... لا أدري أكان لفاتن دور في هذه القدرة التي صارت ريحانة تتسم بها أم لا...

هذا احتمال غير بعيد...

يمكن فاتن فعلت كل ذلك كي تكشف كل شيء عن المهدي وكي تفهم ريحانة ما يحتاج إليه المهدي...

يمكن أن تكون فاتن هي من فعلت ذلك كي تجمع فيروز بأمي من جديد... كي تكون فيروز هي العوض لأمي عنها أي(فاتن)... وتكون فيروز هي العوض للمهدي لتكون له مثل أمه (فاتن)..

إن احتمالات أن تكون فاتن هي من فعلت ذلك كثيرة...

بسبب ما فعلته كذلك أنها جمعت فيروز وأحمد من جديد وذلك بعد أن أثبتت أن ريحانة ابنته بعدما قمت بأخذ عينه من ريحانة وعينة منه وأثبت الفحص أنها ابنته.

لأني كثيرًا حاولت مع فيروز أن تتكلم مع أحمد كي ترجع الحياة بينها من جديد، ولكن كبريائها كان يمنعها... كانت تقول لي دائمًا أنه إذا كان يريدها لكان حاول أن يعود إليها...

وكيف يعود إليها وهي من أخطأت في حقه كثيرًا...

إن المرء يمكن أن يسامح مرة اثنين وثلاثة... ولكن أحيانًا يصل المرء لمرحلة لا يستطيع أن ينظر وراءه من جديد.

ولكن أحمد نظر وراءه من جديد لأنه سبب النجاة لأبنته.

وبسبب كبرياء فيروز يا ريحانة عندما وجدت أن السنين تمر وأحمد لم يعد لها... لذا استمرت في تشويه صورته في نظركِ كي لا تفكري به...

كانت فيروز تريد أحمد هو من يعود إليكما...

إن ما حدث لريحانة عاد علينا جميعًا بالفائدة وهذا طبع فاتن... معروفة هي من تفكر في غيرها دائمًا...

وأكيد هي من كانت تساعدني في حل هذه الحالة وأكيد هي من جمعتني بفيروز منذ عامين عندما كنت أعبر الطريق وكادت تصدمني ومنذ حينها شعرت أنها قريبة مني وصارت صديقتي.

ولكن برغم ذلك لم أشك أنها أختي... أعرف أن اسمها فيروز الملواني ولكن يوجد الكثير من عائلة الملواني.

دائمًا كنت أقول لها أنها تشبه أختي فاتن رحمها الله.

ولكني لم أشك لأني لا أعرف أن لها توأم.

نظر لها المهدي وقال لها بلهفة:

-إذًا بالفعل تحققت نبوءة أمي... اسمها وهي آتية من الجنة وذلك لآن روحها نقية مثل الملائكة... وجدت روحها بها... وبالفعل يمكن روح والدتي هي من كانت توحي لريحانة بكل ذلك... وجعلتها تمر بكل تلك المغامرة كي تصل إلى ما وصلنا له الآن.

وسوف أجد شكلها... ها هي أمي تجسدت أمامي من جديد في أستاذة فيروز... أسف... أقصد خالتي فيروز... ولكن للحق أني أرغب في أن أقول لكي أمي فيروز...

ومن ثم اقتربت منه فيروز فاتحة ذراعها ومن ثم عانقها المهدي وبكي من شوقه لأمه...

ولكن فجاءة شرد وصدم كل من في الغرفة عندما رأوا ريحانة تعانق الهواء مغلقةً عينها...

الكل يهزها كي تفتح عينها... ولكنها لم تفتح عينها قط وها هو جسدها يرتفع وما زالت تعانق الهواء...

ولكنهم سحبوها إلى الأسفل وضموها جميعًا كي لا تهيم في الهواء... الكل يهمس لها... ريحانة... ريحانة... افتحي عيونك...

فتحت ريحانة عينها وعلى وجهها ابتسامة... وها هي تنظر إلى النافذة وكأن هناك أحد ما يقف عند النافذة...التفتوا جميعًا حيث تنظر ريحانة ولكنهم لم يروا شيء...

سألتها د. سلوى بلهفة وهي تلمس وجهها وهي تمددها على سريرها:

-ماذا يحدث يا ريحانة... ماذا رأيتِ...؟ هل المهدي من فعل بكِ ذلك؟

قالت ريحانة بابتسامة لهم:

-لا... لم يكن المهدي... بل كانت ف... فاتن.

★★★

(١٨)

-كما وعدتكِ يا عزيزتي... إذا صرتِ معي سوف أحقق لكِ كل ما تتمني.
ها هي عائلتك قد جمع شملها... وكلهم صاروا سعداء.
-لا أدري كيف كانت حياتي ستكون من دونك يا حبيبي يا ميمون.

★★★

الخاتمة

أشعر أن الحبكة مثل الافلام الهندية والنهاية سعيدة كالمسلسلات المصرية.

دعكم من رأيي أنا... كل ما يهمني أن تكونوا قد استمتعتم بهذه الرواية واستفدتم من المواقف والنصائح التي ذكرت في طياتها...

االخ كل ما أريده الآن أن ارتاح... لقد اجهدت خلايا مخي بسبب العالم الخيالي الذي نسجته في عقلي بسببها.

والحق والحق أقول سوف أشتاق لكل أبطالي الخيالين الذين شاركوا في هذه الرواية.

وأتمنى أن تكون الرواية نالت أعجابكم وتكونوا تعلقتم بأبطالها مثلي.

والآن أختم هذه الرواية بحمد الله.

★★★

تمت بحمد الله

رانيا رمضان

بنت البروفيسور

٢٠٢١-٦-٢٣

Insta: rania1ramadan